كلية الشريعة والقانون
الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد - باكستان

تحت إشراف: الأستاذ الدكتور/ يوسف أحمد سليمان

T-1332

تنظيم النسل

في ضوء الفقه الإسلامي المقارن

مقدم البحث: محمد ناصر

للنيل على شهادة الماجستير

عام ١٩٩٧

LL.M
15/7/10
٢٩٧،١٤٠١
ح ح ت
١- فقه اسلامي - تنظيم النسيل
٢- عنوان
T-1332
Accession No.....
DATA ENTERED
07/01/14
TERED

كلمة الشكر

أتقدم بجزيل الشكر بادئ ذي بدء إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ـ التي فتحت أبوابها، فرحبت بشموع محافل البشرية: الأساتذة الكبار، ورثة الأنبياء... و رحبت بالطلاب ليقطفوا زهورا من العلوم و يقتبسوا من أنوارها.

ثم أتقدم بكل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عبداللطيف عامر العميد السابق بكلية الشريعة، الذي ساعدني وأرشدني بكل سعة الصدر ـ مشكورا ـ في تخطيط البحث، ثم أقدم الشكر للأستاذ الدكتور عواد علي الذي ساعدني في تكميل الخطة. وأخص في تقديم أعمق الامتنان فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد يوسف سليمان ، عميد كلية الشريعة والقانون. فهو تكرم بالإشراف، فكانت إرشاداته و ملاحظاته الخطوط العريضة لهذا البحث المتواضع. وأخيرا أشكر مقدما كل من يتفضل بتعب القراءة للإمتحان والمناقشة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إن الحمد لله ، خالق الأرض والسموات العلى ، ومنظم الكون والأفلاك وما تحت الثرى ، ورازق كل الخلق والنحل والورى. وأشهد أن محمدا رسول الله ، حبيب الله وصفيه ، نبي الإنس والجن ، المصطفى ، وعلى آله وصحبه الذين كانوا نجوم الهدى والهداية رضي الله عنهم وأرضاهم.

أما بعد:

ففي رحاب المقدمة أضع بين أيديكم حصيلة مجهودي المتواضع ، الذي لم أدخر قوة ، ولم أبخل فضلا مما أنعم الله علي من أجل إنجازه إلا وبذلته ، وله الحمد أولا وأخيرا ... واعترف بأن الأمر لم يحصل حظه من الدراسة .. ولا سيما أني - وأمثالي - في أثناء أخذ أول شوطة في هذا الحقل .. وعلى كل إن الذي لا نقص له هو ذاته سبحانه ، وسبحان من لاعيب له ...

أسباب اختيار البحث:

أخترت الموضوع للأسباب الآتية:

1 - لأهمية الموضوع:

فإن القضية أصبحت موضع اهتمام بالغ بين المجتمع، [illegible]، ومطروحة في شتى ميادين وسائل الإعلام. فمن ثم يفرض دراستها وتتطلب استنباط حكم الفقه فيها.

2 - عدم إستقراء القضية واستيفاء حقها:

فإن من دواعي البحث في أمر ما ، استقراءه من كل الزوايا ، واستيعابه من كل الجوانب ، ليكون مفهوما كما ينبغي. فالاقتصار على جانب محدد ، وتقصير بحث الحل على زاويه دون أخرى ، لاريب أنه لايفيء بالقصد .. علاوة أنه لايعتبر ولايعترف كبحث. وإن لدى البحث ، يجب التفكير الإيجابي المتفاعل ، بحيث يوفي كافة شروط حرية الرأي ، ولايمكن معرفة هذه القضية - في ضوء هذا المعيار - إلا بعد مراعاة هذا الجانب التحيزي والعلمي .

فهنا يرى بجلاء أن القضية هذه لم تأخذ حظها من البحث .. وأن القضية لوحظت من ناحية سلبياتها ... وفهم وكأن كثرة النسل ويل ومصيبة وداء فحسب ...وبالتالي لا حل لها سوى التحديد. برغم أنها من أكمل النعمات التي أنعم الله على عباده ، ويدل على ذلك شواهد كثيرة من النصوص الشرعية ، والشواهد الواقعية من الحياة الشعوب قديمها وحديثها.

بيد أن الكثرة ـ دون مراعاة الكيفية أيضا غير مطلوب.

3 ـ لعدم وضوح حقل تحديد النسل:

وإن النشاطات هذه التي تهدف تحديد نسل المسلمين لايتحدد إطارها وإنما تريد تهدف أكثر من هدف . فإن إطر وحقل هذا الأمر غير محددة ، وقد طرحت تنظيم النسل:

أ :كقضية فردية وعائلية التي تؤدي إلى الحرمان.

ب : كقضية إجتماعية التي تسبب اضطرابات سكانية.

ج : كظاهرة دولية ـ حيث ـ حسب ما ذهبوا ـ أنها تهدد مصير الكرة الأرضية.

فالتبس الأمر على الناس ، بين من يراه قضية تربية أسرية ، وبين من يراه ظاهرة اجتماعية ، وتراه الدولة مشكلة تنموية ، ويراه العالم ـ أسرة العالم في ممثلها : الأمم المتحدة ـ مشكلة دولية. وهذا فضلا عن الأهواء السياسية تتداخل فيه. فالكل يناشد بحل واحد وهو التحديد.

4 ـ لكشف لبس الحق بالباطل:

فبينما يبرر تحديد النسل بحجة الفقر والبيئة والبطالة والأمية، فإنهم جعلوها ـ في نفس الوقت ـ وسيلة لبث الفحش و رذائل الأخلاق والمفاسد الاجتماعية.

5 ـ ولفهم السر في المحاولات لتحديد نسل المسلمين ـ عبر الندوات والمؤتمرات والمؤامرات: فانهم في كل مناسبة دعوا لتحديد أو تنظيم نسل المسلمين.

أهي الرحمة بنا ، والشفقة علينا من قلة مواردنا ؟ أين رحمتهم المزعومة وهم يلقون فائض أطعمتهم في البحار ؟ في حين أن بموت كثير من الشعوب في العالم الثالث في آسيا و أفريقيا جوعا. والحقيقة أنهم قد فازوا بضربنا اقتصاديا، و سياسيا، و لم يبق لنا سوى قوتنا التي تظهر في كثرتنا، وفي تحديد النسل مساعدة لهم لإضعاف قوتنا وعدد أبنائنا.

6 ـ أخيرا للكشف والاستنباط عن الحكم الفقهي لتحديد النسل:

ولهذه الأسباب، وللإجابة على هذه الأسئلة ، ولدراسة مدى صحة وسقم هذه الإدعاءات والنشاطات، ثم استنباط الحكم سواء في تنظيم النسل، و أو في جزئيات تدخل مباشرة أو غير مباشر في هذا الحقل، ولإلقاء ضوء عليها كي نكون على وعي تجاه ما يجري حولنا من مؤامرات ومؤتمرات ضدنا .. والله المستعان على ذلك ... أود تناول قضية (تنظيم النسل في ضوء الفقه الإسلامي ـ دراسة مقارنة)... راجيا أن يتلقى بعض الصواب.

منهج البحث:

ذكرت تمهيدا كثرة عدد السكان في العصر الحديث. وفي الفصل الأول دراسة المحاولات لوضع حد لهذه الكثرة. وفي الفصل الثاني تناولت بشيء من التفصيل عوامل إزدياد السكان. والتفصيل كان لا مفر منه ، ذلك أن للعلاقات الجنسية الشرعية وغير الشرعية دورا مباشرا وغير مباشر بهذا الصدد. كما ذكرت الانجازات والتقدم العلمي في مجال تقليل الوفيات. فذكرت الهجرة ودورها بهذا الصدد. والفصل الثالث يتحدث عن دوافع تنظيم النسل و مدى صحة وسقم هذه الدوافع و الوسائل المباحة وغير المباحة.

وحيث أن للأمر أكثر من جانب واحد الذي يتطلب إظهارها، حيث أن الحكم الشرعي يختلف بإختلاف الأحوال والظروف ، فكان من اللازم إطراق أبواب هذه الأجزاء - الأمر الذي قد يأخذنا خارج إطار البحث. وختمت البحث بنتائج البحث واقتراحات - رأيتها كبديلة ممكنة .

ولذلك يتشكل البحث بكامله من أربعة فصول .

تمهيد:

إن الإنسان لم يخلق ليلعب وليلهو. يقول عز و جل في كتابه العزيز: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾ [1] ورسالته أعظم من هذا: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان جهولا كفورا﴾ [2] وكل عضو في الإنسان مسؤول عن عمله ﴿ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾. [3] ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾. [4] ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين﴾. [5] والتناسل و التكاثر من مستولية الإنسان. والكثرة قوة: يقول الله عز و جل:﴿ وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ [6]. هذا هو أساس ديننا. و أما واقع الحياة الإسلامية ، فإن نمط الحياة في الشرق الإسلامي حتى أسري - اجتماعي، تسودها الرحمة والمحبة، مستمدة من الإرشاد الإسلامي. عبادة الله سبحانه وتعالى، الاحسان بالوالدين، وصلة الرحم، عدم التبذير، وعدم التبخيل، الكف عن القتل... كما يقول الله عز و جل في الآيات من سورة الأسراء [7].

هذه هو تعاليم الاسلام التي تتميز بالبساطة و تتماشي مع الفطرة السليمة وهذا هو سر شوكة المسلمين" فبالهام منه كان يتحسن حياة المؤمن و فعرف الاعداء هذا السر فأثاروا شكوكا

مصما دراسة الامر و توضيح ما في هذه القضية من غموض .. أردت كشفها ..

فإن هناك تعارض ظاهري بين شتى مبادئ الدين ومصالح الحياة ، مصالح التي يؤكد الدين على ضرورة وجودها والحفاظة عليها.

أ : مبدء عقيدة أن الله هو الرازق. قوله تعالى : ﴿ وما من دابة إلا على الله رزقها يعلم مستقرها و مستودعها، كل في كتاب مبين ﴾ [8] ويقول عز وجل: ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾. [9]

---

1 - الذاريات: 56.

2 - الأحزاب: 72 - 73.

3 - الأسراء 36.

4 - النحل: 78.

5 - البلد: 8 - 9.

6 - الأسراء: 6.

7 - الأسراء: 29.

8 - هود: 6

9 - الذاريات 22

ب: مبدء أن قتل الأولاد من أجل التضييق في المعيشة أمر منهى عنه [10] وأن الفقر موجود و كائن، الذي يهدد بحياة الناس.[11]

ج : مبدء أهمية جانب التربية - أي الكيفية - وبحث على طلب العلم والتفقه وتعمير الأرض . والإنسان يولد وهو لايعلم شيئا :﴿ والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [12] .

فإذا حدث تعارض بين هذين المصلحتين ، فأيهما تقدم ، أي كيف يصالح بينهما ؟

وعلى الصعيد الآخر إن ما يستدل به دعيو تحديد النسل معقول ظاهريا..[13] و إن رد المانعين - من علماء المسلمين - يكاد ينحصر على:

1 - إن تحديد النسل يخالف نصا صريحا قرآنيا.

2 - إن تحديد النسل قضية تمس العقيدة - تثير الشكوك في رازقية الله سبحانه وتعالى.

3 - إنهم لم يردوا على الدعوة إلى تحديد النسل من أدلة عقلية.لندرس القضية كما هي تظهر في مظهرها.. ونناقشها ونرد عليهم.

واستفاد المخالفين ، فجعلوا التحديد قانونا عاما:

بغض النظر أنه هل تلجأ لتنظيم النسل في هذا البلد ... لظروفها المضطرة ، ولا داعي لتحميله على البقعة تلك ، لعدم الضرورة الداعية لذلك ... أم قانون عام لايغادر صغيرة ولا كبيرة من الدول الإسلامية...

كما يقول الأستاذ المودودي :"لا يجوز أبدا أن يتخذ من " ضعف الصحة " حيلة إلى جعل تحديد النسل سنة عامة يعمل بها من يشاء من المسلمين متى رأى أن صحة امرأته ضعيفة وأنها لاتستطيع أن تكابد آلام الحمل والوضع" .[14]

---

9 - الذاريات: 22.

10 - ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ﴾ ﴿ وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾ .

11 - راجع مبحث دوافع تنظيم النسل، الفقر.

12 - النحل: 78.

13 - حيث قالوا بوجوب تحديد النسل لانتشار ظاهرة الفقر، والأمية، والبطالة، والأمراض وما إلى ذلك، مما يبرر ظاهرا موقفهم.

14 - حركة تحديد النسل ، للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، ص 138.

ومن جانبنا هناك ظاهرة الإفراط والتفريط :

إن من القواعد العامة التي وضعت الشريعة الإسلامية هو التمسك بحد الوسط ، دون إفراط وتفريط ، ودون إهمال جانب على حساب جانب آخر. يقول الله عزوجل:﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ ﴿أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ والذي يهمنا أن كما التناسل لازمة لبقاء نسل البشر، فإن ملزومها التربية، فلا يفرط بأي جانب منهما.

وتركنا الطموح والأخذ بالسنن الكونية :

فالطموح من الأمور التي تحث عليها الدين في كافة أنحاء وأطر الحياة . وضعفنا ينبع من أننا يأسنا، ونكاد نتوقف من العمل والطموح إلى التطلع لما نقيس أنفسنا بالغرب ، وهم أمامنا بقرون ... إن هذا اليأس غير مطلوب .. ناسيا المثل المشهور :"من جد وجد. " ثم إن الأخذ بالسنن الكونية واجب ، وأن الأخذ بالسنن له دور مهم في تقدم الحياة البشرية ، وأن اليأس عدو التطور والترقي، وأنه ينبغي أن يكون المسلم إيجابيا لا سلبيا ، ومتفاءلا لا متشاءما . وليدرس من أعداءه جهدهم لا فسقهم و فجورهم ، تفاءلهم لا ماديتهم .

وبالحين لم يبق لدى المسلمين أية شوكة ، اللهم إلا كثرة سوادهم ، الأمر الذي لاتراه الأعداء إلا شوكة في أعينهم . فإذا كانت كثرة السكان تعني القوة لدى المسلمين ، هيبة شوكتهم ، وجمع شملهم ، فإنها صداع عند الغرب " على حد تعبير بيل كلينتون !! ولهذا تحاول الغرب وتخطط وتنفذ لهدف وغاية واحدة : هو وضع حد لهذا التعداد ...

ولنأتي لندرس تنظيم النسل من خلال المؤتمرات:

وأما ما يحدث من المؤتمرات هناك ، فإنها تكاد تتناقش كل شيء عدا قضية السكان وأمر الفقر والظواهر التي تهدد هذه الكمية من البشر .

أ - فإنها تهتم بإثارة الجنس و فتح باب الانحلال على مصراعيه حتى تصبح ممارسة الجنس مثل الأكل والشرب في إطار من الخصوصية والسرية، وليس ذلك إلا فتنة تثار ليتخذ منها وسيلة لنهتم بالغرائز. وما أدراك هذه القضية وما يعقبها من المفاسد الاجتماعية والأخلاقية.

يقول الدكتور (ألكيس كارليل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) عن مفسدة الإثارات الجنسية... : عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز غدده نوعا من المادة التي تتسرب

بالدم إلى دماغه وتخدره فلا يعود قادرا على التفكير الصافي ".[15] وإقرار الشذوذ وحق المرأة والرجل في اختيار أسلوب الإنجاب الملائم ، أي محاولات للإقرار بتعدد أشكال الأسر وعدم الاقتصار على الشكل التقليدي المكون من رجل وامرأة وأطفال ، بل ممكن أن تتكون الأسرة بزواج رجل من رجل وأنثى من أنثى ، -

ب - و يحل كل حرام ؟ ويحاول تحرير المرأة ؟

فالمرأة هي العنصر الأكثر فعالية في تزايد السكان وهي من المنظار الاجتماعي العمود الفقري في تشكيل أخلاق الشعوب والمحافظة عليها أو الإخلال بها ،فهي الأكثر حيوية في التغيير الاجتماعي من الرجل ، لذا فالتركيز على المرأة يتخذ أحيانا أبعادا أكبر من الاهتمام بها وتحريرها من الجهل والتخلف .

ما هو التنظيم الذي أرادوه؟

فقد عبر رضا من "التحديد" بعبارة "التنظيم " الذي يعني في حقيقة أمره : وضع حد لتعداد أفراد الأمة التي تنتمي إلى الأمة الإسلامية ... أمة تعتبر نفسها أمة واحدة ، الوحدة التي لاتعرف لونا ولغة ولا أرضا ولاحدود جغرافية محددة . إن الغرب بحث عن بديل لكلمة محرجة كي تحصل نفس الغاية .. لكن العبرة بالمعاني لا بالألفاظ والمباني ... إن الذي يصغي لمفهوم هذه الكلمة يتبادر بذهنه أول مرة صورة صافية عن برنامج منظم ذو غاية نبيلة بهدف التخلص من كثير من الظواهر التي يعاني منها البشر ، نتيجة ضعفها لمواجهة تحديات الحياة الذي يصعب يوما بعد يوم .. وأن هذه الأفكار النقية لم يقصد بعد الإخلاص لله ، والخدمة للناس الأبرياء يقعون فريسة للوحشة الطبيعية والمجاعة والكوارث والظواهر المختلقة كفقدان مجال العلم والعمل وفقدان فرص التنمية والكسب والمعيشة ... وأن هذه المطامح نبتت من أدمغة ذات مشاعر طيبة وضمائر إنسانية حية سامية ! ...لايلبث وهلة ، حتى يكشف هذا المتساءل الجديد ، حتى يهجم عليه التساءلات الآتية : فما الذي يناقش في المؤتمرات ، والقمم ، والسيمينارات : غير الذي فهمه الشخص المتساءل..

وما هو التحديد:

ليست للتحديد حد أقل ، فهمما أقل أحسن ، والعدم أحسن من الاحد".إذا كان الفقر بوحده ، أو قضية التربية أو الصحة البيئية وحدها لا تقدر على تبرير وضع حد لكثرة السكان كي نقدر

---

15 - تربية الأولاد في الإسلام - عبدالله ناصح علوان ، المجلد الأول ص 299 نشر دار السلام، القاهرة.

استئصال هذه الظواهر أو تقليلها، ذلك لأن الحكم الفقهي في هذه الأمور صريح جد صريح. فإن هذه الأمور بجملتها قد يكون لها من الوزن ما يغير رأي الفقه الإسلامي.

ونرى افتياتا في استخدام مصطلح " التنظيم ":

وأما استخدام كلمة تنظيم ، بمعناه المصطلح ذي الصبغة السياسية ـ الاقتصادية ، فإنه من الناحية العلمية لايجوز استخدامه شرعا ، وأنه افتيات على الله ، والعياذ بالله من ذلك . فذات الخالق الرازق الذي نظم كل شيء ، وأحسن صناعته وصياغته ، وبتدبير ودقة تامّة وكاملة ... إليس بقادر على أن ينظم شرذمة قليلة من المخلوقات؟ أليس سبحانه الذي خلق السموات دون عمد ، وجعل الشمس ضياء والقمر نورا ، و وضع الأفلاك في نظم لايكاد يختل في نظامة مقدار حبة من الخردل ، ألم يكن قدر خلق الإنسان بقدر؟ تعالى الله عما يصفون. ثم إن النظم جزء من الكون. يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾. [16] فما بالنا لانؤمن بالله الذي نظم كل شيء وأحسن تنظيمه ، انظروا إلى نظام الشمس والقمر ، والأفلاك ... وما فيها من دقة في نظامها .أي تنظيم نحن نقصده:إننا نقصد تنظيم الفرد ونريد تنقيحه ، تعليه من حيث الكيفية . فالعبرة بالكيف لا بالكم ، وإن كان الكم مطلوبا أيضا. والتنظيم الذي تريده الغرب:وضع حد لعدد المسلمين ، مهما كانت الوسائل ..فلم يعد التلاعب بالكلمات أمرا غريبا. فالرتوش نوع من الفن .. " تعبيرات لطيفة".[17] بيد أن النظم الطبيعي الفطري موجود ، وهيهات أن يترك الله سبحانه هذا الجانب ـ تعالى الله عما يصفون .

ثم لم كل هذه التصرفات والتكلفات. يقول سبحانه تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا، وجعلت لهم مالا ممدودا﴾.

لم و ما الحاجة للدراسة أن يجرب أن يحمل الرجل بدلا عن المرأة ؟ فهناك تجري أبحاث طبية حول ما إذا أمكن أن يحمل الرجل بعد عملية الإخصاب "Fertalization" خارج الرحم في بطن الرجل

---

16 ـ سورة يس 40.

17 ـ ويقاس هذا المصطلح على أخواته مثل كلمة العلمانية مأخوذة من العلم ـ بديلا عن " اللادين" المخشن. واطلاق " الاستعمار" على عملية نهب خيرات أراضي خيرات أراضي المستعمرة ، وهلم جرا.

وذلك بزراعة كيس طبي في الجانب الأيسر من بطنه يشبه رحم المرأة كيميائيا أو في بطن حيوان كالأبقار.؟!! [18]

أو التجارب العلمية الحديثة التي تجري لزراعة (مخ إنساني) كامل داخل جسم آخر ، وذلك بعد نجاح عملية زرع (مخ) القردة (الشمبانزي) في جسم انسان. وهكذا كلما يشهد الإنسان الأمر على نفسه ، ليشهد الله عليه أمر حياته [19] .

يقول ايلدوس هكسلي في كتابه الجديد " الزيارة الثانية للعالم الجديد الجرئ " إنه بناء على الأخطاء التي ارتكبناها حتى الآن ، قد أصبح من اليقيني أننا على قدر ما نزداد عددا ، سيكون مستوانا من وجهة النظر الحياتية منخفضا "

وسع أفق القضية:

ثم إن أمر السكان لم يكن قضية تفتشى بها حتى إذا جاء مالتوس طرحها بفكرته المادية ــ من البدائل لحل قضية السكان هو الهجرة ــ فإذا كانت الهجرة سببا للضوضاء والفوضاء ، فلم لا تكون الهجرة لصالح الإسكان.إنني ذكرت الدوافع ..الفقر ، البيئة، التربية .. وإن أدى لهذه المشاكل.

إن الأحكام منوط بالمصالح. والمصلحة تقتضي وجود حل لهذه المشاكل. إن الأحكام تتغير حسب مقتضيات الظروف والمصالح. والدليل على ذلك دفع الحدود بالشبهات وأن السارق عام المجاعة لا يقطع يده. وأن المشقة تجلب التيسير.إن حفظ العقل والنسل والمال كلها من الضروريات الخمسة ، وإن كان هناك مراتب، فالدين يقدم على النسل، وهو يقدم على النسل، وهذا يقدم على المال.

هذا إذا كانت هذه الأمور ناتجة ببساطة عن كثرة السكان.فإذا كانت المشاكل هذه ناتجة عن التلاعب والاصطناع، فندرسها من هذه الزاوية أيضا. فالفقر مثلا موجود ، فما هو أسبابه؟ هل

---

18 - (مقتبسا من الأطروحة التي تقدم بها الباحث الإسلامي محمد زين العابدين طاهر ــ المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الأزهرية ــ فرع أسيوط ــ لنيل درجة الدكتوراة في الشريعة ــ نقلا من: مجلة الوعي الإسلامي العدد 274ص 37، عام 1987).

19 - ويذكرنا هذه النشاطات بهذه الآية التي تحدث عن لجاجة وعناد اليهود حين قال سيدنا موسى لقومه من اليهود:﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ فبدأوا يتساءلون ، وليبين لنا ما هي ؟ كيف لونها ، ومع ذلك قالوا: [إنه تشابه علينا].وهكذا كلما شددوا على أنفسهم كلما شد الله عليهم إستكارا لعلمهم.

يمكن التربية أو الفقر أو البيئة أن تكون موانع مبررا لتحديد النسل؟سردت تمهيدا أن تعداد السكان إزداد. فدعا ذلك الى وضع حد وهو تحديد النسل ـ فشرحت تنظيم النسل. فرجعت لأشرح لما كثرت السكان : أسباب و مقومات كثرة النسل ـ ثم ماذا هذه الكثرة تسبب من المشاكل؟ فذكرت الفقر ، والبيئة والتربية والسياسة.فشرحت واحدا فواحدا وناقشت مدى داخل كثرة السكان فيه، ومدى صحة وسقم وحكم الفقه في كل واحدة على حدة ـ أخيرا حكم الفقه الإسلامي على تنظيم النسل على ضوء الحقائق كلها. والله ولي التوفيق

الفصل الأول في إزدياد النسل و تنظيمه

ويشتمل على تمهيد و مبحثين:

أما التمهيد فيشتمل على أربعة مطالب:

المبحث الأول: ماهية تنظيم النسل

المبحث الثاني : خلفية تاريخية عن تنظيم النسل

التمهيد:

ديموغرافية السكان [١]

إزدادت أعداد النفوس البشرية ابتداء من مطلع هذا القرن في كافة بقاع الأرض بشكل مدهش، مما جعل العلماء المعنيين بالأمر يبحثون هذه الظاهرة . فثم مجالات شاسعة الاطار تتداخل بالأمر ويعالجها العلماء المعنيون : كعلماء الاقتصاد، والطب ، والثقافة ،والنفس، والسياسة والاجتماع...[٢] وكان هذا الازدياد يطلق" الانفجار السكاني" [٣] الذي كان يعتبر من أكثر الحوادث الاجتماعية بروزا خلال القرن الماضي في قارة أوربا ، فتوسعت وتعمقت الدراسة حولها منذئذ حتى وصلت يومنا هذا ونحن نشاهد اليوم العالم قاطبة يولي إهتماما خاصا بهذه الظاهرة..[٤]

---

١ ـ السكان = " Population" :مجموع الأشخاص الذين يقطنون بشكل دائم في بلد معين أو في منطقة محددة، بحيث لا يدخل في إحصاء السكان الأشخاص غير المقيمين والمواطنين الذين هاجروا بشكل دائم أو شبه ، أما العمال المهاجرون الذين لهم عمل ثابت فإنهم يصنفون ضمن السكان ويشملهم الإحصاء ."

أنظر: القاموس الاقتصادي : عربي ـ فرنسي ـ انغليزي ـ ألماني ، تأليف د. محمد بشير عليه طبعة المؤسسة العربية..

٢ ـ عندما يذهب الديموغرافي (عالم السكان) بعيدا عن مجرد الملاحظة والقياس ويتناول بالتفسير الحقائق التي لديه ، فانه يلتمس العون من عدة علوم نظرية. فعالم الأمراض (الباثولوجي) يساعده في معرفة اتجاهات الأمراض وأسباب الوفاة ، والبيولوجي يلقي له ضوءا على عوامل عديدة تؤثر في الخصوبة ، وعالم التناسليات يساعده على تفهم أثر الصناعات الوراثية للسكان في اختلاف معدلات النمو بين المجموعات البشرية ، ويعاونه عالم الاقتصاد في إدراك العلاقة بين الموارد الاقتصادية وحالة الفنون الصناعية وبين أعداد السكان الذين يمكن أن تعولهم منطقة ما.. اقتباسا من : Kingsley Davis, Human Society , New York Macmillan Co.١٩٤٩ , p ٥٥٢ translated by: Dr Mohammad Subhi Abdul Hakeem، الناشر : مكتبة مصر بالفجالة بمصر.

٣ ـ اصطلاح وضعه بول برلنتش عام ١٩٦٨م في كتابه" القنبلة السكانية" (The Population Bomb).

٤ ـ لمزيد من التفاصيل حول النمو السكاني انظر: الموارد الاقتصادية للدكتورة مهير محمد احمد ابراهيم ص ٤٦ وما بعدها طبع كلية التجارة فرع الأزهر. و أيضا: Sociology : by Brown & Selzek, third edition ص ٣٠٥ ومابعدها.

وقد وضعوا لدراسة الكثافة السكانية مصطلح الديموغرافيا [٥] (Demography) ولعلم الديموغرافيا رجاله ومفكروه ونشاطاته المتشعبة الحقول..

وعند بحث هذا الموضوع نرى أن دراسة الأمر لم تكن وليدة العصر الحديث وإنما منذ قدم الزمن. فقد شغلت المسائل السكانية الفلاسفة والمفكرين ، وعنى القدماء منهم بأمورتتصل بشئون حياتهم...و من هؤلاء - على سبيل المثال لا الحصر - الفيلسوف الصيني كونفشيوس،الذي تتضمن أراءه " فكرة الحد الأمثل للسكان" .[٦]

---

٥ - ويقصد بمصطلح (Demography)" العلم الذي يدرس - بمساعدة الاحصاءات - الحياة الانسانية، من حيث أنها تتعلق بالمواليد والوفيات والزواج والحالة العامة للسكان التي تترتب عليها". انظر : " التفسير الإجتماعي والمجتمع المتحضر لـ " حسن علي خفاجي " ص ١٧٤ و"علم السكان " تأليف دنيس . هـ. رونج - ترجمة الدكتور محمد صبحي عبدالحكيم، ص ٤- ١٤ .

وقد استعمل هذا المصطلح - لأول مرة - العالم الفرنسي أشيل جيلارد (Achelle Guillard) عام ١٨٨٥م حيث قال :" مجال الديموغرافي: التاريخ الطبيعي والاجتماعي لعناصر الانسان ، يتعلق هذا المصطلح بعلم الأحياء (Biology(الوراثة (Genetic) وعلم النفس (Psyceology) والاجتماع (Sociology)، والتاريخ والاقتصاد.

أنظر: Encyclopedia Britanica ٥/٥٧٥.

وينقسم هذا العلم إلى قسمين كبيرين:

١- علم ا لسكان الكمي: مهمته معرفة الأوجه الكمية (العددية) للظاهرة التي يدرسها ، هينا نسبة الوفاة والحياة والولادة والانجاب.

٢- علم السكان الاقتصادي والاجتماعي: مهمته دراسة العلاقة بين الظواهر السكانية والظاهر الاقتصادية والاجتماعية ، كمعرفة التوزيع الاقتصادي حسب التوزيع الجغرافي للسكان الخ ... أنظر : القاموس الاقتصادي - محمد بشير عليه - ص ١٥١ .

٦ كونفوشيوس : هو زعيم فلاسفة الصين القدامى ، وكان حكيما ، وفيلسوفا سياسيا ، وأخلاقيا دينيا . الفلسفة التي سارت في كل أرجاء الصين من القرن السادس قبل الميلاد حتى أوائل القرن العشرين. وهدف هذه الفلسفة هو إصلاح الأخلاق الاجتماعية عن طريق الإرتقاء بالأسرة لكي تتخلص من ضعف البواعث الأخلاقية بالإضافة إلى التيارات الشكية التي أفسدت جو الأسرة الاجتماعي ... وذلك بتنظيم شؤون الأسرة عن طريق التطهير والإخلاص والتضامن وطاعة الأبناء للآباء والزوجات للأزواج. وقد ألف كونفوشيوس خمسة كلاسيكيات لكي يربط بين حضارة الصين القديمة وحضارة عصره الذي عاش فيه.

كما تكلم بهذا الصدد أفلاطون في كتابه " الجمهورية" قائلا[٧]:

"ينبغي على الحكام أن ينظموا عدد عقود الزواج كما يثبتون عدد الناس كما هو الحال بعد ملء الفراغ الناجم عن الحرب والأمراض وسائر الطوارئ كيلا تكبر الدولة ولا تنقص ما أمكن ذلك."

ويتكلم ابن خلدون في مقدمته المشهورة أيضا في الموضوع ، فيقول:

" إن في تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرزق لأهلها ، ونفاق الأسواق إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة ". ويرى أن الكثرة السكانية تؤدي إلى الوفرة الإنتاجية فيقول :"أن ما توفر عمارته في الأقطار وتعددت الأمم في جهاته وكثر سكانها اتسعت أحوال أهله وكثرت أحوالهم وأمصارهم وعظمت دولهم." [٨]

وبعد ذكر هذه المقدمة ، نتناول مطالب هذا التمهيد:

المطلب الأول:: في مصادر الدراسة السكانية:

المصادر الأولية للسكان هي التعدادات العامة والإحصاءات الحيوية. لقد كان علم الأحصاء في الماضي وصفيا محضا ، ولكن منذ القرن الثامن عشر من الميلاد حدث تغير بالنسبة لهذا العلم اذ أصبحت الدراسة فيه دراسة عددية للشئون الاجتماعية ، فساعد هذا التحول على تقوية فكرة إمكان الوصول إلى قوانين اجتماعية ، ومن ثم اتخذ علم الإحصاء الصيغة الكمية والعلمية واصبح اللغة الرسمية للبحوث الاجتماعية ، وبواسطته أمكن التعبير عن الظواهر الاجتماعية بطريقة واضحة ومحددة وتنتهي الدقة. [٩]

ويمكن القول أن " كتلية " (Quetlet) البلجيكي الذي اعتبره البلجيكيون مؤسسا لعلم الاجتماع قد وطد دعائم علم الإحصاء عندما استفاد منه في الدراسة الاجتماعية فألف في هذا الصدد عدة كتب من أهمها " النظام الاجتماعي والقوانين التي تحكمه " وكتاب بعنوان " الطبيعة

= أنظر: تمهيد في علم الإجتماع للدكتور عبدالكريم بابي ص ٣٤ ، والتفكير الإجتماعي للدكتور زيدان عبدالباقي ص ٨ ومابعدها.

٧ - الجمهورية ص ٢٦٠ أفلاطون - طبع دار الفكر.

٨ - مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٦٠ ، طبع انتشارات استقلال ، تهران - إيران.

٩ - الخدمة الاجتماعية تأليف دكتور حسن علي خفاجي ، ص ٣١ -٣٢ - الطبعة الثانية ١٩٨٠.

الاجتماعية" درس فيه بعض الأمور الاجتماعية عن المواليد والوفيات ، والزواج ، والاجرام ، والانتحار . وقد عبر "كتلية" عن هذه الأمور الاجتماعية بلغة العلم بطريقة احصائية. [١٠]

ويعتبر علم السكان ـ نسبيا ـ علما حديثا يطرق مجالا بكرا للدراسة، لأن كثيرا من الدول لم تبدأ في اجراء تعدادات منظمة دقيقة كاملة لسكانها إلا في العصور الحديثة ، بل إن بعض الأقطار المتأخرة أو المتخلفة [١١] لم تشرع في عمل تعدادات موثوق بها لسكانها حتى اليوم.

والتعداد هوعملية عد دوري لأفراد السكان وبعض خصائصهم تتم بواسطة الحكومة . ومن الواضح أن الحكومات هي التي تملك السلطة المعترف بها ، التي تمكن من اجراء تعدادات السكان. ولعل إفتقار الصين إلى حكومة قوية مركزية هو أحد الأسباب الرئيسية التي حالت دون عمل تعداد لسكان الصين حتى ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤. [١٢]

وقد أجرى أول تعداد على مستوى الدولة في السويد سنة ١٧٩٤ ، وفي الولايات المتحدة سنة ١٧٩٠ ، وفي بريطانيا وفرنسا سنة ١٨٠١ ، وفي روسيا سنة ١٨٩٧ . وفي مصرسنة ١٨٨٢ غير أن نتائجه موضع للشك كما أنه لم يتضمن الكثير من التفاصيل ، ولذلك يعتبر تعداد سنة ١٨٩٧ أول تعداد موثوق بنتائجه. [١٣]

المطلب الثاني في : الانتقال الديموغرافي في العصر الحديث:

إن إزدياد السكان ـ الذي نحن بصدد الكلام عنه والذي بدأ التشاؤم بشأنه ـ مولود نشأ في ظل الظروف السائدة من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي في أوربا وعلى وجه التحديد أوربا الغربية.

---

١٠ ـ نفس المرجع ص ٣٢.

١١ ـ على سبيل المثال ، أفغانستان التي تخوض معارك وحروبا منذ سنوات.

١٢ ـ علم السكان ـ تأليف دنيس . هـ . رونج ـ ترجمة د. محمد صبحي عبدالحكيم .

١٣ ـ نفس المصدر ص ١٠ـ ١١.

(أنظر الجدول الآتي:) .

١٦٥٠م	٥٠٠ مليون نسمة
١٧٥٠م	٧٥٠ مليون نسمة
١٨٥٠م	١٠٠٠ مليون نسمة
١٩٥٠م	٢٤٠٠ مليون نسمة
١٩٦٢م	٥٠٠٠ مليون نسمة

وهذا التحول مر بمرحلتين :

المرحلة الأولى - في أوربا :

وقد كان ذلك الأمر حينذاك على غير ما اعتادت عليه الأمم على مر العصور، حيث إن ذلك الإزدياد لم يكن طبيعيا ، وإنما نتيجة عديد من العوامل : منها الثورة الصناعية والثورة الزراعية اللتان أدتا إلى رخاء إقتصادي موقت وأدتا بالتالي إلى ارتفاع معدل الولادة واطالة الأعمار وانخفاض معدل الوفيات، ثم الهجرات من الريف إلى المدينة وبناء المدن الكبرى في أوربا الغربية ، وأمريكا الشمالية . وكل ذلك كان له دور في إزدياد السكان قطعا.

" والذي توّجته الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر ، فنتج عن كل ذلك هبوط عظيم في الوفيات ، فاتسعت الهوة بين المواليد والوفيات ، أو بمعنى آخر شهدت القارة معدلات سريعة للنمو السكاني". [١٤]

بينما لم يكن أثناء هذه المرحلة للنمو السكاني أثر مشهود في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل ظل محافظا على النمط السابق. (أنظر الجدول رقم ٢)

---

١٤ - دنيس . هـ. رونج صاحب كتاب " علم السكان " بترجمة الدكتور محمد صبحي عبدالحكيم ص ١٧.

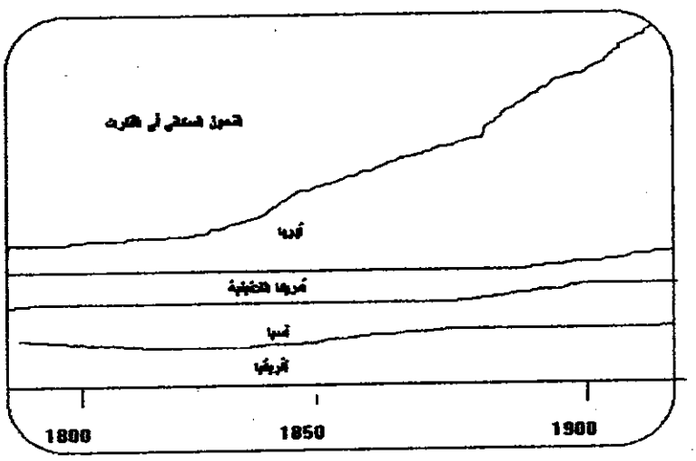

يقول دنيس . هـ. رونج صاحب كتاب " علم السكان ": [١٥]

" ... فإن أوربا والأمريكيتين قد زادت نسبتها إلى مجموع سكان العالم منذ سنة ١٦٥٠ ، بينما تناقص نصيب آسيا من سكان العالم بدرجة طفيفة. ففي سنة ١٦٥٠ كان يسكن الأمريكيتين قلة متناثرة من السكان الأصليين ، ثم نجمت الزيادة الهائلة في السكان من تعمير المهاجرين الأوربيين لأراضي القارتين التين كانتا خاليتين تقريبا من السكان واستطاع أهلهما أن يحتفظا بمعدلات نموهما السريعة عن طريق الزيادة الطبيعية، وهي عبارة عن الفرق الكبير بين المواليد والوفيات. وقد زاد سكان أوربا بدرجة كانت أعلى من مثيلتها في آسيا ؛ لأن درجة الزيادة الطبيعية في اوربا كانت أعلى من مثيلتها في آسيا طوال معظم الفترة الواقعة بين ١٦٥٠ - ١٩٥٠".

وقد أطلق على هذا الارتفاع أسماء مختلفة منها :" الثورة الحيوية" و " الانتقال الديموغرافي" و"احتشاد أوربا بالسكان".[١٦]

---

١٥ - المرجع المذكور أعلاه ص ٢٤.

١٦ - علم السكان ص ٣٦.

المطلب الثالث: إزدياد السكان في آسيا وأفريقيا في القرن العشرين:

سبق القول أن هاتين القارتين لم يكن لهما حظ في النمو الديموغرافي كأختيهما أوربا وأمريكا الشمالية، ذلك فضلا عن ضغوط إقتصادية وسياسية كانت تتعرض لها هاتان القارتان نتيجة تعديات من دول أوربا المستعمرة من القرن السادس عشر الميلادي وحتى الربع الثاني من القرن العشرين .

يقول أحد الكتاب الأوربيين في هذا المجال :

" وقد تناقصت النسبة المئوية لسكان أفريقية الى مجموع سكان العالم منذ ١٦٥٠. ويرجع هذا التناقص - أساسا - إلى النمو السريع لسكان القارات الأخرى ، كما يسود الاعتقاد بان سكان أفريقية قد تناقص عددهم بين عامي ١٦٥٠ - ١٨٠٠ نتيجة لتجارة الرقيق .[١٧]

ومن المحتمل - كذلك – أن سكان أمريكا الوسطى والجنوبية قد تعرضوا لقليل من التناقص بين عامي ١٦٥٠ و ١٧٥٠ بسبب تعرض السكان الأصليين للإبادة من جانب الغزاة الأسبان.[١٨]

وبين نشوب الحربين العالميتين اللتين خاضتهما شعوب أوربا وبعدها ، استقلت الدول المستعمرة وقبضت عنان سيطرتها بأيديها ، ولحقت بركب الحضارة .

وهكذا يتضح أن سكان دول أفريقيا وآسيا وبعد الحصول على استقلالها وأخذ حظوظهما من الحضارة لحقتا بركب الحضارة واحدة بعد أخرى. فلما توافرت لديهما في القرن العشرين نفس الظروف التي كانت متوافرة لدى الأوربيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر [١٩] ، كان من البدهي أن تكون النتيجة هي نصيبها من إزدياد السكان وإزدهار النمو الديموغرافي.

---

١٧ - A.M Carr Saunders, Workd Population Oxford Clanendon Press, ١٩٣٦ p ٣٤

١٨- نفس المرجع.

١٩ - وأما ترك البلاد الأوربية لدول أفريقيا وآسيا لم يكن وليد إحساس إنساني وإنما نتيجة مشاكل عديدة واجهها المستعمرون الأوربيون في هذه البلاد المستعمرة . ويعترف بهذا كتابهم وبكل صراحة:" وإذا كانت تكاليف النصر كبيرة ، فتكاليف الإحتلال أكبر، حتى أنه في بعض الأوقات كانت الدولة المهزومة تميل إلى أن تظل مهزومة - بإستثناء القبائل - ولكن الروح القومية قد اشتعلت اليوم في الدول المتخلفة وأصبحت قوى الإستعمار تواجه مقاومة مريرة عنيفة تضطرها إلى أن تجلو عن الأراضي التي لاترضى طواعيه عن بقائها... والواقع أن الإستعمار أصبح أكثر أنواع الإستثمار تكلفة وخسارة ، وأفضل منه أن تبقى الجيوش في اوطانها وتعمل بهدوء في صناعة السيارات مثلا .. "

المطلب الرابع في : عدد السكان حسبما يتوقعه الإحصائيون في المستقبل:

يتوقع إن يصل معدل زيادة السكان إلى ٨٦ مليونا سنويا . وهذا أكبر معدل زيادة سكانية في التاريخ الإنساني .

فمن المتوقع أن يصل عدد سكان العالم إلى ٧,٩ بلايين في عام ٢٠٥٠م - وإلى ١٢ بليون في آخر القرن الثاني والعشرين. فإذا حدد وخفض معدل الولادات بشكل جاد كما هو الحال في مكسيكو، جاميكا، فيكون عدد السكان ١٥,١ بليونا في عام ٢٠٨٠. [٢٠]

إلا أن معدل النمو السكاني يختلف باختلاف المناطق ، كما أنه يعتبره الديموغرافيون إيجابيا في بعض الأمكنة والازمنة - ولا سيما بلاد الشرق - بينما يلاحظ نفس الأمر سلبيا في منطقة آخرى و وقت آخر.

وارتفاع معدل الكثافة السكانية لم يصل درجة الخطورة ولم يأخذ طابعا سلبيا في معظم البلاد الشرقية - إن لم نقل كافتها.

وهكذا ، وإن كان يظهر بادئ الأمر - أو هكذا يتظاهر - بأن هذه الكثافة السكانية وثقلها مالا تتحملها البلاد المتخلفة. وأنها تعنى الحرمان من السكن ، والفقر ، وتلوث البيئة ، وانتشار الأمراض وبلوى الأمية وما إلى ذلك وأنه يجب وضع حد لهذه الكثرة التى لاتبشر بأي خير... ! بيد أن الأمر ليس بهذه الخطورة.

يقول ف.أ. بوريسوف في كتابه". عالم السكان" بهذا الصدد"

" وتختلف معدلات النمو السكاني من قارة إلى قارة أخرى ، ومن منطقة إلى منطقة أخرى. فبينما يأخذ هذا النمو طابعا إيجابيا في كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وتبلغ معدلات النمو القيمة العظمى لها، وذلك في أفريقيا (حوالي ٣٪) ، فإن هذا النمو يأخذ طابعا سلبيا في أوربا ، حيث تجري عملية الحرمان من السكان (Depopulation) في كل من النمسا ، لكسمبورغ، ألمانيا...".

---

٢٠ - بوريسوف - مجلة الفيصل. العدد ٢٠٨ اغسطس - سبتمبر ١٩٩٥ ص ١٦ – ١٧. وكتاب " سكان العالم" هذا صدر في موسكو عام ١٩٨٩ ، وقد اعتمد كمرجع أساسي فيه على نشرات وتوقعات الأمم المتحدة في مجال السكان وحتى عام ٢٠٢٥م.

أما في أمريكا الشمالية فتشير التوقعات إلى أن المعدل المنخفض للولادات في الولايات المتحدة سوف يحافظ عليه لفترة طويلة ، واعتبارا من عام ٢٠٣٤م يأخذ منحنى سلبيا ، إلا أن الهجرة السنوية المستمرة وعلى طول فترة التنبؤ حتى عام ٢٠٨٢م سوف تعوضه ، حيث رأى العلماء عن عملية الحرمان من السكان ، وتؤمن في النهاية ثبات عدد السكان. [٢١]

وأما التحول الديموغرافي في أوربا فلا يسير سيرا طبيعيا ، ذلك لتصرفاتهم ولظروف السائدة في أوربا. فتارة يلاحظ ارتفاعا في معدل المواليد نظرا لحدوث ظروف محددة كما حدث في القرن الثامن عشر إثر الثورة الصناعية ، فكانت النتيجة ظهور انفجار سكاني ، على حد تعبير بول برليتش ، وتارة هبوط في نسبة المواليد ، وذلك نظرا لعديد من العوامل .. رغبة قليلة للانجاب وسيطرة فكرة مادية ودعوة لتنظيم النسل وما إلى ذلك . وفي هذا يقول دنيس رينج:

وقد تناقصت نسبة المواليد العامة في البلاد الغربية بإطراد لأكثر من نصف قرن حتى الأربعينات والخمسينات من هذا القرن حينما شهدت ارتفاعا ملحوظا. وقد بدأ انخفاض نسبة المواليد في معظم هذه البلاد في السبعينات من القرن الماضي. [٢٢]

ففي العصر الحديث كثير من البلاد الغربية يشجع إكثار النسل ، و ذلك بعد كشفهم لوخامة ما عليه أمرهم .

---

٢١ - نفس المرجع والصفحات.

٢٢ - علم السكان ص ٦٩ - ٧٦.

المبحث الأول

في

ماهية تنظيم النسل و مراحل تطوره

و هو يشتمل على ثلاثة مطلبين:

المطلب الأول في مفهوم تنظيم النسل وتحديد النسل

المطلب الثاني في مراحل تنظيم النسل و فيه أربعة فروع :

الفرع الأول : المرحلة الأولى

الفرع الثاني : المرحلة الثانية

الفرع الثالث : المرحلة الثالثة

الفرع الرابع : المرحلة الرابعة

مفهوم تنظيم النسل وتحديد النسل:

يستعمل هذان المصطلحان : " تحديد " و" تنظيم " مترادفين، مع فروق لغوية بينهما .

النظم : معناه : التأليف ، وضم شيء إلى شيء آخر. جمع اللؤلؤ في السلك: نظمه.
نظمه : الفه في عقد و جعله في سلك فانتظم وتنظم. [٢٣]

التحديد: والحد في اللغة المنع
حدد الشي : أقام له حدا
وحدد على فلان : منعه من حرية التصرف .
حدد: تأخر. حدد الزرع تحديدا : تأخر أخرجه لتأخر المطر. [٢٤]
ثم يتركب "تنظيم النسل : من كلمتين : " تنظيم " و " نسل ".

النسل: في اللغة:
الولد ، ونسل نسلا من باب ضرب كثر نسله ، ويتعدى إلى مفعول. فيقال: نسلت الولد نسلا : أي : ولدته ، وتناسلوا توالدوا، ويطلق النسل على الخلق والذرية . وتناسل القوم : توالدوا ، وأنسل بعضهم بعضا. [٢٥]
ويراد بالنسل في الشرع أيضا الولد ، والذرية التي تعقب الآباء وتخلفهم في بقاء المسيرة الطويلة للنوع البشري.
وقد خلق الله البشر من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها عن طريق التناسل والتوالد وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وجعل منهم الشعوب والقبائل ليتعارفوا ، ويتعاونوا على البر والتقوى ، وجعل ميزان الكرامة والتفضيل التقوى فإن أكرمهم عنده سبحانه أتقاهم.

---

٢٣ - قاموس المحيط ، باب الميم ، فصل النون، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، طبع مؤسسة الرسالة ١٩٨٧. التعريفات للجرجاني ، انتشارات ناصر خسرو – تهران – إيران ، والمعجم الوسيط ، طبع المكتبة الإسلامية استانبول - تركيا.

٢٤ - التعريفات للجرجاني.

٢٥ - انظر: القاموس المحيط ٥٧/٤ ، والمصباح المنير ٩٣٢ والمنجد.

مفهوم الأسرة:

الأسرة : هي المركز الاجتماعي الذي يرتبط به وبشكل كامل التكاثر الفيزيولوجي للسكان وولادة أجيال جديدة وإعدادهم للحياة في المجتمع".

والأسر نوعان: كاملة ، حيث أن فيها على الأقل زوجين مع أطفال ، أوغير كاملة ، حيث يوجد الوالدان بدون الأطفال.

وقد بلغ أصغر حجم للأسرة في سويسرا ٣,٥ فردا ، بينما أكبر حجم هو في مدينة ساموا الأمريكية ٧,٣٣ فردا. [٢٦]

الفرق بين الـ"تحديد" والـ " تنظيم ":

وكما يتضح من التعريف اللغوي لكل من كلمة "تحديد" و " تنظيم" وما بينهما من فروق ، فإن كليهما قد استعملا لنفس المعنى والمفهوم، وبعبارة أدق قد تدرج في استعمال هذه الكلمات، لأن في كلمة تحديد تبرز الغاية المكمنة منها ، وتبرز بوضوح أكثر المقاصد من ورائها.

ولذلك فإنه قد استعملت كلمة الـ"تنظيم "بدلا من الـ" تحديد " كي تخدم نفس الغاية دون أن تؤلم مشاعر أحد.

وهذا الأسلوب من اللعب بالكلمات لم يكن جديدا ، وإنما قد استخدم نفس الأسلوب في شتى الكلمات ولا سيما في المجالات السياسية.

فعلى سبيل المثال : كلمة "علماني" (المأخوذة من الـ "علم " والمعربة من الكلمة اللاتينية Secularism الذي يعني اللاديني) واجتياح الشعوب المستقلة وابتزاز ونهب ثرواتهم واستعبادهم والتعبير عنه بكلمة "استعمار" التي هي مأخوذة من "العمارة". وفرض القروض مدمر البيوت الدولية والتعبير عنه بـ " المساعدات والمعونات ". وهكذا استخدام كلمة "Gender" التي استخدمت في مؤتمر بكين كثيرا والتي تحمل معاني مزدوجة ، وتشتبه على الأذهان ، بدلا عن كلمة sex التي تثير حساسية لدى الكثير من الملتزمين بالدين، والتعبير بالحب الذي يدل على الحنان بالعلاقات الجنسية غير الشرعية واللعب بها ، وماإلى ذلك.

---

٢٦ - سكان العالم ، بوريسوف ، العدد ٢٠٢ ، الفيصل ص ١٠٨.

إلا أن هذه الكلمات لاتحل حراما ولاتحرم حلالا - على حد تعبير الأستاذ أبي زهرة.

وهذا الغموض ناشئ عن تعريب المصطلحات المستعملة باللغة بالإنكليزية مثل:
Birth regulation, Birth control, Prevention of child bearing, regulation, Contraception of concept, Family planing.

فيامكاننا القول بأن:

تنظيم النسل :(Birth Control)

تحديد النسل : (Birth Limitation)

تنظيم الأسرة: (Family Planing). [٢٧]

مع أن هذا التعريب ليس دقيقا .

ووصل الغموض في كافة المجالات ، حتى اشتبه الفرق بين تنظيم الأسرة و تنظيم النسل. ولم يكن هذا الغموض ناتجا عن مجرد صدفة أو عدم التعمق ، وإنما حسب الخطة المدروسة لفرض هذه الفكرة على المسلمين بالتدرج.

منهم من أردف كل هذه المصطلحات في معنى ومفهوم واحد . فالمصطلحات التي ذكرت كلها ذات مدلول واحد لدى الكثير من العلماء المعاصرين منهم - على سبيل المثال ــ الإمام المودودي ، وفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي. [٢٨]

وعلى كل ، فإن مفهوم كل منهما واحد ، مع أن بعض العلماء قالوا بالتفرقة بينهما للفرق بينهما.

وأما الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر الأسبق فيفرق بين مصطلحي " تحديد النسل " و " تنظيم النسل " .

فتحديد النسل عنده يعني إصدار قانون عام ، يلزم الأمة كلها أن تقف بالنسل عند حد معين".

قال : " .. قد يتبادر أن المقصود منها هو إصدار قانون عام ، يلزم الأمة كلها أن تقف بالنسل عند حد معين ، لا فرق في ذلك بين سيدة يسرع إليها الحمل فترضع ولدها السابق لبن الحمل ، وأخرى يبطيء حملها ، وتمضي مدة الرضاع أو أكثر في تربية السابق دون حمل ولا إرضاع في زمن حمل ،

---

٢٧ - حركة تحديد النسل - أبو الأعلى المودودي ص ١٤٧، طبع مؤسسة الرسالة. والأستاذ مودودي ردف كلمة " تحديد " و" تنظيم " مرارا كما في ص ١٣٨.

٢٨ - كتاب " الحلال والحرام " للدكتور يوسف القرضاوي ، ص ١٩١ وما بعدها ، طبع دار البيضاء.

ولا بين قوي سليم من الأمراض المتنقلة بلد أقويـاء أصحاء ، وضعيـف مريض بمتنقـل بلـد ضعفـاء مرضى ، ولا بين غني في سعة من الرزق يستطيع تربية أبنائه مهمـا بلـغ عددهـم ، وفقير في ضيـق لايستطيع القيام بتربية أبنائه الكثيرين فيضعف احتمالـه ، وتخور أعصابـه ، وتفسـد حياتـه ، وقـد تتشرد مع هذا أبناؤه ".... وهذا النوع من التحديد مرفوض بالطبع عند الإسلام .

في حين أن مصطلح "تنظيم النسـل " يعني : تنظيم فردي لا يتعدى مجاله .

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت بهذا الصدد : " أما تحديد النسـل ، بمعنى تنظيمه بالنسـبة للسيدات اللاتي يسرع إليهن الحمل ، وبالنسبة لذوي الأمراض المتنقلة ، وبالنسبة للأفراد القلائـل الذين تضعف أعصابهم عن مواجهة المسؤوليات الكثيرة ، ولايجدون من حكوماتهم أو الموسرين من أمتهم ما يقويهم على احتمال المسؤوليات . إن تنظيم النسـل بشيء من هذا - وهو تنظيم فـردي لا يتعدى مجاله - شأن علاجي تدفع به أضرار محققة ويكون به النسل القوى الصـالح ، والتنظيـم بهـذا المعنى لايجافي الطبيعة ولا يأبه الوعي القومي ، ولاتمنعه الشريعة إن لم تكن تطلبه وتحـث عليـه "... فتنظيم النسـل بهذه الأسباب الخاصة التي من شأنها ألا تعم الأمة بل ولاتكون فيها إلا بنسبة ضئيلة جدا ... [٢٩]

أما إذا كان مجرد الاختلاف والجدل شهوة ورغبة ، وهذا ليس من شـأن البـاحثين الحريصين على خير أمتهم ، فهذا بالطبع لايجوز.

بيد أنه يجب ملاحظة الأمر من كل جوانبه بحيث يناقش وجهة نظر مؤيدي تنظيم النسـل، فقد تكون لها وجاهتها الظاهرية الناجحة. وهذا الأمر يستدعي النظر في تاريخ وخلفية هذه الفكرة.

المطلب الثاني

المرحلة الأولى:

سبق القول بأن تعداد السكان ازداد ، مما استدعى تحديده. والدعوة إلى التحديد قد مرت بمراحـل عديدة قبل أن تلبس ثوبها المعاصر. وستأخذنا الدهشة لو علمنا بدايته وما وصل إليه اليوم.

---

٢٩ - فتاوى ، للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، ص ٢٩٨ وما بعدها ، طبع دار الشروق.

فالدعوة إلى تنظيم النسل في المرحلة الأولى طرحت بيد الاقتصادي الشهير توماس مالتوس[٣٠] وتشاؤمه الشهير بشأن زيادة السكان ومحدودية وسائل الرزق. بيد أن ذلك ثبت خطؤه، حيث تطورت في الوقت نفسه وسائل العيش، وازدهرت الثورة الصناعية، فكانت لها نتائجها الإيجابية في تكثير كمية الأغذية بدرجة أنها تفوقت على عدد السكان، حيث إن كثيرا من الدول توسلت إلى إلقاء فائض المواد الغذائية تخلصا منها وللحفاظ على أسعار الأسواق ـ الأمر المعروف لدى الاقتصاديين . ولذلك، كان رفض الرد على الدعوة لتحديد النسل أمرا طبيعيا ، حيث ظهرت سخافتها ، ولم ير ما يبرر وجودها.

وأما نجاحها في الآونة الأخيرة عند ظهور ما سمي بعنوان "المالتوسية الجديدة" [٣١]، فكان له مبررات أخرى، دون قلة الموارد ومشكلة السكن وغيرها، وإنما لرغبة المرأة الأوربية التي أرغمت على الخروج من البيت بحثا عما تطعم به نفسها، ولنشر الفساد الجنسي الذي حول المرأة إلى جنس آخر، حيث بدأت لاتهمها الانجاب وتربية الأولاد، بل جلب أكبر قدر ممكن من الملذات الدنيوية ، وقد دعم هذه الفكرة انتشار حب المادة.

المطلب الثاني ـ المرحله الثانية:

وصلت هذه المرحلة في الوجود، بعد أن مارست الدول الأوربية تحديد النسل ، فقلت شعوبها ، وعلى صعيد آخر نهضت شعوب آسيا ، فقلقت أوربا بما واجهها من نهوض الشرق. فدورست خطة تحديد النسل، ودبرت في وضع حد لشعوب الشرق، وبحجج واهية، ومن هنا اصطنعت المشاكل ـ زيادة على ما كانت ـ الفقر والمرض و ما إلى ذلك .[٣٢]

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة:

وتبدأ المرحلة الثالثة بتحديد النسل، وهي فقد الاهتمام بظاهرة تلوث البيئة . فزعموا أن كثرة السكان يعني تلوث البيئة . ويبرز هنا تناقض عجيب ، حيث أن الكثافة السكانية غالبا ما لا تبلغ

---

٣٠ ـ سيأتي تفصيل الكلام عنه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

٣١ ـ سيأتي تفصيل الكلام عنه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

٣٢ ـ سيأتي الكلام عن هذا الموضوع في الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

درجة تستلزم تحديد السكان في معظم بلاد الشرق ، فليس هناك في بلاد الشرق بلد تزيد كثافة السكان ٢٠٠ نسمة في ١٠٠٠ هكتار، في حين أن من البلاد الأوربية كهولندا تزيد الكثافة السكانية فوق ٤٥٠٠ نسمة في نفس المسافة من الأرض، ومع ذلك فإن أحدا لم يقل بتنظيم نسله.

علاوة على ذلك فإن الأعمال التي يمارسها الغرب وأتباعه من الدول الأخرى التي تهدف إلى تدمير الإسلام وأهله كالهند ـ مثلا ـ لم تقف لحد الآن في تدمير البيئة بتفجير قنابل وتجريب القنابل الفتاكة الذرية والبيولوجية . وقد جربت فرنسا تجارب نووية حديثا. ونحن بدورنا نتساءل ما الداعي لتجريب هذه الأسلحة الفتاكة ، وقد انتهى دور الحرب الباردة ، وطلع يوم الصلح البارد. وقد كثر الكلام حول ثقب عائق الأوزن الذي يمنع الشعاع فوق البنفسجي ، والذي يسبب رسوبه السرطانات والأمراض الجلدية. لذلك يجب توقيف هذه العمليات المدمرة قبل كل شيء.

المطلب الثالث ـ المرحلة الرابعة:

هذه المرحلة من أخطر المراحل، حيث تستخدم شتى الوسائل وعلى الرغم من إرادة الشعوب ، وبرغم ما إذا كانت تلك الدولة ترغب في تحديد نسلها أو لا ترغب. وقد بدأ فرض هذه الأفكار منذ بداية التسعينات . واستعمال القوة تكون بشتى الوسائل ، الضغوط من الدول الكبرى ذات القوة العسكرية والاقتصادية العالية، منها عبر المؤتمرات وبشتى وسائل أخرى .. سنتكلم عنها قريبا إن شاء الله.

هذه باختصار ماهية التنظيم ، وقد لاحظنا كيف اختلفت دوافع ومبررات تحديد النسل من بداية الأمر حتى الآن.

المبحث الثاني

خلفية تاريخية عن تنظيم النسل

وهو يشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: تنظيم النسل في مفهومه المعاصر

المطلب الثاني : مالتوس وآراؤه:

المطلب الثالث: مقومات الحركة

المطلب الرابع : أخطاء نظرية مالتوس :

المطلب الخامس : التنظيم في البلاد الإسلامية

المطلب السادس: تحديد النسل في البلاد العربية

المطلب الأول

تنظيم النسل في مفهومه المعاصر

مما لا شك فيه أن الإنسان يسعى ويبذل ما في وسعه لتحقيق ما يسعده ويزيل آلامه. والإنسان يحاول بشتى الوسائل على الحفاظ على نفسه، وذلك أمر طبيعي يتمشى مع الفطرة التي فطر الله الناس وسنن الكون عليها . وجاء القرآن مؤيدا هذا الأصل . ومن حيث أن الإنسان يعيش دنيا يخشى أن يزول، فإنه تارة ما ويوجه من الأوجه يواجه نقائص، تضايقه وتدفعه إلى توفير حاجاته وإكمال نقائصه. وتأسيسا على هذا قد نشأت فكرة اقتصادية : ضرورة توفير الحاجيات، وطرق حفظها، ومكافحة الشدائد. وهذه حكمة الله في المخلوقات، حيث بها يتم إعمار الأرض، ويخلق جو الخوف والرجاء في الحياة . وأيضا من هنا يفتح باب المنازعات والصراعات على خيرات الأرض، ويستخدم العنف .. ويستعين المرء بعقله كي يجد طريقا محايدا لإيجاد حلول لمشاكله دون أن يعتدى على أحد .

ومنذ ترك الإنسان منهج الله، والإيمان به سبحانه وتعالى، تهجم عليه فكرة الإلحاد، ويشك في خالقية الله سبحانه وتعالى، ورازقيته ، فيتزلزل خطوته، فتارة يفكر أن الأرض أضيق مما يجب ويلبي بحاجات الناس، وتارة يفكر أن عدد الخلق قد خرج من الإحصاء، ويحاول كأنه يريد أن يأخذ مصيره بيده، توهما منه للتخلص من الفقر والبؤس وحلا للمشاكل المادية.

فالإنسان منذ أن حاول أن يقبض عنان كيانه ودينه ومصيره ومستقبله بيده، هلك وأهلك، ولم ينفع تشاؤمه إلا زيادة في ضلاله .

والمحاولات المادية الضالة وإن يرجع أساسها - كما ذكر - إلى بداية وجود الإنسان على صعيد الأرض، إلا أن الحركات ذات الصبغة الجادة، والعلمية لم تبدأ إلا في القرون الأخيرة، وفي أوربا المادية. إلا أن النظرية نفسها كانت منذ قدم الزمن مطروحا على الإنسان . فليس " تنظيم النسل" أو" تنظيم أفراد الأسرة " في حد ذاته شيئا جديدا، وإنما هو إسم جديد لفكرة قديمة، إذ أن الإنسان ما زال في كل دور من أدوار تاريخه يساوره القلق والخوف الشديد من ظاهرة تضخم السكان وقلة موارد الانتاج، ويقول إن أفراد نسله إذا استمروا يتزايدون بصفة مطردة ولم يوضع لتزايدهم نوع من الحد، فكيف تسعهم الأرض ومن أين يأكلون ويكسبون معاشهم بعد مدة كذا وكذا من

السنين؟ لقد كان الإنسان القديم إنما يعرب عن قلقه وخوفه في هذا الشأن بأسلوب بسيط جدا، أما الآن فبأسلوب أشد تعقيدا وبصبغة علمية .. ناسيا أن الذي خلق هو الذي سيرزق، والذي دبر الكون بهذه الدقة، هو الذي سينظم ما هو أبسط منه بكثير، ولكن الإنسان خلق جهولا. [١]

المطلب الثاني - مالتوس وآراؤه:

على الرغم من أن تنظيم النسل على هيئته المعروفة والمطروحة اليوم من أفكار الاقتصادي الشهير توماس مالتوس (Thomas Malthus) الذي نشر كتابه حول السكان عام ١٧٨٩م تحت عنوان: (Essay On the Principle of Population) "محاولة النظر في التناسل " يضع مالتوس نظريته على أساس ما اخترع من القواعد الحسابية والهندسية في هذا الزمان: إن زيادة السكان تتم بنسبة متوالية هندسية في هذا الزمان : إن زيادة السكان تتم بنسبة متوالية هندسية (Geometric Progression) ٢, ٤, ٨, ١٦, ٣٢, ٦٤, ١٢٨ ... وما إلى ذلك على حين لاتزيد ، ولا يمكن أن تزيد ، وسائل رزقهم ، مهما اخترعوا لزيادتها من الطرق المؤثرة ، إلا بنسبة متوالية حسابية (Arithmetic Progression) : ١, ٢, ٣, ٤, ٥, ٦, ٧, ٨, ٩ إلخ . فعلى هذا إذ ظل عدد السكان يتضاعف بدون ما حاجز في وجهه ، فلا بد أن يصل إلى ضعفيه بعد كل ٢٥ سنة ، وأن يصل من ١ إلى ٢٥٦ بعد كل قرنين ، بينما لاتزيد وسائل رزقهم خلال هذه المدة إلا إلى ٩ ، وأن هذه النسبة بين عدد السكان وموارد الرزق ستكون ٤٠٩٦ مقابل ١٣ بعد ثلاثة قرون ولا تبقى هناك أية نسبة بين عدد السكان وموارد الرزق بعد ألفي سنة. [٢]

انظر الجدول رقم التالي:

---

١ - حركة تحديد النسل لأبي الأعلى المودودي ص ٧.

٢ - السباق بين الإنسان والطعام ، ص ٩ تأليف شارك جوي، ترجمة محمد الشحات، طبع دار الفكر العربي، ويراجع أيضا : مجلة The Economist سبتمبر ١٩٩٤ ص ٢٠ ، و Introduction to Sociology ص ٣٠٤ ، و كتاب حركة تحديد النسل للأستاذ أبي الأعلى المودودي ص ٧ و مابعدها.

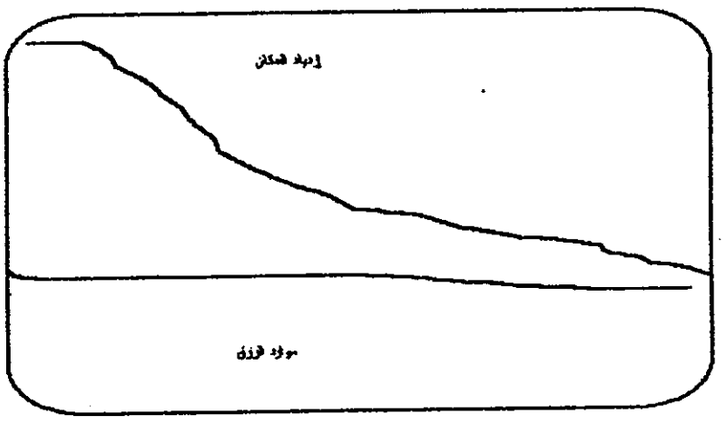

نقلا من مجلة The Economist العدد سبتمبر ١٩٩٤.

وكانت فكرة مالتوس هذه قد نشأت على أساس دراسته لمجتمع بريطانيا الذي كان يتمتع بأعلى مستوى من العيش والرفاهية نتيجة الثورة الصناعية والإنتاج الاجمالي ، ونتيجة سيلان الثروات الطائلة من الأمم المستعمرة في آسيا وأفريقيا. وكان من الوسائل التي يرى استعمالها لتحديد النسل والسكان الوسائل الابتدائية الطبيعية ، مثل عدم الزواج إلا في السنين المتقدمة، والكبت وغيرها .

المالتوسية الجديدة:

والخطوة الثانية بهذا الصدد اتخذها العالم الفرنسي فرانسيس بلاس في فرنسا وكان يتبع نفس النظرية، إلا أنه اقترح استعمال آلات وعقاقير علاوة على الوسائل الطبيعية بغية تحقق الهدف نفسه.

والخطوة الثالثة كانت من الطبيب الأمريكي المشهور تشارلس نوروتون ونشر كتابه " ثمرات الفلسفة " الذي وقعت فيما بعد مصدر إلهام لنشر فكرة تحديد النسل في نطاق واسع في كافة أوربا. ومن هذه الأسباب اشتغال الناس رجالا ونساء في المصانع التي أقيمت في الثورة الصناعية في أوربا ، حيث اشتد الصراع والتنافس مما جعل كل أحد يلهث حول رزقه . فتحولت الأحوال وأصبح الرجل لايطيق الإنفاق على أسرته ، فخرج الولد وأمه بحثا عن مصادر الرزق. بالإضافة إلى إيجاد فكرة الاحتفاظ على الحياة الرغيدة.

ومن الأسباب أيضا أن ظلم الرجل الأوربي للمرأة حيث يأبى أن ينفق على المرأة ـ كما يأمره الإسلام ويوجب الانفاق على المرأة ، ثرية كانت أم فقيرة ـ مما دفع المرأة إلى أن تخرج بحثا عن الرزق[٣] ودفعها بالتالي التهرب جبرا، في بداية الأمر، ورغبة ورضاء أخيرا، من تكفل ما تقتضي طبعها البيولوجية من التوالد وتربية الأولاد وتنظيم أمور البيت. [٤]

والحركة هذه باءت بالفشل، ولم يجلب التفات عامة الناس هناك، نظرا لثبوت نظريته عملا. لأنها كانت فكرة سخيفة، غير مقبولة، وإلحادية تماما ولاسيما الثورة الصناعية والزراعية أثبتت نظريتها غير صحيح تماما . أنظر الجدول التالي:

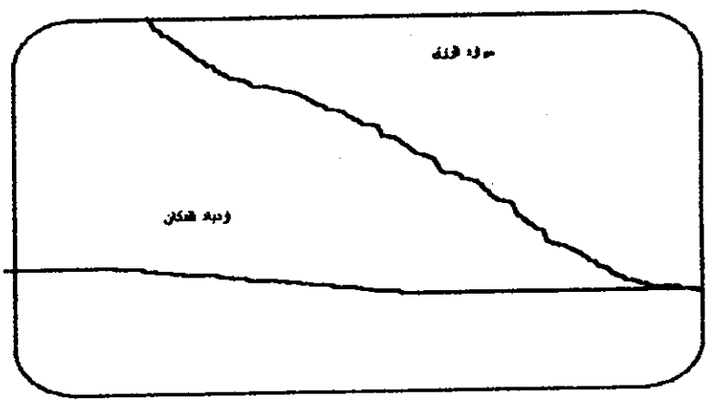

نقلا من مجلة: The Economist ص ١٩ شهر ستمبر ١٩٩٤.

أسباب نجاح المالتوسية الجديدة:

وأما أسباب نجاح النهضة الجديدة ، فيما سميت بالمالتوسية الجديدة ، فكانت نتيجة إيجاد ظروف طارئة، وتحول ديموغرافي لم يسبق له نظير. فالهجرة من الريف إلى المدن ، في بريطانيا ـ موطن مالتوس ـ نتيجة تكون مصانع كبيرة ، وتقديم أجور كبيرة للعمال جلبت عددا كثيرا من الناس.

---

٣ - يراجع : وقد تكلم في هذا الأستاذ محمد قطب في كتابه "شبهات حول الإسلام".

٤ - وقد تكلم الأستاذ أبو الأعلى المودودي في هذا المجال بالتفصيل ، يراجع كتابه " حركة تحديد النسل " ص ٧ وما بعدها .

فهرع الناس إلى المدن رجالا ونساء ليعملوا في المصانع. ومن المعروف عدم مراعات حقوق النساء في أوربا ، مما جعلت المرءة تعمل كي تحصل على لقمة العيش . فكانت النتيجة أن المرأة لاتجد وقتا متوافرا و تشجيعا للبقاء في البيت لولادة الأطفال وتربيتها . ناهيك عن أن المرأة الأوربية شأنها شأن الرجل الأوربي الذي لايعترف بالقيم والأخلاق الأسرية. فتريد حظا أكثر من التمتعات الدنيوية. وكان نظرة مالتوس يدعم هذه الميول العوجاء المرضاء. ومن ذلك كانت قد لاقت النظرية نجاحا. إذن فلم يكن نجاحها لأن الناس واجهوا بالفعل ندرة الموارد، وإنما صادفت هوى في نفوسهم لمشكلتهم الطارئة.

المطلب الثالث: مقومات الحركة

١ - ذيوع الفكرة المادية:

إن هذه الفكرة وضعت على أساس التفكير المادي البحت ، دون التوجه إلى أن الله عزوجل هو الخالق ، وهو الرازق. يقول الإمام المودودي :

"... إن الماء الذي يفرزه كل رجل في كل اتصال من اتصالاته الجنسية ، يمكن أن تحمل به ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ مليون امرأة في آن واحد ، فلوا أن القدرة التناسلية لرجل واحد فقط، وجدت أمامها مجالا كاملا للاتساع والنمو، لاكتظت الأرض اكتظاظا كليا بأفراد نسله وحده في سنوات قلائل ، ولكن من ذا الذي قد أقام الحاجز أمام هذه القوة التناسلية العاتية منذ مئات الآلاف من السنين بحيث لم يدع نوعا من أنواع خلائقه يتعدى الحدود المعينة لزيادة نسله وتكاثر أفراده ؟ هل ترون كل ذلك لايتم إلا بتدابيركم العلمية وتجاربكم الصناعية أم بحكمة بالغة من الله العليم الخبير؟ بل الذي تشهد به تجاربكم العلمية نفسها أن هناك قوة غير محدودة للنمو والازدهار في المادة ذات الحياة بحيث إن جسيما واحدا من الجسيمات النامة ذات الخلية الواحدة فيه من قوة النمو والتضخم مالو بقي ينال غذاءه بتسلسل كامل وأتيحت له فرصة التفتت تلو التفتت، لاستطاع في مدة خمسة أعوام فقط أن يولد من المادة ذات الحياة ما يكون حجمه أكثر من حجم الكرة الأرضية بعشرة آلاف مرة . ولكن من ذا الذي قد أقام سيطرته الجبارة على هذه الخزانة من

قوة الحياة ؟ ومن ذا الذي خرج من هذه الخزانة مخلوقات لا عداد لانواعها، وعلى قدر معلوم لا إفراط فيه ولا تفريط ؟ .." [٥]

٢ ـ توهم ندرة الموارد:

وتنبع وتستمد هذه الفكرة من المصوغ الأول ، الفكرة الإلحادية . ويجدر الرد على ذلك أن الموارد في الأرض مقدر كفايتها للبشر جميعا مهما تكاثروا وتضاعفت أعدادهم ، وهذه مسألة من صميم الإيمان وجوهر التوحيد ..

يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ [٦] وأيضا :﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [٧] ويقول الحق سبحانه :﴿ وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ﴾. [٨] ودلالة هذه الآيات ـ وما بتلميحها ـ أن الحكيم الخبير سبحانه وتعالى قد خلق كل شيء بقدر، وأنه بارك في الأرض وقدر وهيأ فيها ـ بحكمته البالغة ـ أقوات المخلوقات جميعا .. ثم يتأكد هذا بما ورد في القرآن الكريم ، من مثل قوله تعالى :﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [٩] . وقوله كذلك :﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ [١٠] ومن المسلمات الإيمانية ـ والواقعية أيضا ـ أن الأفراد والجماعات تتفاوت في حظوظها من الموارد والدخول ، فالمولى عزوجل : قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والأفهام .. وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة .و قد تأكد هذا المعنى في مواضع عدة من القرآن الكريم ، نذكر منها قوله جل شأنه:﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ [١١] ﴿ والله فضل بعضكم على

---

٥ ـ حركة تحديد النسل ، للمودودي ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

٦ ـ سورة الفرقان : ٢.

٧ ـ سورة القمر : ٤٩.

٨ ـ سورة فصلت : ١٠ .

٩ ـ سورة هود :٦.

١٠ ـ سورة ابراهيم : ٣٤.

١١ ـ الآية الأخيرة من سورة الأنعام.

بعض في الرزق ﴾ [١٢] ، وقوله ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ [١٣].

والذي أفهمه من هذه الآيات - ولله الحكمة البالغة - أن ذلك التفاوت يأتي في كثير من الأحيان نتيجة اختلاف الجهد المبذول في العمل والانتاج ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [١٤] . كما يأتي نتيجة للفروق الفردية في المواهب والملكات التي يتمتع بها كل شخص ... فضلا عن أن ذلك (التفاوت) من مقتضايات الحياة ووظيفة الإنسان فيها ، حتى تتكامل الأدوار الانسانية والخدمات، فلا تتعطل بعض الأنشطة أو الخدمات (كما تقرر آية الزخرف السابقة).

ومهما يكن من أمر فإننا - نحن المسلمين - نؤمن بأن هنالك عدالة تحكم هذه الأقدار والمتغيرات التي تصيب الناس أفرادا وجماعات، ولذلك فالمقارنة بينهما يجب ألا تتوقف عند نوع معين من العطاءات - كالأرزاق مثلا - وإنما ينبغي أن تشمل أيضا كل الجوانب التعويضية في نعم الله على كل فرد بما في ذلك عطاؤه في الآخرة .. وحسب المرء أن يقنع بما رزقه الله ، فهذه القناعة تحصنه من الجشع والحسد . كما يجب أن يكون نشاطه وطموحه في حدود ما قدر له ، وأن يثق بأن السعادة ليست في وفرة أعراض الحياة ولكنها في داخل النفس ..

- هذا ومع إيماننا بدقة صنع الخالق جلت حكمته ، وأن عنده خزائن كل شيء ، وأنه قدر في الأرض أرزاقها بدقة وقدر معلوم - فإن هذا القدر المعلوم لم تترك حساباته لتقدير الإنسان وأهوائه ، وإنما تحدد وفقا لمشيئة الله في خلقه ، وقد اقتضت هذه المشيئة - وهو أعلم بمراده - أن يأتي التقدير العام للموارد أقل قليلا مما يقتضيه هوى النفس البشرية ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ [١٥] . فيظل الانسان - على هذا - في فقر دائم إلى الله مستشعرا ربوبيته وقدرته ، متوجها إليه بالامتثال والدعاء ، فإن استجاب

---

١٢ - النحل :٧١

١٣ - الزخرف:٣٢.

١٤ - الشورى:٢٧. ، سبق ٩٧ .

١٥ - الشورى : ٢٧

شكر ، وإن أمهله صبر ... وهذا كله خير ومحقق للهدف الذي خلق من أجله الإنسان .. ويأتي هذا التصور متفقا - بحسب فهمي - مع ما بينته النصوص في القرآن والسنة الصحيحة. [١٦]

المطلب الرابع : أخطاء نظرية مالتوس

في الغرب نفسه:

فكما يرى مالتوس أن نظريته الشهيرة : أن السكان يتزايدون بنسبة متوالية هندسية، وأما الطعام فيتزايد بنسبة متواليد حسابية ... فثبت تاريخيا خطؤه.

بيد أن هناك - بالرغم من هذه التوهمات - ندرة في الموارد. إلا أن لدى التعمق ، يوجد علل أخرى لهذه الندرة. يقول فالكاف سميل أستاذ جامعة مانيتابا :

" إذا لم يكن بوسع الفقير شراء الطعام، أو لم يكن يصله، ذلك مشكلة من نوع آخر. [١٧]

وهو يقترح طرقا أخرى لمكافحة الندرة ، ويقول:

" ولإطعام أفواه أكثر ، يذهب السيد سميل إلى ان هناك طرقا آخرى لتكثير الطعام ، لا أكثر من تغيير أسعار مناسبة، وقليلا من التثقيف، تقنية أحسن وحدها كفيلة عن إطعام ثلاث ملايين أخرى . إخصاب ٢٠٪ من الأراضي وتغييرات غير جوهرية - كي تصل نسبة الأراضي الزراعية إلى ٣٥٪ وذلك أمر ميسور، كفيل لإطعام مليونين، إلى مليونين ونصف لغاية عام ٢٠٥٠م. [١٨]

المطلب الخامس - التنظيم في البلاد الإسلامية

---

١٦ - الندرة النسبية والمشكلة الاقتصادية للدكتور ابراهيم محمد عبدالرحيم (مجلة الوعي الإسلامي العدد ٢٩٠ صفر ١٤٠٩).

١٧ - Valcav Smil Writing in Population & Review , the population Council New York June ١٩٩٤ Development نقلا من مجلة The Economist سبتمبر ١٩٩٤.

١٨ - نفس المرجع والصفحة. وسنرى العلل الأخرى للندرة في شتى مباحث الفصل الثالث من هذا الكتاب.

أما فكرة تنظيم النسل في البلاد الإسلامية ، فبضاعة مستوردة، لم تكن يوما وليدة ظروف حقيقية دعت إلى هذه الفكرة. و سنرى مدى اصطناع هذه المسوغات، فمدى علاجها. وسنناقش أن الكثرة ليست علة، كما أن التنظيم ليس علاجا . فتداوى غير المرض بسبب أعراض جانبية ، لانطيق تحملها .. فلنكن على وعي على ما سنعالج.

وعل كل فإن هناك جهودا و أموالا طائلة تنفق اليوم بكل سخاء لنشر حركة تحديد النسل أو تنظيمه في البلاد الشرقية عامة والبلاد الإسلامية خاصة.

ومن دواعي الأسف وبواعث الأسى أن عالمنا الإسلامي قد نشأت فيه طبقة متطفلة على الغرب لا تنظر في الأمور ولاترى فيها رأيها إلا بعين الغرب ، وقد فتنتها مدنيته الزائفة وحضارته المزخرفة حيث قد ضحت في سبيل التصبغ بصبغته بكل ما آتاها الله من الحرية الفكرية والعقلية ، وهي ـ كما يقول الأستاذ خورشيد أحمد في استعراضه العلمي لحركة تحديد النسل ـ بدل أن تجشم نفسها الاجتهاد والكدح ، تركن دائما إلى تقليد الغرب ومحاكاة أهله ، وهي بدل أن تتفكر بعقلها تحب أن تتبع الغرب في حياتها اليومية تقليدا أعمى. إن العصبية والتقليد لايجدان في طبقة مخصوصة من المتدينين فحسب ، وإنما هما يوجدان كذلك على صورة أفظع وأشنع في أولئك المتنورين الذين يفتخرون بثقافتهم الجديدة وحضارتهم العصرية ..[١٩]

والنصائح التي تقدمها أمريكا وأوربا لشعوب الإسلامية نتيجة خوفها من تزايد سكان العالم الإسلامي. تقول مجلة "تايم" الأمريكية في عددها الصادر في ١١ يناير ١٩٦١:

" إن هذيان أمريكا وكل ما تبذل من النصائح والمواعظ عن مشكلة السكان إنما هو نتيجة ـ إلى حد كبير ـ لشعورها بتلك النتائج والمؤشرات السياسية المتوقعة على أساس تغير الأحوال في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وخاصة على أساس زيادة السكان في هذه المناطق بحيث يصبحون أغلبية في العالم".[٢٠]

المطلب السادس

---

١٩ - استعراض علمي لبروفيسور خورشيد أحمد ص ١٨٢

٢٠ - Sociology: by Broom & Selznick الطبعة الثالثة ص ٣٠٥ وما بعدها ، وحركة تحديد النسل للأستاذ أبوالأعلى المودودي ، إستعراض علمي لحركة تحديد النسل ص ١٨٣.

تحديد النسل في البلاد العربية:

إن الدعاية لتحديد النسل ظهرت في البلاد الإسلامية من مصادر أوربية وأمريكية ، ولم تفرق بين بلد ذات موارد كثيرة ، و أخرى قليلة ، وكانت في الماضي تظهر وتختفي ، حتى إذا احتلت إسرائيل الأراضي المقدسة وأخرجوا أهلها من ديارهم وأموالهم وأرضهم ، وظاهر على إخراجهم الأمريكان والإنجليز وغيرهم من أهل أوربا ، وأكثر أهل أمريكا - عندئذ وجهت الدعاية إلى تحديد النسل بعنف ولجاجة ، وتخص البلاد العربية التي تحيط بإسرائيل بالدعاية، تحتل ربوعها حتى ما كان منها سكانه لايصل إلى خمسة ملايين، وفيه موارد طبيعية، تتسع لثلاثين أو أربعين، وفي أهله مهارة في الصناعة، وكياسة في التجارة كسوريا، وكانت الفكرة الباعثة تتكشف بهذا التعميم، فاتجهوا إلى التخصيص إلى حد ، وخصوا مصر بالدعاية اللجوج ، لأن دعوى قلة الموارد الطبيعية فيها ربما تروج ، ولأن سكانها في نماء ببركة الله تعالى ، ولأنها تقف بالمرصاد دائما لإسرائيل ولأن جيشها المظفر بعون الله تعالى هو قوة العرب أجمعين. [٢١]

وكذلك لايطبق برنامج تنظيم النسل في أي بلد إسلامي إلا وقد لوحظ اعتبارات أخرى ، وروعي ملاحظات أخرى أكثر من الاهتمام بماهية المشكلة.

---

[٢١] - تنظيم الأسرة للأستاذ أبي زهرة ، ص ٩٣ - ٩٤.

الفصل الثاني

في

أسباب إزدياد السكان

وفيه ثلاث مباحث:

حيث تتمثل العوامل المؤثرة في إزدياد السكان بكل بساطة في ثلاثة أمور، وكل واحد قد عولجت في مبحث على حدة:

المبحث الأول: الخصوبة:

المبحث الثاني: قلة الوفيات

المبحث الثالث: الهجرة:

٢-١٣٣٢

المبحث الأول

في

الإخصاب

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الخصوبة

المطلب الثاني: اختلاف الاخصاب والأعمار، وفيه فرعان:

الفرع الأول: إزدياد الأعمار

الفرع الثاني: الأعمار في القرن الحاضر

المطلب الثالث: في أساس الإخصاب ، وفيه فرعان:

الفرع الأول: العلاقات الجنسية ، وفيه ثماني مسائل.

الفرع الثاني: العلاقات الجنسية غير المشروعة

المطلب الرابع: في التناسل بالوسائل العلمية الحديثة وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: التلقيح الصناعي وفيه مسائل:

الفرع الثاني: الرحم الموجر

الفرع الثالث: أطفال الأنابيب أو التلقيح الاصطناعي الخارجي

المطلب الأول

الخصوبة:

إن الرغبة في الحياة والرغبة في التناسل والمحافظة على النوع غريزة بشرية. وهذا الأمر يسمى إخصابا، ويتكون بعديد من الطرق ، كلها ـ أيا كان منشأها ـ ينتهي بإتصال الزوج بالزوجة.

و معدل الولادة في المعنى السكاني هو أحد مركبات زيادة السكان ، وهو سرعة ظهور الأطفال في هذا المجتمع أو ذاك . ويراد عدد المواليد الأحياء لكل ١٠٠٠ نسمة من متوسط عدد السكان السنوي.

وتنحصر فترة المقدرة على الانجاب لدى النساء من الناحية الفسيولوجية بين سن الخامسة عشرة والتاسعة والأربعين بصفة عامة.[١]

ثم أكثر مقاييس الخصوبة المستخدمة شيوعا هي نسبة المواليد العامة (crude birth rate) وهي نسبة العدد السنوي للمواليد إلى المجموع الكلي للسكان في الألف ـ على الراجح بين الديموغرافيين ـ.

المطلب الثاني ـ اختلاف الإخصاب والأعمار:

تخضع الخصوبة ارتفاعا أو انخفاضا بين السكان لعوامل اجتماعية كثيرة ، فتختلف الخصوبة بين سكان المدن وسكان الريف ، وباختلاف المهنة ، التعليم ، الدخل ، المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، الدين والسلالة ، الأصل القومي. وتتداخل المجموعات السكانية تبعا لهذه التصنيفات في بعضها البعض الآخر بدرجات متفاوتة. وحول هذا اختلافات وتوضيحات كثيرة لا مجال لها ولا داعي لسرد تفصيلها.[٢]

---

١ ـ ١٣٦ - ١٣٥ ص ١٩٣٠ Dojn Dewy , Human Nature and Conduct, New York .

٢ ـ انظر : علم السكان ص ١٠٢ و ما بعدها ، و Class Fertility trend in Western Nations, و أيضا P.K. Whelpton and Clyde Kiser Social Psycholgical Factors Affecting Fertility, Vol ١ New York; Milbank Memorial Fund ١٩٤٦ Part ١.

الفرع الأول - إزدياد الأعمار:

تدرج الانسان في ازدياد عمره بمروز الزمن . فلقد كان متوسط عمر الانسان حتى في العصرالبرونزي أقل من أربعين عاما ، إذ كان يموت من الأوبئة والكوارث الطبيعية والحوادث والمجاعات ، بل من المجازر أيضا".[٣]

وما زالت هذه الأعداء لحياة الإنسان تعمل ، ولكن نجاحها قل كثيرا ، فقد تمكن الإنسان من هزيمة كثير من الأعداء. وقد أدى هذا إلى أن يعيش أعمارا أطول ، مما يتيح له فرصا أطول للتوالد والتكاثر.[٤]

وإن كان ابن خلدون يعتقد غير ذلك ... يقول ابن خلدون:

" إعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة ، وهي سنة القمر الكبرى عند المنجمين. ويختلف العمر في كل جيل حسب القرانات ، فيزيد عن هذا وينقص منه . فتكون أعمار بعض أهل القرانات مائة تامة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات عند الناظرين فيهاالمطلب . وأعمار هذه الملة ما بين الستين إلى السبعين كما في الحديث. ولايزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الأوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود".[٥]

الفرع الثاني - الأعمار في القرن الحاضر:

وبشكل عام فقد إزداد العمرالمتوسط المنتظر لاستمرارية الحياة بشكل ملحوظ خلال الـ ٣٠ سنة من ١٩٥٠- ١٩٥٤م إلى ١٩٨٠ - ١٩٨٤م. وبلغت الزيادة تقريبا ٧١,٤ سنة للرجال ،

= والسباق بين الانسان والطعام ص ٨ ومابعدها.

٣ - لست بصدد مناقشة الموضوع من منطلق ديني ، وإنما مجرد استعراض ما قال وذهب إليه علماء القدماء والديموغرافيون.

٤ - السباق بين الانسان والطعام ص ٢٩.

٥ - مقدمة ابن خلدون -

وللنساء ٧٨,٩ سنة عام ١٩٨٥- ١٩٨٩. ومن المتوقع أن يصل إلى ٧٤,١ ، سنة ٢٠٢٤ . وقد بلغت أعلى معدلات الحياة في أمريكا الشمالية وكانت للرجال و ٨١,١ سنة على التوالي وذلك عام ١٩٢٤م. بينما المعدل الأدنى هو في أفريقيا حيث بلغ ٤٩,٨ سنة للرجال و ٥٢,٩ للنساء عام ١٩٨٥ - ١٩٨٩. ومن المتوقع أن يصل عام ٢٠٢٤م إلى ٦٢,٧ و ٦٦,٤ على التوالي. أما فيما يخص الوطن العربي فقد بلغ متوسط عمر الانسان عام ١٩٨٧م ٥٩,٥ سنة للرجال و٦٢,٨ للنساء. ومن المتوقع أن يصل إلى ٦٩,١ سنة للرجال و ٧٣,٨ للنساء عام ٢٠٢٤م.[٦]

ويرجع فضل ذلك إلى تطور الحضارة التي عالجت كثيرا من الأمراض وخفضت أسباب الوفاة المبكر.

وهكذا يلعب هذا المقوم لنمو السكان دورا إيجابيا وتحولا ديموغرافيا ويصعد نحو العلا ليصل عدد السكان درجة لم يسبق له نظير في التاريخ البشري المعروف.

---

٦ - علم السلالات البشرية من صفحة ٢- ١٠

المطلب الثالث

في

أساس الإخصاب

وفيه تمهيد و فرعان:

تمهيد - العلاقات الجنسية:

العلاقات الجنسية التي تنتشر أشكالها في كل العصور من حياة البشر ، لا تخرج عن مجالين هما: علاقات جنسية مشروعة كالزواج بكل صوره ، وعلاقات جنسية غير مشروعة كالزنا بكل صوره.

وحيث أن لكل منهما له دور في ما نحن بصدد معالجته ، برغم ما من فرق شاسع بينهما في عديد من النواحي ، فنحاول أن نستعرض باختصار كل منهما بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

الفرع الأول: الزواج:

وفيه ثماني مسائل:

أول عقد شكل على صعيد الأرض هو عقد الزواج ، وهو زواج آدم بحوا أبوي البشر عليهما الصلاة والسلام . فهما اللذان صنا هذه السنة التي بها البقاء واستمرار الحياة وبتعهما أبناؤهما بقاطبتها. فطرة فطر الله الناس عليها. ومن حكمة الله عزوجل أن وضع الغريزة فيه، وخلق الحب بين الأسر.

والزواج هو الوسيلة الوحيدة التي بها يتم التناسل والبقاء ، ويتكاثر ، ويتسلسل .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولايخفى ما في هذا التكاثر والتناسل من محافظة على النوع الإنساني. فيه حكمة إجتماعية ومصلحة إنسانية.

وحيث أن الزواج وسيلة بناء الأسرة ، ومحور الحياة بأجمعها ، فإن له دورا جوهريا. فلذلك ما من دين ومذهب وحضارة إلا وضع شروطا وقواعد وضوابط معينة ومحددة بحيث لايجوز بحال تخطيها . وأي تهاون بهذا الشأن يؤدي إلى كارثة يعلم الله مداها. ولأهمية التناسل شرع الإسلام معالجة العقم طلبا للإنجاب .

وقد اعترفت به كافة المجتمعات قديمها وحديثها. فثم من أجاز تعدد الزوجات ، كما أن هناك تعدد الزوج يعتبره بعضا أمرا دينيا ، بينما يعتبرة الآخر دنيويا.

وعموما كانت هناك شروطا وقواعد متشددة بشأن الزواج .

وقد أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة حول هذا الموضوع الذي يكاد يقدس لأهميته. كما أن أمر الزوج شايع بين كل الموجودات.

يقول سبحانه وتعالى:﴿ الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به أزوجا من نبات شتى﴾ [٧] وقوله تعالى: ﴿ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا يذرءكم فيه ﴾ [٨] وقوله تعالى:﴿ ومن كل شيئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ [٩] وقوله تعالى: ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون﴾ [١٠] وقوله تعالى: ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ [١١] وقوله تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ [١٢] وقوله تعالى: ﴿ والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ [١٣]

---

٧ ـ سورة طه الآية :٥٣

٨ ـ سورة الشورى ١١

٩ ـ سورة الذاريات ٤٩.

١٠ ـ سورة يس آية ٣٦.

١١ ـ سورة فاطر ١١.

١٢ ـ سورة الروم ٢١.

١٣ ـ سورة النحل٧٢.

ثم إن الدين يحث على الزواج. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ [١٤]

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فيتزوج ، فإنه أغضّ للبصر،وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". [١٥]

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه :" جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (وجدوها قليلة) ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني". [١٦]

وبعد هذا التمهيد الذي يبرز أهمية الزواج في الإسلام ، نبدأ بتعريف الزواج ومايتعلق به من الأحكام.

المسئلة الأولى - مفهوم الزواج في الفقه:

الزواج لغة: المخالطة والمقارنة ، تزوجه النوم : أي خالطه. [١٧]

---

١٤ - سورة النساء٣.

١٥ - رواه مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، الجزء الثاني، كتاب النكاح حديث ١، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦ - البخاري، باب النكاح، الحديث رقم ١، المجلد الثالث ، طبع دار الجيل - بيروت، و مسلم باب النكاح حديث رقم ٥.

١٧ - مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ص ٢٧٨، طبع دار القبلة للثقافة الاسلامية جدة. المعجم الوسيط ١/ ٤٠٥ .

و اصطلاحا : و الزواج أو النكاح : الضم والجمع ، أو عبارة عن الوطأ والعقد جميعا ، أو حقيقة في الوطأ ومجاز في العقد .[١٨]

المسئلة الثانية ـ أركان الزواج:

وأركان الزواج عند جمهور فقهاء المسلمين أربعة :

١ : الإيجاب ٢: القبول ، ٣ : الزوج ، ٤ : الزوجة.

أما الحنفية فركن الزواج عندهم : الإيجاب والقبول.[١٩]

المسئلة الثالثة ـ شروط انعقاد الزواج:

ثم شروط لانعقاد الزواج في العاقدين ـ الرجل والمرأة. وشروط العاقدين في الصيغة ـ الإيجاب والقبول .[٢٠]

المسئلة الرابعة ـ شروط العاقدين:

وشروط العاقدين هي:

١ ـ أهلية التصرف

٢: سماع كلام الآخر.

ويشترط في صيغة العقد:

١ـ اتحاد المجلس مع اختلافات فقهية بين الفقهاء بين جزئياتها.

---

١٨ ـ المغني لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي ٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦٦ نشر مكتبة الجمهورية العربية ، بمصر ، و مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، و رد المحتار على در المختار ٣ /ص ٥ الشهير بحاشية ابن عابدين للشيخ محمد أمين بن عابدين، مطبعة مصطفى الحلبي.

١٩ ـ رد المحتار على در المختار ٣ /ص ٥ .

٢٠ ـ المغني ٦/ ٢٥٩ ــ ٢٦٦ و رد المحتار على در المختار ٣ /ص ٥ ٥ و مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج: لمحمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج ، لأبي زكريا يحي بن شرف النووي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٢ - توافق القبول مع الإيجاب ومطابقته له . [٢١]

٣ - التنجيز في الحال .

المسئلة الخامسة - أقسام الزواج :

ينقسم الزواج إلى قسمين :

١ - الزواج الشرعي : وهو الذي يتوفر فيه كافة الشروط التي سبق ذكرها .

٢ - الزواج الذي يفتقد أحدى أو أكثر هذه الشروط . [٢٢]

---

٢١ - المغني ٩،٤٦٢ ، رد المحتار على الدر المختار ١٤/٣ و ٢١.

٢٢ - من أنواع هذه الزيجات (والإسلام لا يعتبر هذه التزاوجات زواجا ، و إن كانت بعض منابع الغربية تعتبرها زواجا):

- الزواج العرفي :

" ... الزواج العرفي هو الزواج الذي لايكتب في الوثيقة الرسمية التي بيد المأذون ، وقد تصحبه توصية الشهود بالكتمان ، وبذلك يكون من زواج السر ، وربما لاتصحبه توصية بالكتمان فيأخذ إسمه الخاص وهوالزواج العرفي". لأنه فقد شرط التوثيق ، وهو إذا لم يصحبه وصية بالكتمان فلا شك في مشروعيته.

٢ - الزواج الذي كان مباحا ثم حرم:

زواج المتعة : أن يتفق رجل مع امرأة خالية من الأزواج على أن تقيم معه مدة ما ، معينة أو غير معينة ، في مقابلة مال معلوم " وقد كان ذلك مباحا ثم حرم.

(للمزيد من التفاصيل راجع الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ص ٢٧٣ - ٢٧٤.)

وهناك زيجات عديدة نظريا - والتي يعتبرها بعض المنابع العلمية الغربية زواجا ويعتبرها فقهاء المسلمين تزاوجا ، ماعدا النوع الأخير - إلا أنها من الشواذ غير المعترف بها لدى المجتمعات المتحضرة:

أولا : Promiscuity حرية ممارسة الجنسي بغض النظر عن السن ، والدم ، وحالته الإجتماعية . .. هذا النوع من الزواج وجد في Azanda وهي قبيلة كبيرة في شرق سودان ، الرئيس الأعلى يجب أن يتزوج بناته الكبار. كما كان زواج الأخ بالأخت رائجا في مصر القديم بين Incas of Peru.

ثانيا : الزواج بالإسارة Mirrage by Capture:

يعتقد الكتاب القدماء أنه كان هذا وسيلة الزواج، بأن يأسر رجال قبيلة نساء قبيلة أخرى ، إلا أن هذه الفكرة قد اعترض عليها. وكان ذلك أمرا نادرا غير مشاع ، وكان ذلك بين قبيلتي كوامًا Kuwama و متاكو Mataco.

ثالثا: الزواج الجماعي: Group Mirrage:

ناهيك عن الزيجات المتداولة في بعض المجتمعات البدوية . وعلاوة عن العلاقات غير الشرعية تحت شتى الأسماء ، كالخليلات والصديقات .

المسئلة السادسة: - أهمية الزواج :

ويمكن نلخص أهمية الزواج في الأمور التالية ، حسبما يلي :

١- المحافظة على النوع الإنساني.

٢ - المحافظة على الأنساب:

٣- سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي.

٤- سلامة المجتمع من الأمراض.

٥ - السكن الروحاني والنفساني.

٦ - تعاون الزوجين في بناء الأسرة وتربية الأولاد.

٧ - تأجج - إشباع - عاطفة الأبوة والأمومة. [٢٢]

المسئلة السابعة - فلسفة الزواج في الإسلام:

زواج جماعة من الرجال بجماعة من النساء ، بلا أي عقد بين رجل وامرأة محددة . ذهب علماء سلالات البشرية (Antropologicals) أن ا لزواج هذا كان رائجا بين ماركسويين في بولينيا ، وتودا في الهند ، وكينفانع في برازيل . إلا أن هذا لم يكن شائعا ، بل بين فريق محدد منهم.

رابعا: تعدد الأزواج: (Polynder) زواج مرأة برجال عديدة ، برغم كثرته بالنسبة لسابقه مع ذلك إنه نادر. فهناك منابع تؤكد أن هذا النوع يحدث في أقل من ١٪ من المجتمعات. وقل رجل يتنازل في الاشتراك مع رجال في مرأة واحدة. وهذا النوع وجد في تودا في الهند ، ثبت في الصين ، و ماركسين . ويبدو أن هذا الأمر كان شائعا لظروف صعبة.

خامسا : تعدد الزوجات: (Polygame) زواج رجل من عديد من النساء ، وذلك شايع في شتى بقاع العالم.

سادسا: الزواج الفردي (Monogamy) : زواج رجل بمرأة واحدة ، الشكل المعترف به في أوساط كافة المجتمعات البشرية، وهذا هو المفضل.

اقتباسا من : ٧ .٧ Encyclopedia International P:٣٦٦ باختصار و تصرف يسير.

٢٢ - تربية الأولاد في الإسلام ص ٣٥ - ٣٧ - عبدالله ناصح علوان - الجزء الأول ، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة .

يقول الإمام الغزالي أن النكاح " فيه إراحة للقلب و تقوية له على العبادة ، فإن النفس ملول ، وهي من الحق تفور ، لأنه على خلاف طبعاها ، فلو كانت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثارت، وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت ، وفي الإستئناس بالنساء من الراحة ما يزيل الكرب ، ويروح عن القلب ، وينبغي لنفوس المتقين استراحات بالمباحات. ولذا قال تعالى في شأن الزوجة :[ليسكن إليها]. [٢٤]

ويقول الأستاذ محمد أبوزهرة في كتابه " محاضرات في عقد الزواج وأثاره":

والزواج هو المقوم الأول للأسرة ، والأسرة هي الوحدة الأولى لبناء المجتمع. فإذا كان الإنسان حيوانا اجتماعيا لايعيش إلا في مجتمع . فالوحدة الأولى لهذا المجتمع هي الأسرة ، فهي الخلية التي تتربى فيها أنواع النزوع الاجتماعي في الإنسان في أول استقباله للدينا. ففيها يعرف ماله من حقوق، وما عليها من واجبات، وفيها تتكون مشاعر الألفة والأخوة الانسانية . وتبذر بذور الإيثار، فتنمو أو تخبو بما يصادفها من أجواء في الحياة العامة ، وفي الجملة إن المجتمع القوي إنما يتكون من أسر قوية ، لأنها وحدة البناء." [٢٥]

وإن حفظ النوع الإنساني كاملا يسير في مدارج الرقي إنما يكون بالزواج ، فإن المساندة لاتحفظ النوع الفناء ، وإن حفظته لاتحفظه كاملا يحيى حياة راقية.

إن المقصود من الزواج في الإسلام ليس هو قضاء الوطر الجنسي ، بل الغرض أسمى من ذلك ، ولذلك اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم سنة الإسلام ، فقال :" وإن من سنتنا النكاح ، ما كان الزواج سنة الإسلام ، لأن فيه قضاء الطبع الإنساني فقط ، بل لمعان اجتماعية ونفسية ودينية .

المسئلة الثامنة ـ حكم الزواج:

والزواج مشروع بالكتاب والسنة والإجماع. فأما الكتاب ، فقوله تعالى: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ [٢٦] . وقوله تعالى:﴿ وانكحوا الأيامى منكم﴾ [٢٧] .

---

٢٤ ـ الغزالي ـ إحياء علوم الدين ، أدب المعاشرة ، ص ٨٧، للإمام أبي حامد محمد الغزالي، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٥ ـ محاضرات في عقد الزواج وأثاره ص ٤٥ـ ٤٦ ـ للأستاذ محمد أبوزهرة ـ طبع ونشر دار الفكر العربي.

٢٦ ـ النساء : ٣

أما السنة ، فقوله صلى الله عليه وسلم:[يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج] [٢٨]

ويختلف حكم الزواج الشرعي عند الفقهاء :

فقد اتفقوا على فرضيته إذا تيقن الإنسان الوقوع في الزنا لو لم يتزوج ، وهو قادر على النفقة .

ويحرم إذا تيقن الشخص الإضرار بالزوجة ، بحيث أنه غير قادر على النفقة ، أو العدل عند الزواج بالثانية. ويدل على ذلك الآية :﴿ وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾[٢٩] . ويكره الزواج إذا خاف الوقوع في الإضرار - مجردا عن اليقين.

أما في مذهب الظاهرية :

أما في مذهب الظاهرية فقد ذهبوا بأن الزواج واجب ، ويأثم الإنسان بتركه.

واستدلوا : بأن الصيغة وردت بلفظ الأمر (وانكحوا) والأمر للوجوب فيكون النكاح واجبا ، وبأن الزواج طريق الاعفاف النفس عن الحرام ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فيأثم تاركه.[٣٠]

٢ - ذهب الجمهور (المالكية والحنفية والحنابلة): أن الزواج مستحب ومندوب وليس بواجب.

واستدلوا بعدة أدلة :

أ - لو كان الزواج واجبا لكان النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف شائعا مستفيضا بعده و كان من الرجال والنساء لم يتزوجوا ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم لعموم الجاحة إليه. ولما بقي أحد لم يتزوج في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأعصار.

دل ذلك كله على أنه ليس واجبا.

---

٢٧ - النور ٣٢

٢٨ - رواه البخاري - باب النكاح - النسائي باب النكاح ٣.

٢٩ - سورة النور : ٣٣.

٣٠ - المحلى لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .

ب ـ لو كان الزواج واجبا لكان للولي إجبار الثيب على الزواج مع أن الإجبار غير جائز شرعا لقوله عليه السلام (ولاتنكح الثيب حتى تستأمر) أي تأمر وترضى بالزواج. [٣١]

ج ـ قال الجصاص :(ومما يدل على أنه على الندب اتفاق الجميع على أنه لايجبر السيد على تزويج عبده وأمته وهو معطوف على (الأيامى) فدل على أنه مندوب في الجميع . [٣٢]

٢ـ قوله عليه السلام: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة) [٣٣]

٣ ـ مذهب الشافعية: أن الزواج مباح ولا إثم بتركه . ويستدل بأنه قضاء لذة ونيل شهوة فكان مباحا كالأكل والشرب.

ويرجح الأستاذ محمد علي الصابوني مذهب الجمهور من أن الزواج مندوب للحديث الصحيح : (من رغب عن سنتي فليس مني)

---

٣١ ـ البخاري ، باب الحيل ١١، الترمذي باب النكاح ١٨ ، ابن ماجه باب النكاح ١١.

٣٢ ـ أحكام القرآن للجصاص ج ٣/ ص ٣٩٤ ، أخرجه نصب الراية في تخريج احاديث الطحاوي ؟

٣٣ ـ رواه ابو داود ، كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء .

الفرع الثاني - العلاقات الجنسية غير المشروعة:

مما لعب دورا أساسيا في تغيير الديموغرافي في العصر الحديث هو العلاقات الجنسية غير الشرعية التي فتحت أبوابها على مصراعيها في المجتمعات الغربية [1] على شتى أنواعها ، وتحت شتى الأسماء وتحت ألقاب معسولة من الحرية وحقوق الإنسان وما إلى ذلك ، حتى غدا الجنس الشغل الشاغل لمعظم أفراد المجموعة البشرية ، بل أضحت الممارسة والاغراق فيه غاية الحياة وقمة الامنيات لدى كثير من الناس ..

المسئلة الأولى - الغرب الحر :

فالغرب يرى أن المرأة حرة في اختيار أي أب للجنين الذي في بطنها . وتأتي به من زواج وبغير زواج. فإذا امتلأ بطنها فهي حرة في أن تجهض نفسها وفي أن تلد .. تلد لنفسها ، أو تكون حاملا لحساب إمرأة أخرى .. أو أسرة لا تنجب الأطفال . أي أن المرأة حرة في أن تلد لنفسها أو لغيرها... ويكون دورها دور الدجاجة التي تنام على بيض غيرها .. أو يكون الطفل في بطنها أمانة أو عهدة.

هذا ، علاوة على ما يرتكب من هذه المعاصي بما يسمى بالإغتصاب والإكراه ، ونشير هنا إلى أمثلة منها:

فقد جاء في جريدة القبس الكويتية :" ... تشير الأمم المتحدة أيضا إلى العلاقات الجنسية التي تتم بواسطة الإكراه وتذكر أن الملايين في سن المراهقة يتعرضون للاغتصاب أو للممارسة الدعارة. وأشار التقرير إلى أن نصف مليون مراهقة يعـ في البرازيل من الدعارة ، وتقل أعمار قسم كبير من المومسات في تايلند عن السادسة عشرة ، أما في الولايات المتحدة فإن أعمار ٦٠ بالمئة من اللواتي يتعرضن للاغتصاب لا تتعدى الثامنة عشرة. [2]

---

١ - لم يقف الدعارة حد الممارسة ، بل ومن الدول الأوربية ما قنن الفحش وأجازها رسميا ، انظر - على سبيل المثال - هذا الخبر في "الأهرام العدد ٢٨٩١٨ / ١٩٦٦ والذي ينص كالأتي: " وافق مجلس العموم البريطاني أمس على قانون باعتبار الشذوذ الجنسي عملا مشروعا بين البالغين ، وقد تمت الموافقة بأغلبية ١٢٤ صوتا ضد ١٠٧ أصوات وقد استقبل الجالسون في شرفة الزوار الموافقة بالتصفيق ".

٢ - القبس / الكويت ١٠/٩/١٩٩٤.

المسئلة الثانية ـ شيوع الدعارة بين كافة الطبقات :

فقد شاع الزنا بين شتى الطبقات، وشاع بالتالي الإجهاض ووسائل منع الحمل .

ذكر تقرير لمعهد أمريكي متخصص " المعهد الدولي للعمل من أجل الشباب" تسجل في صفوف المراهقات سنويا ١٥ مليون حالة حمل وتشكل عمليات إجهاض النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و ١٩ سنة نسبة ١٠ بالمائة من مجمل عمليات الإجهاض في العالم.

و" عددا كبيرا من الفتيات الأميركيات اللاتينيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و ١٩ عاما يمارسن نشاطا جنسيا ، أما في الولايات المحدة فإن ربع الشباب في الخامسة عشرة من العمر يمارسون نشاطا جنسيا وتصل نسبة ممارسة الجنس بين الشباب البالغين أقل من ١٧ عاما في آسيا نحو ٧٠ بالمائة. [٣]

المسئلة الثالثة ـ الخيانات الزوجية:

والخيانات الزوجية في الغرب ، لا يعرف لها حد .

وقد نشرت صحيفة (الشرق الأوسط) اللندنية في عددها الصادر ١٩٧٩/٧/١٥ أن ٧٥ ٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوربا ، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته ، وفي كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته ، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها ، ومع هذا قد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية دون أن يطرأ عليها أي انفصام ! [٤]

المسئلة الرابعة ـ في المدارس والمكاتب :

ووصل مجال الدعارة المدارس والمكاتب :

جاء في كتاب "الإسلام والسلام العالمي " للشهيد سيد قطب : " إن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في أمريكا بلغت في إحدى المدن ٤٨ في المائة ".

ونقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم ٦٥٠ عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية مايلي:

" الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتجدد وتزداد كل عام".

---

٣ ـ القبس / الكويت ١٩٩٤/٩/١٠.

٤ ـ انظر : تربية الأولاد في الإسلام ـ عبدالله ناصح علوان ج ١ ، ص ٢٨٨.

وفي نبأ آخر: "... الطلاب يقومون بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون فيها : نريد فتيات .. نريد أن نرفه عن انفسنا".

وهناك "... هجوم ليلي من الطلاب على غرف نوم الطالبات ، وسرقة ثيابهن الداخلية ". [٥]

المسئلة الخامسة ـ مع المحرمات:

ولم يتوقف الدعارة عند أي حد بل و وصل إلى درجة الزنا مع المحرمات .

ومما نشرته صحيفة (الهيرالد تريبون) الأمريكية في عددها ١٩٧٩/٦/٢٩ ملخصا لأبحاث قام بها مجموعة من الاختصاصيين الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت في الانتشار في المجتمعات الغربية بصورة عامة ، وفي المجتمع الأمريكي بصورة خاصة ، وهي ظاهرة اقتراف الفاحشة مع المحرمات كالبنت والأخت ..

المسئلة السادسة ـ اغتصاب النساء في الحروب :

طالب تقريراليونيسف بمنع استخدام العنف الجنسي كأحد أسلحة الحروب من خلال سبي الفتيات في البلقان ، وكمبوديا ، وقبرص ، وهايتي ، وليبريا ، والصومال ، وأوغندا. ويقول التقرير أن العنف ضد النساء وخاصة الاغتصاب أضحى وصمة عار جديدة على الحروب الأخيرة.[٦]

إن كل هذه المصائب حصيلة أعمالهم ، ورداءة ثقافتهم وخسة أنفسهم وماديتهم الإلحادية ...

و مما نشرته الصحف البريطانية أن مدرسة شابة في الخامسة والعشرين من عمرها كانت تدرس لمجموعة من الطلاب المراهقين ممارسة الجنس عمليا ، وقد شوهدت وهي تخلع ثيابها قطعة قطعة .. أمام طلابها .. وهكذا حتى انتهت من عمليتها الإباحية الفاجرة !!

وقد أدركوا خطورة ما هو واقعهم وانهيارهم . كتب جيمس رستون في الـ " نيويورك تايمز" مؤخرا: إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية .

---

٥ ـ انظر : تربية الأولاد في الإسلام ـ عبدالله ناصح علوان ج ١ ، ص ٢٨٨

٦ ـ المسلمون العدد ٥٧٠ ، ٥ يناير ١٩٩٦.

ويلفت المؤرخ ارنولدتيونبي النظر إلى أن سيطرة الجنس يمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات..[٧]

في نيسان سنة ١٩٦٤ أثيرت في السويد ضجة كبرى عندما وجه ١٤٠ من الأطباء مذكرة إلى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ اجراءات عاجلة للحد من الفوضى الجنسية التي تهدد حقا حيوية الأمة وصحتها ، طالب الأطباء بقوانين ضد الانحلال الجنسي .[٨]

وها هو يعترف المستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق بريجنسكي :

" المجتمع الذي يسمح فيه بكل شيء ويمكن الحصول فيه على كل شيء هو مجتمع انحط مستواه الأخلاقي وانصب جهد الإنسان فيه على تلبية رغباته وإرضاء شهواته"[٩]

فلم كل هذه الضجة من أجل فتح باب الزنا في البلاد الإسلامية ..؟ ألا يمكن أن يكون ثمة أهداف أخرى وراء هذه الأصوات ؟؟

ملحوظة:

لم يكن إيراد فضائح الغرب هنا مقصودا بذاتها ، وإنما التأكد من أن لكل ذلك آثارها الديموغرافية.

---

٧ - الإسلام والجنس ، فتحي يكن ، ص ١٠ ، مؤسسة الرسالة.

٨ - الإسلام والجنس ، فتحي يكن ، ص ١٠ ،

٩ - من كتاب المستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق بريجنسكي في كتابه "Out of Control" نقله " قضايا دولية " العدد ٢٩٩ السنة السادسة ١٩٩٥.

المطلب الرابع

في التناسل بالوسائل العلمية الحديثة

الفرع الأول: التلقيح الصناعي

المسئلة الأولى: مفهوم التلقيح:

التلقيح في اللغة :هو وضع الذكور في الأناث . والملاقيح هي الأمهات وما في بطونها من الأجنة.

وفي الإصطلاح : هو عبارة عن اتصال الحيوان المنوي الذي يفرزه الرجل بالبويضة التي يفرزها مبيض الأنثى. [١٠]

أشار الفقهاء القدماء إلى التلقيح بهذه العبارة: " إن الحمل قد يكون بإدخال الماء للمحل دون اتصال". [١١]

والتلقيح الصناعي من أجل تحقيق الرغبة في انجاب الولد عند من هو عقيم وهذا وإن لم يتصل بمعالجة العقم لكن له علاقة به ويحقق رغبة الانجاب ويخفف من الشقاء النفسي للعقيم أو للزوجين معا.

ويدل على أن الجنين يكون نتيجة هذا التلقيح قول الله تعالى :﴿ فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب ﴾. [١٢] وأيضا يقول سبحانه تعالى: ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ [١٣] ويقول عزوجل :﴿ والله

---

١٠ ـ اخلاقيات التلقيح الصناعي ، أستاذ الدكتور عبدالبار ص ٩ ، الطبعة الأولى .

١١ ـ نفس المرجع، ص ٩.

١٢ ـ الطارق : ٥ ـ ٧.

١٣ ـ الدهر: ٢.

خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾. [١٤]
ويقول سبحانه:﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ [١٥] .
وذكر المفسرون أن المراد بالماء : المني ، وأراد ماء بين ماء الرجل وماء المرأة ، لأن الإنسان مخلوق منهما ، لكن جعلهما ماء واحد لإمتزاجهما وأنه يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة.[١٦]

وبالنسبة لمادة التلقيح فإن القرآن الكريم يؤكد أن لها حيوة وقدرة على التخلق والتطور بفعل الله سبحانه وتعالى كما في الأطوار المعروفة لتكون الإنسان . وقد جرى الطب على ذلك. [١٧]

المسئلة الثانية ـ التلقيح الصناعي:

والتلقيح الصناعي هو عبارة عن نقل ماء الزوج لغير زوجته بقصد إحبالها . وقد عرف التلقيح الصناعي أول ما عرف في البلاد الغربية بسبب ما بنيت به من قلة النسل الذي جاء نتاجا طبيعيا للرهبة واضطهاد والمذابح والحروب ..

ينقسم التلقيح الصناعي إلى قسمين:
١ ـ التلقيح الصناعي الداخلي (Artificial Insemination).
٢ ـ والتلقيح الصناعي الخارجي ـ أو طفل الأنبوب :

وقضية التلقيح الصناعي لاشك أنها من الحوادث الجديدة ولم يذكر شيئ منها في كتب الفقه القديمة، إلا بعض الأمثلة النادرة ، ذكرها بعض الفقهاء. [١٨]

---

١٤ ـ فاطر ١١
١٥ ـ آل عمران ٦.
١٦ ـ أحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، ط ٣ ، من مطبعة دار الكتب المصرية دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ج ٢ص٧.
١٧ ـ وسائل منع الحمل ص ٢٠٥ الدكتور سبيرو فاخوري.
١٨ ـ منها ما نقل الأستاذ محمد جواد مغنية نقلا عن علماء الإمامية في باب الحدود : أن الحسن بن علي سئل عن امرأة قاربها زوجها ، ولما قام عنها وقعت على بكر فساحقتها ، وألقت فيها النطفة ، فحملت البكر ، فقال =

المسئلة الثالثة ـ شروط التلقيح الإصطناعي:

وقد اشترط فقهاء الإسلام لإجراء التلقيح الإصطناعي الداخلي ما يلي:

١ـ) أن يتم بين زوجين في حال قيام عقد الزوجية . أما إذا انتهى عقد الزوجية بموت أو طلاق فلا يحل.

٢ ـ) أن يقوم بهذا التلقيح طبيبة مسلمة ثقة ، أو طبيب مسلم ثقة ، أو طبيبة غير مسلم ثقة ، أوطبيب غير مسلم ثقة .

٣ ـ) اتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لعدم اختلاط النطف.

٤ ـ) إجراء أخذه فور أخذه من الزوج وإعطائه للزوجة. [١٩]

المسئلة الرابعة ـ حكم التلقيح الصناعي:

وقد أجاز الفقهاء المحدثون التلقيح الاصطناعي الخارجي ، بشروط.

ذهب الفقهاء المعاصرون إتجاهان عند الكلام عن التلقيح الصناعي ، منهم من حرمه حراما باتا ، ومنهم من قسمه إلى حالات مشروعة ، وغير مشروعة.

الرأي الأول القائل بالتحريم البات:

تستدل هذه الفرقة بقوله تعالى :﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾. أمر الله سبحانه بحفظ العضو التناسلي من المرأة، ولم يذكر متعلق الحفظ، ولم يخصه بالمقارنة أو بأي شيء آخر . وعمومه يدل ـ كما قال به الأصوليون ـ حفظ العضو من كل شيء حتى التلقيح. وتعزز هذه الآية بالآية من سورة المؤمنون :﴿ والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم، فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾. [٢٠]

= : يؤخذ من الكبيرة مهر البكر ، لأن الولد لايخرج حتى تذهب عذرتها ، ثم ترجم الكبيرة ، لأنها محصنة ، وينتظر بالصغيرة حتىتضع ما في بطنها ، ويرد إلى أبيه صاحب النطفة ، ثم تجلد أم الولد .من :كتاب الجواهر، وكتاب المسالك باب الحدود (وذلك نقلا من : الفقه على المذاهب الخمسة : الجعفري ـ الحنفي ، المالكي ـ الشافعي ـ الحنبلي ـ لمحمد جواد مغنية ، الطبعة السابعة ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

١٩ ـ أخلاقيات التلقيح الإصطناعي ، ص ٤٦ وما بعدها ، للأستاذ الدكتور عبدالبار.

٢٠ ـ المؤمنون : ٥ ـ ٦.

قوله [فمن ابتغى وراء ذلك] يدل على أن أي عمل يتنافي مع حفظ العضو فهو اعتداء وتجاوز عن الحدود المشروعة إلا إذا كان بطريق الزواج أو ملك اليمين. [٢١]

والإتجاه الثاني:

قال أصحاب هذا الاتجاه بإختلاف الحكم باختلاف الحالات :

فالحالات المشروعة:

١ـ قد يأخذ الرجل نطفة من مائه الـذي يحمـل الحيوانـات المنوية ويضعـه فـي مهـل زوجتـه فـي الموعد الشهري فيلتقي في البويضة ويحصل الحمل من غير مجامعة، حملا طبيعيا ويولـد الطفـل ولادة عادية.

وحكمها أنها جائزة شرعا إذ يكون العقم لغير سبب فقد الحيوانات المنوية وهو زوج لهـا كـأن الزوجة قد أخذت بنفسها مني زوجها ووضعته فـي رحمهـا فحملـت ، وهـو مـن حيـث الحمـل ـ كالجماع تماما. [٢٢]

الحالات غير المشروعة:

١ـ قد تأخذ المرأة نطفة من غير زوجها " سواء أكان عقيما أو غير عقيم ـ إذ ربما لجأت إلى نطفة رجل قوي إذا كان زوجها ضعيفا ابتغاء نسـل قوي فتلقح هذه النطفة مع بويضة منها وتزرعهـا فـي رحمها ويولد لها طفل.

حكمها:

١ـ أنها عمل غير مشروع بالاتفاق. [٢٣] والدليل على ذلك قوله تعـالى :﴿ ومـا جعـل أدعيـاءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ... ﴾ [٢٤]

---

٢١ ـ قرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة ١٤٠٢ هـ ودورتـه السـابعة ١٤٠٤ هـ ودورته الثامنة ١٤٠٥ هـ مكة المكرمة . وأيضا : ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام ، المنظمة الإسـلامية للعلـوم الطبيعية، شعبان ١٤٠٣ / ٢٤ مايو ١٩٨٣ الكويت.

٢٢ ـ العقم في الاسلام للدكتور عبدالعزيز الخياط.

وقوله عليه الصلاة والسلام : من ادعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا [٢٣]

وجاء في الحديث الصحيح : ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر [٢٤]

وقوله عليه السلام : من ادعى إلى غير أبيه ، فالجنة عليه حرام [٢٥]

إلا ان العلماء لم يعتبره زنا ، لان شروط الزنا التي توجب الحد غير مستوفاة. [٢٦]

وقد اعتبرت ألمانيا مثل هذا الولد غير شرعي خلافا لأمريكا وبعض دول أوربا . [٢٧]

وعلى أية حال هي " جريمة منكرة ، وإثما عظيما ، يتلقي مع "الزنا" في إطار واحد : جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة ، وهي وضع ماء رجل أجنبي قصدا في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجته شرعية ، يظلها القانون الطبيعي ،والشريعة المساوية . ولولا قصور في

---

٢٣ – رواه الشيخان ، وانظر : الألوسي ج ٢١/ ١٤٩.

٢٤ – رواه الشيخان .

٢٥ – رواه الشيخان ، وانظر : أحكام القرآن للجصاص .

٢٦ – شروط الزنا :

٢٧ – العقم في الإسلام للدكتور عبدالعزيز الخياط ـ مجلة

صورة الجريمة لكان حكم التلقيح في تلك الحالة هو حكم الزنا الذي حددته الشرائع الالهية ، ونزلت به كتب السماء. [٣١]

الراجح :

والراجح - فيما أرى - هو المذهب الثاني، القائل بتفريق الحالات واختلاف الحكم باختلاف الحالات، ولاسيما والإسلام لايقع حجرا عثرا أمام التقدم العلمي وإزالة مشاكل الناس ، واضعا في الاعتبار أنه الأحسن الصبر والرضا بما قدر الله تعالى ، وأن من الناحية الزهدية الأفضل التمسك بما أتاهم الله من الحظ الدنيوي :﴿ وربك يخلق ما يشاء و يختار، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ [٣٢]

حكم الحمل من التلقيح :

٢ - لدى إيجاد الحمل بطريق التلقيح الصناعي بين الزوجين الشرعيين ، فالولد ينسب لهما عند الأستاذ عبدالعزيز الخياط ، إستنادا إلى قيام الحياة الزوجية وخوفا من ضياع الولد فيبقى من غير انتساب إلى أب مما يؤثر على حياته النفسية والعملية. والدليل الشرعي على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :" الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر". [٣٣]

٣ - قد يأخذ الرجل بويضة امرأة أخرى اجنبية ويلقحها مع نطفته ويضع اللقيحة في رحم امرأته حتى تنمو نموا طبيعيا ثم تلده طفلا . وحكم الشرع في هذه كحكم سابقتها من حيث حرمة الفعل وثبوت النسب.

٤ - أو المرأة تلجأ إلى تلقيح بويضة منها مع نطفة رجل أجنبي وتزرعها في رحمها . فحكمها كحكم الصورة المذكورة أعلاه ، إلا أن الطفل هنا ينسب إلى أمه .

٥ - قد يلجأ الرجل إلى حفظ منيه في مصرف منوى لحسابه الخاص ثم يتوفى ، وتأتي زوجته بعد الوفاة فتلقح داخليا بنطفة منه وتحمل منه والحكم في هذا الولد .

---

٣١ - فتاوى للشيخ محمود شلتوت ٣٢٨.

٣٢ - القصص ٦٨.

٣٣ - احمد ٢/٢٣٩.

٦ ـ ما الحكم إذا أخذ بويضة إحدى زوجاته و لقحها ثم وضعها في رحم زوجة أخرى له ، فما الحكم في هذا ؟

رأى الأستاذ عبدالعزيز الخياط " أن العملية وإن كانت غير مستحسنة فهي جائزة شرعا ، ويستهدي بذلك بما قررة الفقهاء من أن المرأة إذا حملت بعد وفاة زوجها وكانت معتدة أو جاءت به لأقل من ستة أشهر وشهد بولادتها امرأة واحدة (عند الفقهاء ورجلان أو رجل وامرأتان عند أبي حنيفة) فإن الولد يثبت نسبه ، لأن النسب قائم بقيام العدة ولأن النسب ثابت قبل الولادة وثابت أن النطفة منه. وإنما من غير المستحسن في هذه الحالة أن تلجأ المرأة إلى الإنجاب بهذه الطريقة. [٣٤]

ثم إن الإسلام يهتم بالجنين .. بدرجة أنه عين للجنين حقوقا كالميراث قبل أن يولد ـ للذكر مثل حظ الأنثيين . وإن التعدى عليه كالتعدى على فرد عادي، في العقوبات المترتبة عليه .

ما يترتب على التلقيح من آثار:

يترتب على التلقيح الصناعي ما يترتب على الحمل العادي ، كالعدة ، وهي مدة يبعد فيها الزوج عن زوجته حتى تعرف براءة رحمها من الحمل في حالة يصل فيها إلى المرأة ماء أجنبي عنها.

ورد في كتب الحنفية (صاحب البحر) قال :" ولم أره لأصحابنا ، والقواعد لا تأباه ، لأن وجوب العدة لتعرف براءة الرحم .

جاء في كتب الشافعية: " وإذا أدخلت المرأة منيا ظنته مني زوجها ثم تبين أنه ليس لزوجها ، فعليها العدة كالموطوءة بشبهة ".

التبني: [٣٥]

---

٣٤ ـ نفس المرجع.

٣٥ ـ لقد كانت بدعة التبني من أظهر بدع الجاهلية ، وتفشت هذه البدعة حتى أصبحت دينا متوارثا . فكان العربي في الجاهلية يتبنى الرجل منهم ولد غيره ، فيقول له : " أنت ابني أرثك وترثني " فيصبح ولده وتجري عليه أحكام البنوة كلها ، من الإرث والنكاح ، والطلاق ومحرمات المصاهرة وغير ذلك مما يتعلق بأحوال الابن الصلبي على الوجه الشرعي المعروف. وعلى هذا الأساس تبنى الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة مولى ، وهذه خلاصة القصة: =

التبني: ضم الرجل الطفل الذي يعرف أنه ابن غيره إلى نفسه ، فيعامله معاملة الأبناء من جهة العطف والانفاق عليه ، ومن جهة التربية والعناية بشأنه لكه ، دون أن يلحق به نسبه ، فلا يكون ابنا شرعيا ، ولا يثبت له شيء من أحكام البنوة. [٣٦]

أنواع التبني:

والتبني على صورتين:

= إن زيدا كان مع أمه عند أخواله من بني طي ، فأغارت عليهم قبيلة من قبائل العرب ، فسلبتهم أموالهم وذراريهم - على عادة أهل الجاهلية في السلب والنهب - فكان زيد من ضمن من سبي فقدموا به مكة فباعوه ، فاشترته السيدة (خديجة بنت خويلد) فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب بنبوغه وذكائه ، فوهبته له فبقي عند الرسول عليه السلام يقوم بخدمته ويرعى شؤونه...

وبلغ (حارثة) الخبر بأن ولده عند محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ، فقدم مع عمه ، حتى دخل على رسول الله ، فقال يا محمد : إنكم أهل بيت الله ، تفكون العاني (الشخص الواقع في الأسر ومنه حديث : عودوا المرضى ، وفكوا العاني يعني الأسير - لسان العرب). وتطعمون الأسير ، ابني عندك فامنن علينا فيه ، وأحسن إلينا في فداته ، فإنك ابن سيد قومه ، ولك ما أحببت من المال في فداته !!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيكم خيرا من ذلك ، قالوا : ما هو ؟ قال أخيره أمامكم ، فإن أختاركم فهو لكم بدون فداء ، وإن أختارني فما أنا بالذي أرضى على من اختارني فداء ، فقالوا : أحسنت فجزاك الله خيرا . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا زيد : أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبي، وهذا عمي ، فقال يا زيد : هذا أبوك ، وهذا عمك ، وأنا من عرفت . فاختر من شئت منا . فدمعت عينا زيد وقال : ما أنا بمختار عليك أحدا أبدا ، أنت مني بمنزلة الوالد والعم . فقال له أبوه وعمه : ويحك يا زيد : أتختار العبودية على الحرية ؟ فقال زيد : لقد رأيت من هذا الرجل من الإحسان ، ما يجعلني لا استطيع فراقه وما أنا بمختار عليه أحدا أبدا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس وقال : أشهدوا أن زيدا ابني أرثه ، ويرثني ... فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامة زيد عليه صلى الله عليه وسلم . فلم يزل في الجاهلية يدعى (زيد بن محمد) حتى نزل القرآن الكريم :﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ فدعي زيد بن حارثة ، ونزل قوله تعالى :﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين... ﴾. الحادثة رواها بالتفصيل ابن مردوية عن ابن عباس وانظر: تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني ، والشيخ السايس ، والقرطبي .

٣٦ - فتاوى للشيخ محمود شلتوت ، ص ٢٦٠.

الأولى:

صنيع يلجأ إليه بعض أرباب الخير من الموسرين الذين لم ينعم الله عليهم بالأبناء، ويرونه نوعا من القربة إلى الله بتربية طفل فقير ، حرم من عطف الأبوة ، أوحرم من قدرة أبيه على تربيته وتعليمه .

حكم هذا النوع أنه عمل يستحبه الشرع ، ويدعو إليه ، ويثيب عليه ، وقد فتحت الشريعة الإسلامية للموسر في مثل تلك الحالة باب الوصية ، وجعلت له الحق في أن يوصي بشيء من تركته يسد حاجة الطفل في مستقبل حياته ، حتى لاتضطرب به المعيشة ، ولا تقسو عليه الحياة.[٣٧]

ويقول ابن كثير في تفسيره: فأما دعوة الغير على سبيل التكريم والتحبب ، فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما روي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدمنا رسول الله عليه وسلم أغليمة ابن عبدالمطلب على جمرات لنا من جمع ، فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول : أبني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس ، كما نادى النبي صلى الله عليه وسلم أنسا قال له : يا بني.[٣٨]

الثانية:

أما الصورة الثانية ، وهي المصطلح المفهوم عن التبني عند الاطلاق ، وهي أن ينسب الشخص إلى نفسه طفلا يعرف أنه ولد غيره وليس ولدا له ، ينسبه إلى نفسه نسبة الابن الصحيح ، ويثبت له أحكام البنوة من استحقاق إرثه بعد موته ، وحرمة تزوجه بحليلته ، وهذا شأن كان يعرفه أهل الجاهلية ، وكان سببا من أسباب الإرث التي كانوا يورثون بها[٣٩] . فلما جاء الإسلام أسقطه من أسباب التوارث.

---

٣٧ - فتاوى للشيخ محمود شلتوت . ص ٣٢٢ .

٣٨ - أنظر تفسير لأبي الفداء الحافظ ابن كثيرالدمشقي، المتوفى ٧٧٤ الجزء الثالث : ص ٢٧٤، ط مكتبة امدادية بشاور - باكستان.

٣٩ - كما تبنى الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على سنة العرب - كما مر ذكره.

وبذلك بطل هذا النوع من التبني ، وصار محرما على المسلم أن يلحق بنسبه الطفل الذي يعرف أنه ابن غيره وليس ابنا له ، عرف أباه أم لم يعرفه. [٤٠]

حكم ولد التلقيح الصناعي غير المشروع في الميراث:

فالولد الذي أتت به أمه من طريق غير شرعي ، عبر التلقيح الصناعي مثلا، حكمه أنه لا توارث بينه وبين أبيه وقرابة أبيه بالإجماع [٤١] وإنما يرث من جهة الأم فقط ، لأن نسبه من جهة الأب منقطع ، فلا يرث به ، ومن جهة الأم ثابت ، فنسبه لأمه قطعا ، لأن الشرع لم يعتبر الزنا طريقا مشروعا لإثبات النسب . وترث منه أمه وإخوته من أمه فرضا لا غير ، لأن صلته بأمه مؤكدة لا شك فيها ، ولا يتصور أن يرث هو أو يورث بالعصوبة ، إلا بالولاء أو الولاد ، فيرثه من أعتقه أو أعتق أمه ، أو ولده بالعصوبة ، وكذلك يرث معتقه أو معتق معتقه ، أو ولده بالعصوبة أيضا.

وجاء في السنة :" أيما رجل عاهر بحرة أو أمة ، فالولد ولد الزنا ، لايرث ولا يورث. [٤٢]

و" الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات .... " فيجنب المشتبهات.

ثم هل يعتبر التلقيح الصناعي زنا ؟

لقد أجمع الفقه الإسلامي على أن الحمل لا يعد قرينة على الزنا متى ثبت أن الفرج شرب المني في الحمام. [٤٣]

---

٤٠ ـ فتاوى للشيخ محمود شلتوت ٣٢٣ - ٣٢٤ .

٤١ ـ حاشية رد المختار على الدر المختار الشهير بحاشية ابن عابدين للشيخ محمد أمين بن عابدين ج ٥/٥٦٥ ٥، مطبعة مصطفى الحلبي ط :٢ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، ٢١٤/٦، المطبعة : الأميرية بالقاهرة، ٣ ـ المغني لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي ٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦٦ نشر مكتبة الجمهورية العربية ، بمصر ، و مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، القوانين الفقهية ص ٣٩٤. طبع دار الفكر- بيروت.

٤٢ ـ رواه الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ١٢ نيل الأوطار شرح منقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار للإمام المجتهد العلامة الرباني محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج ٦٦/٦ المكتبة التوفيقية.

٤٣ ـ ٥ ـ شرح الزرقاني على مختصر خليل، ٧ ـ المغني لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي نشر مكتبة الجمهورية العربية ، بمصر ، و مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، شرح فتح القدير للإمام =

نظرة عامة حول التلقيح الصناعي والدين:

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي في كتابه " حركة تحديد النسل " :

" ولكل حيوان من هذه الحيوانات مزايا وراثية وشخصية مستقلة ، ففيها الأغبياء والحمقى وفيها الحكماء والعقلاء وفيها الأوفياء والخونة ، وفيها أرسطو وابن سينا ، وفيها هولاكو ونابليون وفيها الجاحظ والمتنبي ، فليس في قدرة الإنسان ولا مشيئته ولا اختياره أن يجعل حيوانا ذا مزية خاصة من هذه الحيوانات العديدة هو الذي يصل إلى بويضة ذات مزية خاصة من بويضات المرأة العديدة وأن يخلق - هكذا - إنسانا من نوع خاص يحبه. إن مشيئة الله واختياره له السلطان الكامل والقول الفيصل في هذا المقام وهو الذي يقضي : أي نوع من أنواع البشر يرسله إلى أية أمة وفي أي زمان؟ والانسان وهو جاهل حتى بنتائج عمله كما علمت ، إذا حدثته نفسه بالتدخل في هذا النظام ، الذي ما خلقه الله سبحانه وتعالى إلا بمحض مشيئته ، فلا يكون مثله إلا كمثل رجل يدير عصاه في الظلام ولا يدري هل يقتل بها حية مؤذية أو أحدا من بني نوعه أو يكسر بها شيئا ثمينا ، فكل شيء ممكن . وكذلك إن الإنسان عندما يحاول الحد من نسله ، لايدري ما إن كان بفعلته يسد الطريق إلى عالم الوجود على قائد شجاع ، أو حكيم مدبر ؟ وعسى أن يعاقبه الله على هذه الجريمة بأن لايخلق في نسله إلا الأغبياء والحمقى والخونة ، وبالأخص إن أمة إذا انتشر فيها هذا التدخل في مشيئة الخالق عزوجل، فإنها لا جرم تعرض نفسها لخطر قحط الرجال". [٤٤]

الفرع الثاني

الرحم الموجر

هو عبارة عن : إستئجار امرأة لتحمل بماء رجل في حين أن زوجته تعجز ولاتريد أن تقبل عبء الحمل، وذلك بعوض أو بدون عوض.

ويمكن الرحم الموجر أو الظئر أو الأم المستعار وقوعه في عدة صور.

---

* كمال الدين محمد بن عبدالواحد دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان. ٢ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفة الدسوقي ، مطبعة مصطفى الحبي بالقاهرة.

٤٤ - أبو الأعلى المودودي ، حركة تحديد النسل ، ص ٩٦ - ٩٧.

أولا: أن تكون للزوجة مبيض سليم ولكن رحمها قد أزيل بعملية جراحية أو به عيوب خلقية شديدة بحيث لايمكن أن تحمل و وزجها سليم : وفي هذه الحالة تؤخذ بويضة الزوجة وتلقح بماء زوجها وتوضع اللقيحة في رحم امرأة أخرى مستأجرة ، يسمونها الرحم الظئر أو الأم المستعارة ، وعند ما تلد الطفل تسلمه للزوجين مقابل أجر معلوم.

ثانيا: أن الزوجة ليست فيها أي عيب إلا أنها ترفض الحمل بلا أي دليل ومبرر .

حكم الرحم المؤجر:

أفتى علماء الإسلام بحرمة استخدام هذه الوسيلة. مهما كانت الظروف ، وأيا كان نوعه. [٤٥]

وعند حصول العملية ، يرد الأستاذ نعيم ياسين بقوله:" لو أن العملية تمت بالفعل ، فإن صاحبها يستحق التعزير ، لأنه ارتكب جرما ولايستحق طبعا عقوبة الزنى ، التي هي الحد . وبالفعل اعتقد أن هذا الأمر يختلف عن الزنا ، مما ينعكس على الحكم الفرعي الآخر ، وهو حكم الوليد الجنين الذي تلده صاحبة الرحم الظئر ، وأرى أنه إذا كان الإسلام يتشوف إلى إثبات الأنساب ، وسوف يكون من المعروف ومن المعلوم للناس جميعا أن هذا الجنين ابن فلان من الناحية العملية ، فأعتقد والله أعلم أن نسبته إلى أبيه الأصلي وأمه صاحبة البويضة أولى شرعا من نسبته إلى والدته ، وذلك لأنه كما قلت هناك فوارق بين هذه العملية والزنا ". [٤٦]

هل يجوز إجارة الرحم؟

لا يجوز البتة إجاره الرحم و ذلك للآتي:

١ : أن الإيجار للمنفعة، و الرحم ليس مكانا لهذه المنفعة.

---

٤٥ قرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة ١٤٠٢ هـ ودورته السابعة ١٤٠٤ هـ ودورته الثامنة ١٤٠٥ هـ مكة المكرمة . وأيضا : ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبيعية ، شعبان ١٤٠٣ / ٢٤ مايو ١٩٨٣ الكويت.

٤٦ ـ الأستاذ نعيم ياسين " ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام " ص ٢٠٩ ، نقلا من " الهندسة الصناعية والأخلاق " ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

٢ - إن عملية الإيجار مخصص للاعمال فاستخدامه في غير محله - كما في هذه القضية - يفسد الإيجار.

٣ - و كذلك لا يجوز سدا للذرائع.

٤ - كما أن فيه شبهة الزنا.

فلذلك لا يجوز إجارة الرحم. و الله اعلم بالصواب

الفرع الثالث:

أطفال الأنابيب

أو التلقيح الاصطناعي الخارجي:

هو نقل بويضة الأم و وضعها في أنبوبة. وهذه الأنبوبة تقدم بدور (الرحم) ويتم تلقيح البويضة ثم إعادتها بعد ذلك إلى رحم الأم.[٤٧]

إن الأمر الذي دعا إلى اختراع التلقيح الصناعي كان هو العقم سواء في الرجال أو النساء، المانع لحصول الأولاد. وفي طريق علاج مرض العقم وصل العلماء إلى هذا الابتكار.[٤٨]

وقد تم ولادة أول طفل في الأنبوبة بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٧٨ وهو لويزا براون [٤٩] عندما نجح إدورادز وستبتو في محاولاتهما المستمرة وكان قد سبق تلك المحاولة مائة محاولة فاشلة. [٥٠]

ومنذ ذلك الحين قد انتشرت هذه العملية حتى تسربت إلى البلاد المسلمة بأجمعها. وكان المملكة العربية السعودية أول بلد إسلامي يفتتح فيه مركز للتلقيح الاصطناعي الخارجي ، ثم تلتها مصر.[٥١]

هناك أنواع عديدة من التلقيح الإصطناعي الخارجي الموجودة حاليا في الغرب . [٥٢]

---

٤٧ ـ أطفال الأنابيب ، نظرة إسلامية ، ص ٦٧، د. احمد عبدالرحمن عيسى، ط مطابع الأهرام بكورنيش النيل.

٤٨ ـ نفس المرجع ص ٤٣، بتصرف.

٤٩ ـ اخلاقيات التلقيح الصناعي ، د. عبدالبار ، ص ٩ ، الطبعة الأولى . و أطفال الأنابيب ص ٥٤ وما بعدها.

٥٠ ـ Arab News Sep ١٠ . ١٩٨٦ p:٧

Edwards R.G Current status of human in vitro ferbilzation sterility and fertilty prodeedings of X١world congress of Fertility and steility June ١٩٨٣ ed R.Harrison and J.B Thompson MTP Press Ltd Boston etc ١٩٨٤ pp١٠٩-١٢٠

٥١ ـ نفس المرجع ص ٩ ـ ١٠.

٥٢ ـ للتفاصيل يراجع : د. محمد علي البار : طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي ، ص ٥٢ ـ ٥٧ و ص ٦٣ ـ ٧٢.و أطفال الأنابيب ص ٥٤ وما بعدها.

وعيوب هذه الطريقة أنها تحتاج إلى مستويات فنية وعلمية عالية كما أنها باهظا التكاليف . ولذا فإن استخدامها مقصور على الأبحاث العلمية ولم تصبح تجارية وعامة كما هو حاصل في التلقيح الاصطناعي الداخلي.

وذكر ريدل (H.Reidel) من ألمانيا ، أن المعنى الذي فحص من أجل التلقيح الإصطناعي الخارجي أوضح أن ٤٠ بالمئة من الحالات كانت تحمل كمية كبيرة من البكتريا .. وبالتالي كان ذلك أحد أسباب عدم الخصوبة كما كان سببا في فشل التلقيح الإصطناعي.

أضرار أطفال الأنابيب:

لا شك أن الله سبحانه وتعالى القى الحنان والمحبة بين الأب والابن ، وبين الأم وابنها. فهذا الحب المتبادل يكون حسب الفطرة ، وهذا الحنان هو مسئول أن يدفع الطفل ليشأ طبيعيا ، يعرف الحب والحنان للمجتمع كرد فعل وانعكاس منه نحو المجتمع . وقد ثبت تاريخيا أن الذين حرموا من حنان الأم هم الذين لم يتكيفوا في المجتمعات ، وهم الذين إما هلكوا نتيجة عدم التكييف ، أو أدخلوا في إطار الذين يستلم حقه بالقوة وتوسلوا بشتى أنواع العنف. فالتربية الأساسية والتمهيدية تبدأ من الأم، أستاذ الدراسة التمهيدية للطفل ، والطفل يطمئن بجانب الأم تماما. والله تعالى أعلم.

حكم أطفال الأنابيب :

وقد أجاز الفقهاء المحدثون التلقيح الاصطناعي الخارجي ، بنفس الشروط التي وضعوها للتلقيح الإصطناعي الداخلي. [٥٣]

يقول الدكتور عبدالمنعم النمر وكيل الوزارة للمعاهد الأزهرية (صار فيما بعد وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ثم وكيلا للشيخ الأزهر):

" إن من أهداف الإسلام الأصيلة في الحياة ، حفظ النسب والعرض، وقد جعل الله للتناسل طريقا طبيعيا معتادا، فإذا قامت عقبات في وجه هذا الطريق الطبيعي المشروع ، وأمكن العمل للتغلب

---

٥٣ - قرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة ١٤٠٢ هـ ودورته السابعة ١٤٠٤ هـ ودورته الثامنة ١٤٠٥ هـ مكة المكرمة . وأيضا : ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، شعبان ١٤٠٣ / ٢٤ مايو ١٩٨٣ الكويت.

على هذه العقبات ، فإن الإسلام لا يقف في وجه العلم وما وصل إليه من وسائل للتغلب على هذه العقبات...

" إن الإسلام هو دين العلم ويدعو إليه وإلى الاستفادة من كل طاقاته ، كما يدعو إلى أن يسير هذا العلم في الطريق المشروع لخدمة الانسانية والتخفيف من ويلاتها ومتاعبها، فإذا قامت عقبات في وجه التناسل الطبيعي بين زوجين شرعيين، وأمكن للعلم التغلب على هذه العقبات واعطاء الزوجين ذرية من مائهما الخاص، فإن ذلك لا يمنعه الاسلام".[٥٤]

---

٥٤ ـ أطفال الأنابيب ص ٩٥.

المبحث الثاني

في

انخفاض الوفيـــــات

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الطب و دوره في التحول الديموغرافي

المطلب الثاني: التقنيات الطبية المعاصرة

المطلب الثالث: التخطيط الطبقي الحاسوبي

المطلب الرابع: بعض الانجازات الأخرى وفيه فرعين:

المطلب الخامس : تبديل الدم

تمهيد: انخفاض الوفيات

يقصد بنسب الوفيات ، نسب الوفيات العامة Crude death rate . وتحسب بنسبة عدد الوفيات لكل ألف من السكان . ومن الضروري أن نربط نسب الوفيات العامة بنسب المواليد العامة للحصول على نسب الزيادة الطبيعية للسكان .

لقد هبطت معدلات الوفيات بسرعة بالغة إزاء التقدم الإقتصادي. وقد أدى اتجاه الوفيات إلى التناقص السريع في وقت مبكر عن الخصوبة إلى اختلاف نظرة الإنسان تجاه الموت والتناسل. فالموت ـ عادة ـ حادث غير اختياري بل وحتمي .

ويظهر هذا الأمر في البلاد المتطورة بشكل أقوى ، ويعم ليشمل الأطفال ، وذلك لتحسين الصحة العامة التي أدت إلى خفض نسب الوفيات .[1]

والقلة هذه في زمننا هذا لها أسباب كثيرة. و يمكننا القول بأن السر وراء هذا النجاح هو إزدهار الحضارة المادية المعاصرة التي تبلورت في عديد من المجالات والتي انعكست إيجابيا سواء في إزدياد السكان أو قمع ما يهدد و يخاطر ببقائهم ، و اهتمت كل إهتمام بشتى حقوق الحياة الإنسانية المادية. و من حقول نجاحها كان حقل الطب.

و هنا يجب علينا أن نعترف بفضل الأوربيين في هذا الحقل و نزن الأمور بالقسط ... عملا بقوله تعالى:﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [2] ... يجب أن نعترف أن الأوربيين لديهم خصال يمدحون من أجلها . فعندهم من الجد والفاعلية والقوة والتنظيم ما لا نستطيع إنكاره.

وأضيف أنه لا يعني ذلك تبرير ما يرتكبون ـ في نفس الوقت ـ من الجرائم تجاه الآخرين ، فنرى جهودا تبذل من أجل نهب ما بأيدينا من النعمات و الخيرات ، مما يجعلنا متخلفين وراءهم في كل مجال. كما أن هذا الأمر ليس هو السبب الوحيد لتخلفنا ، بل ومن الأسباب و المبررات لتخلفنا سواء من أنفسنا أو من الخارج ما لا يحصى...

---

١ ـ علم السكان ص ١١٠.

٢ ـ سورة المائدة ٨.

المطلب الأول:

الطب [٣] و دوره في التحول الديموغرافي:

ومن العوامل الأساسية التي لعبت دورا هاما بهذا الصدد، تطور الطب بشكل باهر. ولقد استطاع الانسان بفضل هذا التطور الحضاري معالجة معظم الأمراض التي كانت وباء على مدى العصور على أمم و أقوام. بل ومن الأمراض ما قمع تماما بحيث ليس له سوى إسمه في ذاكرة التاريخ [٤]

---

٣ ـ الطب لغة: المداواة والمعالجة. طب: توفق و تلطف. وطب المريض ونحوه طبا: داوه وعالجه . وطب الشي: أصلحه و أحكمه. المعجم الوسيط ٢/ ٢١. ط ب ب : العالم بالطب. جمع القلة: أطبة ، والطبيب الذي يتعاطي علم الطب(مختار الصحاح للشيخ عبدالقادر الرازي). ويعرف ابن سينا الطب في كتابه المعروف بـ" القانون في الطب": الطب علم يتعرف فيه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح و يزول عن الصحة لبحظ الصحة حاصلة و مستردها زائلة: القانون في الطب: العلامة ابن سينا ، الجزء الأول ـ طبع دار الفكر ص ٣.

ويقسم الطب الحديث إلى قسمين رئيسيين هما: ١ ـ الطب العلاجي : هو الطب الذي يعني بمداواة المريض سواء بالأدوية أو الجراحة أو بالأشعة من أجل القضاء على المرض تماما أو إيقاف تطوره والتخفيف عن كاهل المرض.

٢ ـ الطب الوقائي: وهو الطب الذي يهتم بالحيلولة دون وقوع المرض وتحسين المستوى الصحي لأفراد المجتمع من خلال الوسئل التالية: ١ـ علم حفظ الصحة والصحة العامة. ٢ ـ صحة البيئة ٣ ـ مكافحة الأمراض السارية. ٤ ـ الحجر الصحي ٥ ـ تلقيح الأفراد بالامصال ضد الأمراض في حالة وقوعها. ٦ ـ الثقافة الصحية. ٧ ـ فتح مراكز للعناية بالحوامل والأمهات والأطفال. ٨ ـ تحسين مستوى التغذية بين أفراد المجتمع. (نقلا من : الاسلام والطب الحديث : ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ سعيد رضا عبيدات ـ المكتبة العلمية ـ لاهور.)

٤ ـ ففي سنة ١٩٠٠ كانت الأسباب العشرة الأول للوفاة في الولايات المتحدة ـ مثلا ـ هي على الترتيب : السل والالتهاب الرئوي ، والاسهال والنزلات المعوية ، و أمراض القلب ، والتهاب الكلي ، والحوادث ، و أعمال العنف و نزيف المخ ، والسرطان ، والانزالات الدبية والدفيتريا. أما في سنة ١٩٦٤ فقد كانت الاسباب العشرة الولى على الترتيب هي : أمراض القلب ، والسرطان ، والحوادث وأعمال العنف ، و نزيف المخ ، والتهاب الكلي، والالتهاب الرئوي ، والسل ، والاجهاض ، والسكر ، وتصلب الشرايين. ويلاحظ أن الوفات الناتجة عن الأمراض الخبيثة والسكران والأحزان التي يتعرض لها كبار السن و لم ينجح الطب الحديث بعد في وقف آثارها، تؤلف النسبة الكبرى من مجموع الوفيات. ففي سنة ١٩٠٠ كان هناك أربعة أمراض تتعلق بالأعمار المتوسطة والكبيرة بين الأسباب العشرة الأولى للوفاة. وهذا يوضح سبب انخفاض الملحوظ في الوفيات في سن الشباب الذي تحقق مع نهاية القرن الماضي.

وصل الأمر لدرجة أن الإنسان يحاول أن يكون له يد طولى في هندسة تكوينه[٥] إلى كشف نوع الجنين، وهو لايزال رهين بطن أمه، ويفكر في إصطناع الذكاء الاصطناعي[٦] ويبرع في إنجاز العمليات الجراحية التي تطورت بحيث مكن الانسان من كشف ما في وجوده الذي كان جزءا من الأسرار لدى الانسان عبر التاريخ، وتبديل الأعضاء من الجلد واللحم والجوارح الداخلية كالقلب والكبدة وحتى الدم.[٧]

= نقلا من : Dublin Ltka and Spiegelman op. cit ص ١٦٥ -١٦٦ ترجمة الدكتور محمد صبحي عبدالحكيم – كتاب "علم السكان" ص ٦٤ -٦٥.

٥ - هندسة الوراثية (Genetic Engineering) مرتبطة بمجموعة من التجارب العلمية التي ظهرت حديثا في مجال البيولوجيا، وهي التحكم بالجينات(Genetic Mempulation) والاستنساخ الحيوي (Cloning) و إعادة تركيب لـ "د.ن.إ"(D.N.A) أي إعادة تركيب الحمض الي يحمل الصفات الوراثية للإنسان وهي مجموعة من العمليات التي تدور في المختبرات في الوقت الحاضر وتثير الرعب في العالم. وقد ازداد احساس العالم بالرعب بعد أن كشف العلماء عن بعض طموحاتهم في التوصل إل نوع من الاستنساخ الحيوي، وكان شعارهم لهذه الفكرة (إعادة انشعين) إلى الحياة، ويأمل العلماء أن يتوصلوا مستقبلا إلى تحقيق هذه الفكرة على الانسان بحيث يستطيعون أن ينسخوا نسخا جديدا من الأشخاص المرغوب فيهم. وقد يعني ذلك إمكان استنساخ مجتمع بأكمله من شخص واحد ، وهو أمر يصعب تداركه، أو التعامل معه في المحيط الانساني. (الهندسة الوراثية والأخلاق ، تأليف ناهدة البقصمي عرض محمد علي وهبة ، مجلة "الوعي الإسلامي" العدد ٣٣٤ و أيضا مجلة المجتمع العدد الصادر في شهر ابريل ١٩٩٧.

٦ - يهدف علم الذكاء الاصطناعي إلى فهم طبيعة الذكاء الانساني عن طريق عمل برامج للحاسب الآلي قادرة على محاكاة السلوك الانساني المتسم بالذكاء. وتعني قدرة برنامج الحاسب على حل مسئله ما، أو اتخاذ قرار في موقف ما - بناء على وصف لهذا الموقف - أن البرنامج نفسه يجد الطريقة التي يجب أن تتبع لحل المسئلة، أو للتوصل إلى القرار بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية عن طريق الانسان . وتنحصر أهم أسباب الحاسب في سرعته الفائقة. ويغلب على المسائل التي يتناولها الذكاء الاصطناعي " التفجر التجمعي"(Combinatory Explosion) والذكاء الاصطناعي تستخدم أساسا رموزا غير رقمية .. وتتسم بتناول مسائل متنوعة، ببرامجه" تمثيل للمعرفة" وقدرتها على التوصل إلى حل المسائل حتى في حالة عدم توفر جميع البيانات اللازمة وقت الحاجة لاتخاذ القرار، والتعامل مع بيانات قد يناقض بعضها بعضا، و أخيرا هو قادر على القدرة على التعلم.

٧ - استئصال عضو أو جزء منه من شخص حي أو ميت أو من حيوان و نقله إلى آخر بدلا من عضو تالف عن طريق جراح متخصص لتحقيق مصلحة اجتماعية مشروعة تفوق المصلحة المحمية على ضوء القواعد الفقهية أو النصوص القانونية (مقتبسا من الأطروحة التي تقدم بها الباحث الاسلامي محمد زين العابدين طاهر – المدرس

وإذا نظرنا إلى تاريخ البشر في الأرض ، نرى أنه كان يتعرض لمخاطر رهيبة من الأمراض. وهذه الأمراض كانت تهجم الصغار والكبار على حد سواء، فتذهب بحياتهم ، بدرجة أن الذين كانوا يتوفون زادوا عدد الذين عاشوا. و حيث أن الإنسان باعتباره أنه يعيش في الأرض، يجب أن يكافح تحديات تهدد حياته وتخاطر سلامته، فلذلك ومنذ قدم العصر بدء الانسان يفكر في التغلب على هذه الظواهر. وظاهرة المرض قديم قدم الإنسان نفسه، فمنذ أن نزل آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام على صعيد الأرض، وجد بحكم الطبيعة تحديات. ومن هذه التحديات أوجاع و آلام جسمية كانت يتعرض هو و أولاده من بعده. ومنذ إن الإنسان ضعيف الطبع ، بدأ يقاوم ويكافح هذه المشاكل بكل هابل ونابل.

رأي الإسلام في الطبابة:

إن الإسلام اهتم بالطب والطبابة جد إهتمام. فقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي وحث عليه.

فروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[لكل داء دواء، فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله عزوجل]. [٨]

فهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على التداوي.

و روى أبو هريرة رضى الله عنه مرفوعا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :[ما أنزل الله من داءً إلا أنزل له شفاء] [٩]

وعن أسامه بن شريك قال:[كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم و جاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله: أنتداوي ؟ قال: نعم ، عباد الله تداووا ، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحد وهو الهرم] [١٠]

المساعد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الأزهرية - فرع أسيوط - لنيل درجة الدكتوراة في الشريعة – نقلا من مجلة الوعي الاسلامي العدد ٢٧٤ ص ٣٧ عام ٩٨٧.

٨ - مسلم ، كتاب الطب الرقم حديث رقم ١٨

٩ - رواه البخاري ، كتاب الطب حديث رقم ١

١٠ رواه سنن أبي داود ، كتاب الطب حديث

وتأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم في تشجيعه بالطبابة و حثه على التداوي و ما روي عنه في باب الطبابة من قوله و فعله صلى الله عليه وسلم ، فقد علم المسلمون بالطبابة وحذقوا فيه و برعوا واخترعوا وصنفوا كتبا وألفوا و ترجموا كتبا من اللغات الأجنبية ، فكان الثمرة إزدهارا راقيا مقبولا في مجال الطب والطبابة.

وتلقى المسلمون معارفهم في هذا الموضوع من اليونان بصفة خاصة عن طريق اسريان والفرس في بادئ الأمر ثم عن طريق ترجمة المؤلفات القديمة مباشرة ، وعنى الحكام المسلمون والأمراء في جميع العهود عناية شديدة باختيار أطبائهم.

وما أسهم به العرب في هذا المجال جد عظيم ، لقد أقبل العالم الإسلامي على حصيلة المعرفة التي كانت لدى الإغريق والفرس والمصريين ، وتمثل شغف كل ما أمكن الحصول عليه من معارف في هذا الباب. وقد عرف العرب أهمية العلم للطب ورفعوا الأطباء إلى مرتبة اجتماعية عالية وأجزلوا لهم العطاء في سخاء وازدهر علم الطب في كل خلافة وبلاط في (الأمبراطورية) الإسلامية ، مقترنا بدراسة الفلسفة العالم الإسلامي كما كان شأنه في العالم الهيلنسي (Hellenistic World) "يقصد به الرقعة التي امتدت إليها الحضارة الاغريقية (الهيلنسية) بعد فتوح الاسكندر خارج اليونان ولاسيما في الشرق منها ". وهكذا وجد علماء العرب ما استحثهم على التقدم الملحوظ في علاج الجروح (Art of Healing) وبخاصة بالنسبة لاستعمال عقاقير الدواء، وقد أثرت الفارماكولبا العالمية من جراء هذه الكشوف . كذلك بتشييد المستشفيات في طول البلاد وعرضها ، حتى إنهم لم يغفلوا عن تقديم الرعاية الطبية في بعض السجون . وكان لهم ملاحظاتهم الاكلينكية الدقيقة في تشخيص الأمراض. كما بذلوا جهدا خلاقا في مجال البصريات. على أن أعظم ما أسهم به علماء الطب المسلمون بالنسبة لأوربا الوسيطة كان في المجال الموسوعي . فقد كتب الرازي موسوعة طبية هامة ، وهو فارسي الأصل كان يعيش قرب طهران ٢٥١- ٣١٣ هـ)٨٦٥ - ٩٢٥ م (وتعرفه أوربا باسم (Rhazzis) . هذه الموسوعة أسماها (الحاوي) التي عرفتها أوربا بترجمة لاتينية تحت إسم "Continient".[١٥]

---

١٥ - His of Arabs op cit نقلا من : المسلمون في تاريخ الحضارة ص ٩٠ - ٩١ ، تأليف ستوردكب ، ترجمة الدكتور محمد فتحي عثمان - الدار السعودية للنشر.

وكان أكبر الكتاب الموسوعيين هو ابن سينا الذي تعرفه أوربا باسم (Avicena) ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ ، والذي أزجى للعالم في كتابه " القانون " الصياغة التجمعية المقننة لنتائج الفكر الطبي الإغريقي العربي (Craeco - Arabic) في القرن الثاني عشر." وقد عمل هذا الكتاب منذ القرن الثاني عشر إلى القرن السابع عشر كمرشد رئيسي للعلم الطب في الغرب ولا يزال يستعمل بين وقت وآخر في الشرق الإسلامي" [١٦]

وكما يقول الدكتور أوسلر (Dr Osler) إنه " ظل الانجيل الطبي (Medical Bible) طوال فترة تفوق ما أتيح لأي كتاب آخر. وكما أن النهضة الأوربية (Renaissance) قد جلبت صحوة جديدة للفكر الإنساني ، فإن أوربا التي استثار نشاطها احتكاكها بالحضارة الإسلامية قد واصلت السير إلى الأمام بما لها من طاقة ذاتية وقدرة ابتكارية نحو تلك الكشوف التي كان لها آثارها الفائقة على صحة الإنسان وطول عمره فوق هذا الكوكب. [١٧]

الطبابة الحديثة:

وواصل الغرب السير إلى الأمام - من خلال احتكاكهم بالمسلمين المتواجدين في الأندلس وتعليمهم الطب عند العلماء البارعين والمتخصصين في الطب وفي الجامعات الموجودة هناك حينذاك - وتطوروا في مجال الطب بكل أنواعه الوقائي والعلاجي.

وبزغت شمس الحضارة الغربية لتبدأ من القرن الخامس عشر الميلادي حيث توافرت لديهم أسباب التطور الحضاري ، بعد أن خضعت أوربا لسلسلة من الأدوار المظلمة عبر قرون - يسمونه القرون الوسطى والمظلمة - تحت السيطرة المطلقة للكنيسة التي حالت ووقعت حجرا عثرة دون تطور العلم في حين أن الشرق قد شاخت وكانت تسير دافق الأنف نحو الإنحطاط والإنقراض الحضاري بسبب تشتت أبناءها وملوكها وأمتها ... وذلك أعقاب ما شاهدت من التطور والتمدن والعثور على قمة من العلم والعمل لم يكن شاهد العالم من قبل . فهناك ، استقبل الغرب وبدأ يسير نحو الأمام لتكون بديلا للشرق فيسرع أبناءه في كل مجال ... واستغرق فترة من الزمن حتى تمكن من هضم ما كان يتلقاه من الحضارة ...

---

١٦ - المسلمون في تاريخ الحضارة ص ٩٤ - ٩٣.

١٧ - نفس المرجع ص ٩٠ - ٩١.

ففي إطار الطب ولا سيما العلاجي أخذوا خطوات هامة إيجابية منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، منها كان الإمصال (Vaccination). وكان أول من عمل به هم الصينيون القدماء . فاقتبس الغرب الفكرة وطورها فأصبح الفاكسيناسيون وقاية ضد الأمراض ، وظل يستعمل بكمية كبيرة وبشكلها المتطور ، حتى أن جاء إيدوراد جيمس (Edward Jesem) الطبيب فكمله.[١٨]

وفي القرن التاسع عشر تطور علم الجراحة (Surgery) والطب معا ، وبدأ الاشتغال بكشف الأمراض. كما اكتشف عمليات الدماغ وتطور استعمال المجهر الطبي(Microscope) . وكشف عالم الطب لويس باستور عملية تعقيم المايعات ، وكشف الباكتريا.

وفي الوقت نفسه تطور الطب وتبلور في أمريكا ، ولاسيما العمليات الجراحية ، والعقاقير لإزالة الآلام وعملية إغماء المريض أثناء إجراء العمليات الجراحية عليه وذلك تم عام ١٨٤٦ في بوسطون.[١٩]

وبالنسبة لنظرية التنظيف ودورها في وقاية الأمراض ولاسيما أثناء العمليات الجراحية للمرضى فقد تقدم بها العالم الإسكاتلندي جوزيف ليستر(Joseph Lister) عام ١٨٦٥م وكان ذلك في الحقيقة تتبع لأعمال باستور الفرنسي. فكان لذلك دور هام ، حيث أنه قبل ذلك كان عدد كبير من المرضاء يموتون بعد إجراء عمليات الجراحية نتيجة سريان الجراثيم (الباكتريا).[٢٠]

المطلب الثاني

التقنيات الطبية المعاصرة:

تشهد تقنية (تكنولوجيا) صناعة الأدوات الطبية ، تطورات مثيرة ، يمكنها أن تخوض في أعماق الجسم البشري لتكشف أسرار مرضه ، وتساعد الأطباء على نهج أفضل الأساليب لإنقاذ حياة المرضى الميؤوس من شفائهم. واصبحت الرعاية الصحية تحتل مكانا بارزا من إهتمامات أصحاب القرار ومراكز البحوث في الدول المتطورة. واليوم نشهدابتكار عدد هائل من الآلات والتقنيات التي تعجبها المشافي الحديثة الأمريكية تقنية الطب النووي ضمن مشروع طموح يديره

---

١٨ - Encyclopedia International v: ١١ p ٩٩٦ و Encyclopedia Britanica

١٩ - نفس المراجع المذكورة أعلاه.

٢٠ - نفس المراجع المذكورة أعلاه

٧٥ طبيا ومتخصصا ، وتبلغ تكاليفه السنوية في أربعة ملايين دولار، ويمثل تقنية عالية لتشخيص الأمراض وتعريفها حتى بالنسبة لأولئك الذين لا تظهر عليهم أية أعراض. [٢١]

ومن التقنيات الطبية الحديثة التي فتحت آفاقا رحبة في حقل الطب العلاجي والاستشفائي تلك التي تدعى بالتصوير المغناطيسي (Magnetic Rasonce Imaging) وهي تتميز بالإثارة والتقدم السريع. [٢٢]

المطلب الثالث

التخطيط الطبقي الحاسوبي:

أصبحت أهمية الحاسوب في الطب بارزة على نحو خاص عن خلال تقنية التخطيط الحاسوبي (Computed Tomographiy) التي ابتدعت قبل نحو عشرين عاما ، ولكنها شهدت تطورا كبيرا في الآونة الأخيرة.

ثم إن الإقتران الذي يأخذ طريقه بين الحاسوب وأجهزة التصوير الطبي مازال يحمل كثيرا من الثمار، فهو ينطوي على طموحات مستقبلية كبيرة. يقول ستيفن نيسين أستاذ في التكونولوجيا الطبية": واليوم ينشغل المئات من الأطباء الطموحين ، الذي برعوا في الجمع بين الطب وعلوم الحاسوب والفيزياء ، في الإستفادة من القدرات القائمة للحاسوب في تشكيل الصور التخطيطية استنادا على البيانات المستخلصة من وسائل السبر والتصوير من أجل الحصول على معلومات وصور تشخيصية بالغة الدقة والأهمية في العلاج".

إن معظم الأطباء الباحثين يتوقعون أن تؤدي هذه التطورات التي سبق الحديث عنها إلى ثورة حقيقية في حقول التشخيص والعلاج ، على أن المفرطين في التفاؤل منهم يأملون أن تفتح هذه التقنيات الباب واسعا لاكتشاف مسببات معظم الأمراض التي بقيت أسرارها مستعصية حتى الآن ... وعلى رأسها السرطان . [٢٣]

---

٢١ ـ من مجلة "الفيصل" ص ١٦ ـ ١٧ اغسطس ـ سبتمبر ١٩٩٥.

٢٢ ـ نفس المرجع السابق.

٢٣ ـ العقم (العجز عن الانجاب ، وهو مرض على نوعين : ما يمكن معالجته وما لايمكن شفاؤه ، وسيأتي شرحه بالتفصيل ـ بإذن الله تعالى ـ .

المطلب الرابع

بعض الإنجازات الأخرى:

وقد حقق الطب الحديث بعض الإنجازات الأخرى لها انعكاس إيجابي شديد على إزدياد السكان ، نذكر أهمها فيما يلي:

إنجازات طبيه أخرى

أولا - زرع الأعضاء :

تعريفه:

استئصال عضو أو جزء منه من شخص حي أو ميت أو من حيوان ونقله إلى آخر بدلا من عضو تألف عن طريق جراح متخصص لتحقيق مصلحة اجتماعية مشروعة تفوق المصلحة المحمية على ضوء القواعد الفقهية أو النصوص القانونية. [٢٤]

أقسامه:

ينقسم زراعة الأعضاء إلى ثلاثة انواع :

النوع الأول: وهو الزرع الذاتي (Atograft) يشمل عمليات نقل الأنسجة من مكان إلى آخر في نفس الشخص مثال ذلك عمليات الترقيع الخاصة بالجلد وهي عمليات تجميلية)

والنوع الثاني: من عمليات الزرع هو زرع عضو من شخص إلى آخر من نفس الجنس أي من إنسان إلى آخر وهو ما يعرف طبيا باسم (Hmografts).

---

٢٤ - مقتبسا من الأطروحة التي تقدم بها الباحث الإسلامي محمد زين العابدين طاهر ـ المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الأزهرية - فرع أسيوط - لنيل درجة الدكتوراة في الشريعة - نقلا من: مجلة الوعي الإسلامي العدد ٢٧٤ص ٣٧، عام ١٩٨٧.

ومن أمثلة هذه العمليات عمليات زرع الكلي وعمليات نقل الدم باعتبار الدم نسيجا ضمن أنسجة الجسم وفي هذا النوع من العمليات يحدث ما يسمى بعملية الطرف من قبل الجسم المتلقى وهي المعروفة طبيا (Rejection).

والنوع الثالث : نقل عضو من حيوان إلى انسان أو من حيوان إلى حيوان آخر مختلف النوع ومن أمثلة هذه العملية نقل القلب من القردة إلى الإنسان .

لا شك أن لزراعة الأعضاء منافع للناس ، ومع ذلك أثارت مشاكل فقهية واخلاقية .

يقول باحث إسلامي : إن أول عملية لزرع عضو بشري حدثت بمعجزة إلهية وهذه العملية قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجال زراعة) العيون (وذلك عند ما قام برد عين الصحابي الجليل "قتادة" إلى مكانها بعد أن قلعت في موقعة - بدر - وعلى هذا لم تكن الشريعة الإسلامية بمنأي عن هذا المجال بل إن فقهاء المسلمين قد وضعوا الأصول والمبادئ المنظمة لهذه العمليات استنادا إلى الكتاب والسنة والقياس. [٢٥]

---

٢٥ - هل يجوز التبرع بالأعضاء ؟

قسم الفقهاء الأعضاء التي يمكن التبرع بها ، والتي لايمكن التبرع بها.

١ - الأعضاء التي يجوز التبرع بها شرعا مقصورة على الأعضاء المزدوجة التي تتمثل في " الكلية" دون غيرها من الأعضاء الأخرى .

٢ - الأعضاء التي لايجوز التبرع بها هي الأعضاء المنفردة في جسم الإنسان أو المزدوجة من غير الكلي لما في ذلك من التشويه البدني والاخلال بالحياة العادية أو الطبيعية.

هذا ، ويقول الأستاذ محمد علي البار أنه لا يؤخذ الأعضاء من الأشخاص المتوفين إلا في حالات "الوفاة الدماغية " وهؤلاء أيضا عددهم قليل جدا بالنسبة للحالات المرضية الموجودة في العالم.(جريدة المسلمون الأسبوعية ، العدد ٥٦٢ ، نوفمبر ١٩٩٥)

زرع آلة التناسلية:

وهذا الأمر وإن كان يتعلق به المحافظة على النسل أو النوع إلا أنها تغير مشكلة هامة فيما يتعلق بمسألة زرع العضو التناسلي للرجل ولذلك على افتراض هذه العملية فإذا تمت هذه العملية كما تمت عملية الزرع بالنسبة للمرأة حيث تم لها زرع (قناة فالوب) تفاديا لحالات العقم الناتجة عن تلف هذه القناة. =

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أغزوا ولاتغلوا ولاتغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الوليد ، ولا أصحاب الصوامع " رواه مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا ، فاستوفى منه ، ولم يعط أجره " () رواه البخاري

صرح الحنفية بأن أطراف الانسان ـ كاليد ، والرجل ـ يملك بها مملك الأموال ، فهذا لايعني ماليتها ، ولا أنها أموال حقيقية ، بل أنها تضمن بالدية والمال ، في حال سقوط القصاص بسبب ما ، كما في حال الإذن ، أو الأمر بقطع اليد ، مثلا ، إن كان القاطع غير طبيب. لأن الأمر بالقطع أورث شبهة ، والشبهة هنا ، لها حكم الحقيقة ، لكن يضمن دية اليد ، لأن عصمة دم المسلم قائمة مقام الحرمة ، وسقوط القصاص للشبهة لايمنع وجوب المال للحرمة. (نفس المرجع)

فقه الضرورة:

زرع أعضاء الحيوان في الإنسان:

وقد اكتشف جديدا قابلية زرع قلب الخنزير ، للإنسان . وذلك بعد أن اكتشف الطبيب البريطاني "مايكل بيوك " في نهاية الثمانينات أنه يمكن الاستفادة من كلية الخنزير وزرعها لمرضى الفشل الكلوي. وقد أشار وقتها أن قلب وكبد الخنزير كبديل للأعضاء البشرية. وأوضح ـ وقتها ـ أن صمامات قلب الخنزير تشبه صمامات قلب الإنسان.

وقال بيوك إن الأطباء يميلون إلى الاستفادة من أعضاء الخنزير لأنه حيوان متوافر بكثرة بعكس الشمبانزي الذي تصعب تربيته في غير موطنه.

القائلين بالجواز:

يرى الدكتور محمد علي البارأن نقل الأعضاء الحيوية من الحيوانات إلى الإنسان أمر مطلوب ولا بد من استمرار البحث العلمي لأمرين:

الأول : أن الإنسان مكرم وإذا استطاع العلماء التوصل إلى استخدام أعضاء أي حيوان لانقاذ حياته من الهلاك فلا بد أن نرحب بذلك.

والأمر الثاني هو ندرة المتبرعين من البشر بأعضائهم الحيوية عند وفاتهم. وفي حال نجاح التجارب العملية على إيجاد حل لاستخدام الأعضاء الحيوانية كبديل للأعضاء البشرية فسيكون ذلك فتحا علميا عظيما ، فالمرضى المنتظرون يزداد عددهم يوميا.(جريدة المسلمون الأسبوعية ، العدد ٥٦٢ ، نوفمبر ١٩٩٥)

يرى د. علي المحمدي عميد كلية الشريعة والقانون جواز هذا النوع من العلاج ، عملا بقاعدة الضرورات تبيح المحذروات ، وكذلك تدل نصوص الشرع ومقاصده على حماية النفس والبدن من المهالك. ويستدل بالآية القرآنية :﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ﴾. في اضطرار المرء إليه فهو غير محرم عليه =

= كإباحة الرسول صلى الله عليه وسلم للعرنيين أبوال الإبل على للتداوي من المرض " وعلى اختلاف في بول الابل تبقى قاعدة الضرورة".

المانعين:

ويقول د. عبدالرحمن أبوبكر الجزائري : إننا من الجانب النفسي نستطيع من خلال استقراء الكتاب والسنة أننا نجد قرائن واضحة الدلالة في انعكاس هذا الجانب النفسي السيء من العضو المتقول ، ففي القرآن الكريم يصف الله سبحانه وتعالى القاسية قلوبهم من الجرثومة البشرية بقوله: ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ والحجارة معلوم طهارتها ووصف القلب بها ذم ، وليس بمدح . وفي السنة ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن مسابقة الامام قوله عليه الصلاة والسلام :" إما يخشى أحدكم أن يحول الله رأسه رأس حمار "؟ وعلى اختلاف الشراح للحديث في مدلوله فإن اقتناء الانسان لعضو حيوان مذموم وكل عضو يعكس آثاره النفسية وانطباعاته الاجتماعية بنظرة تتباين بين الاستهجان أو الاشفاق وكل من الصورتين لها آثار نفسية غير سوية بطبيعة الحال مع سلوك الإنسان الموجهة إليه تلك النظرات. (جريدة المسلمون الأسبوعية ، العدد ٥٦٢، نوفمبر ١٩٩٥)

عميد كلية الشريعة بالأردن: غني عن البيان أن الإنسان هو أشرف المخلوقات على وجه الأرض وقد سخر الله تبارك وتعالى الكون كله سماته وأرضه وما فيهما من أجل الانسان وهذا التسخير يعني أن ينتفع الانسان بالكائنات الحية والجمادات من غير ما شطط أو اسراف ودون أن تلحق به أذى عاجلا أو آجلا أو أن يؤجي ذلك إلى خلل في التناسق الكوني ، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا عبثا فلا يجوز قتل صنف من اصناف الحيوانات بحيث يعدم وجوده حتى لو كان محرما في الشرع كالخنزير مثلا لأنه لم يتمحض ضرره .(جريدة المسلمون الأسبوعية ، العدد ٥٦٢ ، نوفمبر ١٩٩٥)

بخصوص الخنزير:

يقول الدكتور محمد رأفت عميد كلية الشريعة بالأزهر: أنه لايجوز شرعا اللجوء إلى الحرام إذا توافر الحلال فلا يجب أن نستعين بأعضاء الخنزير لاسعاف الإنسان إلا إذا كانت هناك ضرورة لذلك كالضرورة التي تبيح أكل الميت أو شرب الخمر ، وهذه الضرورة لاتصح إلا في الحالات القصوى والاستثنائية فحسب ولا يمكن أن نحولها إلى قاعدة عامة بمعنى أن كل من يحتاج إلى عضو نأخذه له من خنزير لأن استخدام أعضاء الخنزير أو شعره أو عظامه كل ذلك غير جائز لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اليهود لأنهم كانوا يستخدمون شحوم الخنزير في طعامهم ومواقدهم ولتدفئتهم، وبذلك فإنه يجب علينا من الناحية الشرعية أن نبحث لنا عن بديل آخر للخنزير. (نفس المرجع)

وكذلك الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين عضو الافتاء بالمملكة العربية السعودية والشيخ عبدالعزيز لم يجوزا زراعة القلب الخنزيرحتى ولو جاء لزراعة قلب الكافر. =

المطلب الخامس :

تبديل الدم

من أهم القضايا المعاصرة في حقل الطب ، إمكانية تبديل الدم وتوسيع مدى الإستفادة منه كدواء سواء في شكله الأصلي أو جعله إلى مادة أخرى سائلة أوغير سائلة .

وقد تكلم الفقهاء حول الإستفادة من الدم . وقد جعل إبن حزم التداوي بالدم من الضروريات. مع أن مدى التداوي الذي تكلم عنهم الفقهاء القدماء يختلف بجوهره مما توسع عليه حقل الطب المعاصر.

ويكون التداوي بالدم عن ثلاثة طرق:

١ - شرب الدم مباشرة ، من دم حيوان مباح اللحم ، أو محرم اللحم.

٢ - التداوي به ، وذلك بعد جعله دواءا بحيث يخرج من طبيعته الأصلية.

٣ - تبديل الدم بدم إنسان آخر من نفس الفصيلة ، وذلك عند إصابة الشخص بالأمراض التي تفسد الدم كالسرطان واليرقان وغيرها. وكذلك عند إجراء العمليات الجراحية .

٤ - تزريق الدم ، لدى إضاعة المصاب بالمرض وافتقاره إلى الدم.

ويباح الإستفادة من كل هذه الأنواع عند من يدخلها ضمن حالات "الضرورة" المبيحة للحرام:

يقول ابن حزم :" والتداوي بمنزلة " ضرورة" وقد قال الله تعالى :﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ﴾ فما اضطر المرء إليه فهو غير محرم عليه من المأكل والمشرب ...والضرورة تبيح المجذورات ، كما يجوز أكل لحم الميتة والخنزير عند خوف الهلاك من الجوع ، فقد جعل لنا شفاءنا من الجوع المهلك - فيما حرم علينا - في تلك الحالة ، ونقول: نعم ، إن الشيء ما دام حراما علينا فلا شفاء لنا فيه فإذا اضطررتم إليه فلم يحرم علينا حينئذ ، بل هو حلال فهو لنا حينئذ شفاء".[٢٦]

وكذلك من الناحية السيكولوجية ، يؤثر زراعة القلب الحيواني على إنسان مسلم يحمل قلب خنزير مدى حياته، ولا شك أنه ليس دون ضرر - والله تعالى أعلم.

٢٦ - المحلى لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦، ج ١ ص ٢٣٤ ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .

والمعروف أن العمليات الجراحية اليوم لايمكن إجراءها دون استعمال الدم الأجنبي ، وذلك غير ميسور إلا بالقول بحلها للضرورة والاضطرار. يقول عز و جل :﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ [٢٧] وأيضا يقول الله عزوجل :﴿ يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر ﴾ [٢٨] وثمة قاعدة فقهية تقول : " المشقة تجلب التيسير " و " الضرورات تبيح المحظورات " [٢٩] ، كما يقول الشاه ولي الدهلوي".. إن رفع الحرج من الأصول التي بنى عليها الشرائع".[٣٠]

وفي هذا المجال دم المسلم والكافر سواء ، إلا أن لدى وجود دم المسلم يكره ادخال دم الكافر، حيث هناك إمكانية تأثير دمه على المسلم ، من حيث وجود الكحول أو محصول من اللحم الخنزير.

---

٢٧ ـ البقرة : ١٧٣.

٢٨ ـ البقرة : ١٨٥.

٢٩ ـ القواعد الفقهية لعلي احمد الندوي ، ص ٢٧٠ طبع دار القلم بدمشق الطبعة الثانية ١٩٩١.

٣٠ ـ حجة الله البالغة ج١ ، ص ١٨٣ طبع دار الكتب العلمية.

المبحث الثالث:

في

الهجرة:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهومها

المطلب الثاني: أشكال الهجرة

المطلب الثالث: الهجرة عبر العصور وفيه فرعان:

الفرع الأول: الهجرة الدولية في القرن العشرين

الفرع الثاني: الهجرة الداخلية

المطلب الأول:

مفهوم الهجرة [١]

سبق أن قلنا أن من أسباب التحول الديموغرافي الهجرة.

وللهجرة أنواع عدة يتميز كل منها بخصائص معينة ، وإن كان يقصد بها عموما انتقال الأشخاص من منطقة جغرافية إلى أخرى بقصد مكان الإقامة الدائم.

كما أنه قد تكون دوافع الهجرة مختلفة ، مادية أم معنوية:" فالشعوب المتخلفة قد يهاجر لتستفيد من مزايا الحياة في مجتمع متقدم ، أو قد تهاجر الشعوب المتقدمة لتستفيد من فرص التنمية التي تتيحها الدول المتخلفة". [٢]

المطلب الثاني:

أشكال الهجرة

الهجرة نوعان:

الأول : الهجرة إلى خارج الدولة وتسمى هذا النوع بـ" النزوح الخارجي (Emigration) أو (Out-Emigration).

---

١ - الهجرة تطلق بمعنى الذهاب في الأرض . وبمعنى الانتقال عن الشيء والمفارقة له إما بالبدن أو باللسان ، أوبالقلب... (١) ويقول صاحب اللسان : الهجرة من الهجر وهو ضد الوصل ، ومنه قوله تعالى: ﴿واهجرني مليا﴾ (آية :٤٦ سورة مريم) - وقوله ﴿ والرجز فاهجر ﴾ (آية ٥ سورة المدثر) فانه حث على المفارقة بالوجوه كلها. وقد غلب استعمالها على الخروج من أرض إلى أرض وترك الأولى إلى الثانية. وهي في لسان أهل الشرع : مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام ، خوف الفتنة وطلب إقامة الدين . والمهاجرة : المجانبة والمتاركة أيضا، ومنه المهاجر .. وقوله تعالى :﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ﴾ (آية ١٠٠سورة النساء) فظاهر منه المجانبة والمتاركة لدار الكفر إلى دار الاسلام. ومن ذلك سمة الذين تركوا مكه وتحولوا إلى المدينة من الصحابة بالمهاجرين.

٢ - تنمية المجتمعات المتخلفة - ريموند فروست - ترجمة أحمد قاسم جودة ص ٢١.

٢ - الهجرة في داخل الدولة وتسمى بـ " الهجرة الداخلية " (Immigration) . [٣]

ثم هذان النوعان لايخرجان من هذه الأشكال الخمسة:

١ - الغزو ، وفيه يدخل المهاجرون كغزاة فاتحين بقوة السلاح.

٢ - الإزاحة (Displacement) وفيها يشرد السكان بواسطة الغزاة.

٣ - العمل الإجباري (Forced Labour) وأحسن الأمثلة التاريخية له هو أسر الرقيق ونقلهم.

٤ - الهجرة الفردية الطوعية.

٥ - الهجرة المقيدة. [٤]

المطلب الثالث:

الهجرة عبر العصور

مما لا شك فيه أن معظم حركات الشعوب في التاريخ القديم أخذت شكل حركات جماعية. ففي المجتمعات الصغيرة البدائية يندر أن تنصرف الأفراد مستقلين عن عشيرتهم أو قبيلتهم. وقبل اختراع الزراعة كان الناس يحصلون على غذائهم إما بطريق الصيد البري والصيد البحري وإما بطريق الرعي الذي يتطلب الإرتحال والانتقال. وفي كلتا الحالتين تمارس هذه الحرف ممارسة جماعية . [٥]

بيد أن الهجرة الطوعية بدأت في القرن التاسع عشر:

يعد القرن التاسع عشر والعقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين العصر الذهبي للهجرة الفردية الحرة. فقد شهدت هذه الفترة أعظم ما سجله التاريخ من هجرات بشرية. وفضلا عن ضخامة حجم الهجرات التي عبرت الأطلنطي إلى أمريكا ، فقد قطع المهاجرون مسافة طويلة لم يسجلها

---

٣ - علم السكان ص ١٢٧.

٤ - ٥٩٩-٥٨٩ ص ١٩٤٩ Kingsley Davis ,Human Society, New York.

٥ - السباق بين الانسان والطعام ، ص ٦٧ .

وعلم السكان ص ١٢٨ - ١٢٩.

التاريخ من قبل. وقد سلك ا لتوسع الأوربي العظيم في القرن التاسع عشر سبيلين، أولهما الزيادة الطبيعية ، وثانيهما الهجرات الهائلة إلى القارات الجديدة البكر عبر القارات.

ويقدر مجموع المهاجرين إلى نصف الكرة الغربي منذ مطلع القرن التاسع عشر بنحو سبعة وخمسين مليونا ، دخل منهم الولايات المتحدة نحو ثلاثين مليونا أي أكثر من نصف مجموعهم. وقد وصل العدد الأكبر من المهاجرين إلى الولايات المتحدة فيما بين عامي ١٩٠١ ـ ١٩١٠ ، فقد بلغ عدد المهاجرين خلال تلك الفترة نحو تسعة ملايين . وتأتي الفترة ١٨٨١ـ ١٨٩٠ في الترتيب الثاني ، إذ يبلغ عدد المهاجرين خلالها من أكثر من خمسة ملايين. وجاءت الغالبية العظمى من المهاجرين)٨٠ ـ ٩٠٪ (من أوربا، وإن كانت بعض الأقطار الأمريكية قد أسهمت في إرسال المهاجرين إلى الولايات المتحدة ولاسيما كندا. غير أن المهاجرين فيا بين الأقطار الأمريكية ـ على أية حال ـ ما هم إلا مهاجر ن حديثا من اوربا. ولعل أبرز إستثناء هو انتقال الكنديين الذين يرجعون إلى أصل فرنسي عبر الحدود من كوبيك إلى نيو انجلند.

وفي غضون القرن التاسع عشر تغيرت المصادر الرئيسية للهجرات إلى العالم الجديد. فحتى حوالى سنة ١٨٨٠ جاء معظم المهاجرين من أوربا الغربية والشمالية حين كانت في أوج نموها السكاني السريع. وكانت أيرلندا وانجلترا وأسكندناوة وألمانيا تأتي في مقدمة البلاد المرسلة للمهاجرين فقد عبر الايطاليون ، ويهود روسيا وبولندا والسلوفاك والشعوب الصقلبية في أوسط أوربا وشبه جزيرة البلقان ، واليونانيون عبر كل هؤلاء المحيط الأطلنطي بأعداد كبيرة. ويشار إلى الهجرات الأولى بالهجرة المبكرة ، وإلى الهجرات الثانية بالهجرة المتأخرة. [٦]

ووصلت مثل هذه الهجرات ، ولكن بأعداد أقل كثيرا ، إلى كندا وأمريكا الجنوبية واستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقية. ويقدر مجموع من غادروا أوربا خلال القرن التاسع عشر بأكثر من ستين مليونا ، ويحتمل أن ثلاثة أرباعهم بقي في الخارج. وقد شهدت أجزاء أخرى من العالم هجرات مماثلة وكلها صغيرة الحجم نسبيا. وقد كانت الصين والهند واليابان في مقدمة أقطار آسيا للمهاجرين.

الفرع الأول - الهجرة الدولية في القرن العشرين:

---

٦ - علم السكان ص ١٣٦ - ١٣٧ ، والسباق بين الانسان والطعام ص ٦٩.

بحلول العقد الرابع من القرن العشرين اختلفت جميع الدول التي تتصدر العالم في استقبال المهاجرين عن سياستها التي كانت تتمثل في السماح بالدخول غير المقيد. وأصبحت القاعدة هي الحصص التي تحدد عدد الداخلين الجدد من كل دولة أو سلالة وتفضيل المهاجرين الذين لديهم مهارات مهنية معينة ، ووضع القيود على منع الجنسية ، والحظر الشامل للهجرة من المناطق التي يعتبر سكانها غير قابلين للتكيف من سكان البلاد المستقبلة للمهاجرين. [٧]

ومنذ الحرب العالمية الثانية أدت القلاقل الاقتصادية والسياسية إلى إحياء الهجرة من أوربا إلى ماوراء البحار [٨]. وكان حجمها كافيا ليسهم بدرجة ملحوظة في نمو السكان في البلاد المنخفضة الكثافة مثل كندا وأستراليا ونيوزلندا ... [٩]

وقد برز نمط آخر للتهجير المقيد (معظمه التهجير الداخلي) في القرن العشرين ، وهو نمط كان سائدا في الماضي .. ويتمثل هذا النوع من التهجير في النقل الإجباري لمجموعات أثنولوجية[١٠] كاملة أو قطاعات كاملة في ا لمجتمع. وأبرز الأمثلة على هذه الهجرات الإجبارية القسرية التي قامت بها الدول الدكتاتورية الحديثة إزاحة السوفيت) السابق (لجماعات الكولاك (Kulaks) إلى مواضع لمدن جديدة ، ونقل المستعمرات العنصرية مثل

---

٧ - Dukicy Kirk, demographic trend in Europe, Annals of the American Academy of Political and Social Science ٢٦٢ (March ١٩٤٩) pp ٤٠-٥٥ translated by Dr.M.S.A Hakeem pp١٣٥-١٣٧

٨ - ماوراء البحار: يقصد بها خارج البلاد ، وكانت هذه العبارة قديما مصطلحا لأن السفر غالبا ما كان بالسفينة وعبر البحار ، ولا سيما بلاد بريطانيا التي تحاط بالبحار ولايمكن السفر إلا بالسفينة.

٩ - علم السكان ص ١٣٦-١٣٧.

ويحسن الكاتب أن يذكر هجرات الاجبارية للمسلمين من مناطقهم إلى معسكرات العلم في مناطق سايبريا، وإسكان غير المسلمين من ا لروس والأوكران في بلادهم مثل أوزبكستان وتركمنستان وآزربيجان ... وظل ذلك الحالة سائدة حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. ونزاع الدموي بين الآزريين (المسلمين) مع الأرمن (المسيحيين) حول منطقة نيجارا كاراباغ ليس إلا دليلا على صدق المقال. كما يتناسى كتاب الغربي من التذكر بهجرة اليهود الى فلسطين.

١٠ - Athnology: علم السلالات البشرية.

التتار والعناصر الجرمانية في الفولجا إلى معسكرات الموت ، ونقلهم الأرقاء من الأقطار المحتلة إلى المدن الصناعية الألمانية. [١١]

الفرع الثاني - الهجرة الداخلية:

تعتبر الهجرة من الريف إلى المدن هي النمط الرئيسي للهجرة الداخلية في العصور الحديثة. وربما قبل الحديثة أيضا. ففي سنة ١٧٩٠ كان ٥٪ من سكان الولايات المتحدة يعيشون في المدن ، بينما يعيش ٩٥٪ منهم في المناطق الريفية. أما تعداد ١٩٥٠ فقد صنف السكان إلى ٥٩٪ سكان مدن و ٤١٪ فقط سكان ريف.

المطلب الخامس :

أثر الهجرة

ولقد لعبت الهجرة الداخلية الثقيلة دورا في نمو سكان المدن أكبر من الدور الذي لعبته الزيادة الطبيعية السريعة.

و هذا النوع من النزوح المستمر موجود من الريف إلى الحضر في البلاد النامية. فالمدينة بأضوائها وأسواقها والخدمات الموجودة فيها تجذب الريفي الطموح خاصة إذا كان عاطلا عن العمل. وحركة الهجرة المستمرة من القرية إلى المراكز الحضرية ليست حكرا على بلاد العالم " النامي" فهي عارض عام ، إلا أن درجة النزوح هائلة في العالم الرقي لأسباب عدة منها فترات البطالة المتقطعة - بين المواسم الزراعية - وضعف المدخول ، وانعدام الخدمات ــ ماء وكهرباء مجارير ومدارس وعناية صحية ... إلخ ، وغياب الضروريات في بعض الأحيان ... وكل هذه عوامل دافعة نابذة من الريف إلى المدينة ، التي تجذب بدورها ، الريفي البسيط بمغرياتها المادية المتعددة.

ولكن كثيرا ممن قاموا بهذه الخطوة المغامرة، تحت ضغط الظروف المعيشية ، لم يلقوا ما أمكن، فالمساكن مفقودة بالنسبة لأمثالهم ، والخدمات معدومة ، والعمل ليس ميسرا دائما ،

---

١١ - Hunnah Arenda, The Origin of Tiltarianis, New York ١٩٥١.

وعدم اهتمام المسؤولين بالتنمية الجدية للأرياف المحرومة تجعل العودة إلى القرية شبه مستحيلة ، أضف إلى ذلك العالم النفسي في الخيبة بل وربما الشماتة التي قد يقابل بها العائدون الذين هاجروا أصولهم في سبيل حياة متمدنة " أفضل " كانت حلمهم. [١٢]

---

١٢ - الحرمان والتخلف في ديار المسلمين - الدكتور نبيل صحي الطويل ص ٤٠ - ٤١.

الفصل الثالث

في

دوافع تنظيم النسل و وسائله

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: التنظيم خشية الفقر والاملاق

المبحث الثاني: في البيئة والتنظيم

المبحث الثالث: دور الدولة في تحديد النسل

المبحث الرابع: في التنظيم للتربية

المبحث الخامس: وسائل تنظيم النسل

المبحث الأول

في

التنظيم خشية الفقر والاملاق

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الفقر

المطلب الثاني أقسام الفقر و فيه خمسة فروع:

الفرع الأول: الفقر الفردي وفيه خمسة مسائل:

المسألة الأولى: أمراض اجتماعية:

المسألة الثانية: الفقر يؤدي إلى انحراف الأولاد

المسألة الثالثة: انتشار المفاسد الاجتماعية:

المسألة الثالثة: التساؤل:

المسألة الرابعة : انتشار ظاهرة الرشوة:

المسألة الخامسة: أمراض اجتماعية أخرى:

الفرع الثاني: تلازم الفقر والمرض وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إنعكاسات الفقر السلبية

المسألة الثانية: سوء التغذية (Malmutrition) :

المسألة الثالثة: إنعكاساته سوء التغذية:

الفرع الثالث : ضعف التجهيز الصحي:

الفرع الرابع: الأمية: - وسعة نطاق الأمية

الفرع الخامس: كثرة الوفيات:

المطلب الثالث: أسباب الفقر:

السبب الأول - التكاسل وتعطيل الطاقات

السبب الثاني - عدم وجود التكافل في بلاد المسلمين

السبب الثالث - الفقر نتيجة عدم التوزيع العادل للغذاء

السبب الرابع - دور دول الشمال

السبب الخامس - الفقر الناتج عن سوء السياسة

السبب السادس - النظم الفاسدة

تمهيد:

جغرافية التخلف[1] في البلاد الإسلامية

---

١ المفهوم السياسي للتخلف : من حيث أن هذه الظاهرة أساس لكل الويلات الواردة علينا ، فرأينا أن نلقي ضوءا عليها ومافهمه الغرب منها وإطلاقها علينا . فإنه أساس هذه الكلمة يرجع إلى مصطلحات وعبارات كانوا يطلقون علينا إخواننا المتقدمون "الأوربيون" ـ الرأسماليون منهم والشيوعيون ـ علينا من ألفاظ ركيكة" إلى عبارات مخدعة مجملة ...)أنظرمثلا : "كتاب زيادة ثروة الشوب " لألبرت لوتر باخ :

ولقد مرت هذه العبارة بمراحل عديدة قبل أن تأخذ شكلها الحالي الملطف. ففي الماضي كان الأوربيون يطلقون كلمة " برابرة " على كل الشعوب والأمم التي تقل عنهم مدنية، وغالبا ما كانوا يقصدون بها الشعوب التي ابتليت باستعمارهم ، ثم تحولت إلى اصطلاح آخر أقل حدة وإيلاما ، هو " الأمم المتأخرة" كي تصبح فيما بعد ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية " العالم الثالث" ، أي كتلة الأمم التي لاتنضوي تحت هيمنة المعسكر الرأسمالي الغربي " ظاهرا " أو التي لاتدور في فلك المعسكر الشيوعي" ظاهرا" . (جغرافية التخلف ص ٤٨) وتشكل ديار المسلمين الجزء الأكبر من العالم الثالث في أفريقيا وآسيا ... هذا العالم الذي يسميه الغرب ـ نفاقا وخدعة ـ " الدول النامية " والعالم كله ، كما هو معروف مقسوم الآن إلى (عالم الشمال) الغني المتقدم تكنولوجيا ، والمستغل ـ بكسر الغين ـ و (عالم الجنوب) الفقير المتخلف المستغل ـ بفتح الغين ـ ولكن الغرب ـ الرأسمالي والماركسي على السواء ـ يتحاشى ظاهرا استعمال كلمة التخلف والفقر ويطلق على العالم الفقير المعدوم تعبير " الدول النامية ". والبحث في هذا التعبير يظهر من معنى الكلمة بالانكليزية (developing) فيه توحي بالحركة القائمة مع أن واقع هذه الدول هو العكس تماما ، ففي عالم الجنوب " استقاع " اقتصادي إن لم نقل تراجعا وتأخرا. ولقد شكلت هذه الشعوب المتخلفة كتلة " دول عدم الانحياز " التي حاولت تارة عبثا أن تحتل مركزا وسيطا بين الشرق والغرب ، والتي لعبت دورا لا بأس به على الصعيد السياسي في أروقة الأمم المتحدة فساهمت أدبيا في تحرر عدد لا بأس به من الدول المستضعفة. (أنظر " التخلف ص ٦٤ ومابعدها لمحمود شاكر ـ المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨) .

بيد أن النفاق السياسي جنح إلى تبني عبارات أخرى أكثر جاذبية بالنسبة للأمم المقصودة بهذا المصطلح ، فظهرت عبارة الأمم المتخلفة أو "الكادحة" التي تعمل لخدمة اقتصاد الدول المتقدمة ، أو النامية ـ العبارة التي أصبحت موضع التباس لأنها تصح بالنسبة للأمم المتقدمة والمتخلفة في آن واحد.

والتخلف من منظور غربي: =

الأمة في ضوء معايير التقدم المادي:

برغم كل ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة اليوم من تقدم مادي وعلمي وتقني، بيد أننا إذا نظرنا نظرة تأمل إلى أمتنا في ضوء معايير التقدم المادي المعاصر وجدناها وراء وراء !!
ولاشك أنها تمر بأصعب طور لم يسبق له في التاريخ الإسلامي نظيرا. وقد تبلورت ظاهرة التخلف على شكل فاقٍ - ولو جزئيا - كافة العلاقات الاجتماعية الداخلية. فقد توترت علاقات أفراد المجتمع: علاقة الافراد فيما بينهم ، وعلاقة الأفراد مع الدولة ، والدولة لاتكاد تتفاهم مع العالم الخارجي. ويكون لكل نوع من هذه الظواهر خصوصيتها المميزة.
إذ الأمة الإسلامية عالة على الأمم الأخرى في قوام حياتها الاقتصادية والعسكرية ، إنها لاتنتج الكفاية من القوت الذي به قيام المعيشة ، ولا من السلاح الذي به حماية السيادة. وكما يقول الأستاذ محمد الحسني:
" إن الإسلام اليوم ، إسلام يسمى فيه المولود مسلما بحكم القانون والوراثة ، ويبقى مسلما ، ليتمتع به بما شاء من منافع مادية وأدبية ، إنه إسلام جامد ، واقف ، سلبي ، لايتدخل في شؤون المجتمع والحياة ، بل يترك الحبل على غاربه ، ويودع جيله تحت رحمة الموجات المادية الطاغية، والأفطار السامة والأدب المائع ، فيترك المجتمع فريسة سهلة ، ولقمة سائغة ، أمام ذئاب الإنسانية ، ووحوش الحضارة ، وقراصنة السياسة ، ولصوص الدين والأدب .." [٢]

= يقول أحد الكتاب الغربيين تحت عنوان :" تنمية المجتمعات المتخلفة :" إن الشعوب حصلت لأول مرة على وضع قومي مستقل وكان الاستقلال فيما مضى مقصورا على الشعوب القوية أو الغنية أو كليهما، وكانت الدول الضعيفة والفقيرة تشترك في المدنية كرعايا أو محميات أو مستعمرات ، وكانت هذه الصورة لا تملك صوتا تحتج به على حالتها ، ولا سلطان لها تطلب به خلاصها مما هي فيه ...(أنظر: The Back ward Society , by Raymond Frost, translated by: Ahmad Qasem Joudeh. ترجمة أحمد قاسم ص ١١).
ولقد أصبحت هذه الشعوب مشكلة مألوفة فعلا عند جماهير الشعوب الغنية المتقدمة ، وأصبحت صحافة العالم تتناول بالتفصيل شؤون المجتمعات المتخلفة أكثر ... نفس المصدر ص ١٢.
ثم هناك أخيرا تلك العبارات التي يزداد انتشارها مشيرة إلى مشكلات الدول المتخلفة كالتنمية الإقتصادية ، والتخطيط ، والتضخم ، والعملات الصعبة وأسعار السلع ، والتنمية الريفية ... نفس المصدر ص ١٤

٢ - محمد الحسني ، تقديم الفكر الإسلامي الكبير - أبو الحسن الندوي - الطبعة الأولى ص ٢٥-٢٦.

إن " الإسلام محجوب اليوم بأهله "، وإن كثيرا من المسلمين اليوم في واد والإسلام في واد آخر مع الأسف. ولايكف أعداء الإسلام عن الادعاء الكاذب الحاقد بأن سبب تخلف المسلمين هو ... الإسلام ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ [٣]
وكما قال المفكر الإسلامي مالك بن نبي عليه رحمة الله " والتخلف الذي يعاني منه الشرق لايتحمل الإسلام وزره ، فهذا التخلف يعد عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يزعمون". وصدق الله العظيم"﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [٤] وقوله تعالى ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا﴾ [٥]

إن المسلمين في الأعصر الأخيرة :" رضوا بالزرع ، وتبعوا أذناب البقر " كما وصفهم الحديث النبوي ، ومع هذا لم يعطهم زرعهم من الثمر، ولا بقرهم من اللبن ، ما يغنيهم عن الاستيراد من غيرهم . ولا عجب أننا انفقنا معهم أن لا خيرلنا في كثرتنا ، وكثرتنا كغثاء السيل ، ولسنا خير أمة كناما﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إن الله لايغير[٦] بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [٦] وقوله تعالى:﴿ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ [٧] . ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال :" نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله ." . أننا نفتقد الكيفية بشكل رهيب ، مهدد بالمجاعة ومحاصرة بالأمية والجهل والأمراض الروحية والجسمية . ونسينا كلنا ـ حاكمين ومحكومين مسؤوليتنا التي حددها الرسول صلى الله عليه وسلم :" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته "[٨]. فوصلنا ووصل الكل إلى نتيجة واحدة من هذا القدر من سواد الإنسان أن لا خلاص منا إلا بتحديد نسلنا نحن المسلمين ؟؟ توهما منا أنه الحل الوحيد والأمثل للمشكلات التي لاتحد ولاتحصى...

---

٣ ـ سورة الكهف آية ٥.
٤ ـ سورة طه : ١٢٤.
٥ ـ الجن :١٦.
٦ ـ الرعد:١١
٧ ـ الأعراف: ٥١.
٨ ـ سبق تخريجه.

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإننا:

١- لسنا مع أصحاب النظرية التشاؤمية - بل ونتفاءل في الحصول على حلول.

٢- ولا مع أصحاب الأماني وأحلام اليقظة - ينتظرون سقوط الحضارة لمصلحتهم ...

٣ - ولا أصحاب نظرية " الانسحاب " من معركة الحضارة.

٤ - ولا التواصل الحضاري الوارد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لاتزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " برؤية نصفية من أن القيام مقتصر على الجانب العبادي الروحي السلبي ، دون إدراك سنن التسخير ومعرفة أسباب التمكين في الأرض.

٥ - ولا مع الذين يتقنون فن الجلد والتوهين لهذه الأمة ... ويعنيهم البحث في أسباب التفرقة أكثر مما يعنيهم التأكد على عوامل التوحد. [٩]

فنقرأ تاريخ حضارتنا الإسلامية قراءة تأمل واعتبار. يجب أن نؤمن أن لم يكتب في ناصيتنا منذ الأزل أننا "متخلفون" إن الأمة التي قدمت خلال قرن واحد أباحنيفة الشافعي ومالكا وأحمد وابن سينا وخوارزميا والرازي ، لن يعجز عن تقديم جيل من أمثالهم مرة أخرى ؟ أمة سادت الدنيا قرونا.

وأن التفوق الاقتصادي الأوربي علينا لايرجع إلى تاريخ بعيد ، كما يعترف به الكاتب الأوربي - روبرت لويز (Robert Loules) " إن التفوق الاقتصادي للغرب على الشرق لايزيد عمره عن ألف سنة وهي فترة لاتكاد تبلغ سدس أو خمس التاريخ المعروف للإنسانية. أما تفوق أهل الشرق فإنه على العكس يرجع إلى أربعة آلاف قبل الميلاد إن لم يرجع إلى ما قبل ذلك ".

إن مشكلتنا تتبلور في التربية الناقصة أو المفقودة. وفي سوء التخطيط ، والجهل السائد في المجتمع ، في تعطيل قواتنا وعدم التفاهم بين شتى الفرق في المجتمع، عدم العفو والاعفاء عن أنفسنا ، عدم فهم نوعية المرض التي نعاني منه ، ومعالجته، و أخيرا لا آخرا عدم درك الأولويات في الحياة. [١٠]

---

٩ - دراسة في البناء الحضاري ص ٧ و ما بعدها للدكتور محمود محمد صفر ، الطبعة الأولى - صادر عن سلسلة كتب " الأمة".

١٠ - ولا تنسى تربص أعدائنا بنا وكيدهم ومكرهم لابتلاعنا ، والقصة عن هذه القضية طويلة ومريرة ...

فهناك أيدى أجنبية من خارج الأمة ، وهذا الخارج يلعب دور الصديق والعدو في آن واحد ، دور المتعاطف ودور المشتدد ، يعبر عن ظلمه بـ" الدعم " ويبرر ظلمه بـ " الحق". فهو صاحب كلمة " الحق والمسموع". فيطرح القوانين دوما على حسب مذاقه والذي يتماشي مع مصالحه.

فهناك عالم آخر ، هو عالم اليهودية والنصرانية ، لايمكن لها تسمح بوجود دول إسلامية ذات صلابة وقوة.

يكتب أحد الكتاب المسلمين:

عندما سيطر المستعمرون الصليبيون على أراضي غيرهم ، ومدوا نفوذهم إليها ,وضعوا في مخططهم أربع نقاط عليهم :

١ - نهب خيرات الأرض. بأي وسيلة ، أكان بتهديد أصحابها أم بطردهم أم بقتلهم أم بالشراء. وقد جردوا جيوشا ، وعدوا نفقات هذه القوات إنما يجب أن يكون عل حساب البلاد المسلوبة.

٢ - استعباد السكان :نظر المستعمرون الصليبيون الأوربيون إلى غيرهم من أبناء البشر نظرة خاصة ، فهم إن كانوا من اسود فقد خلقوا لهم عبيدا ، وجدوا ليخدموا العرق الأبيض ، وليتتجوا له ، وليؤمنوا له كل حاجاته تكليفا من عند الخالق - حسب زعمهم. لذا عدوهم من سقط المتاع يعاملونهم كما يعاملون البهيمة التي أحلت لهم .. سواء مسلمين أو غير مسلمين .

٣ - نشر النصرانية ، وفي سبيل ذلك ذاقوا فيها العالم الويلات ، وعرف فيها من أفانين الوحشية الكثير .

٤ - اصطفاء أعوان : لما فشل المستعمرون الصليبيون حمل سكان البلدان التي استعمروها على النصرانية ، وكانوا يتوقعون ذلك ... بدأوا يخططون لاصطفاء أعوان لهم من أهل البلاد المستعمرة ، يستخدمهم لتنفيذ أهدافهم وتبني آرائهم ...وذلك بالاغراء بالمنصب والتسلط ، والمال والشهرة...(انظر "التخلف" ص ٢٧ ومابعدها - محمود شاكر)

يجدر بالذكر أنه لاينتج التخلف عن قلة الثروات الباطنية في دولة ما فربما انعدمت هذه الثروات في أرض دولة فاستغنت عن ذلك بما تستورده من فلزات وما تصنعها في بلادها أو استعاضت عن الصناعة بالتوجه نحو الزراعة ومحاولة انتاج كل ما تحتاج إليه وتصدير ما يفيض عنها ... وذلك مثل الدنمارك ، وفي الوقت نفسه توجد دول تذخر أرضها بالثروات الباطنية ولكنها دول متخلفة لأنها لاتعمل على استخراجها بنفسها .. مثل زائير في أفريقية وزامبيا وكثيرا من البلدان المتخلفة ... فليس هنا السكان هم المسؤولون عن هذا التخلف حيث لايملكون من الأمر شيئا وإنما النظام هو المسؤول عن ذلك إذا لم يعمل على تأمين الخبرات بإنشاء المعاهد المهنية وتشجيع السكان للاكتساب إليها وكل ما يتطلبه الاستخراج والتصنيع والتهيئة والتسويق.

وكذلك لاينتج التخلف عن ضيق الأرض ، ولا عن قلة الأرض الزراعية باتساع الصحراء أو امتداد الغابة أو ...فهنا المشكلة في عدم وجود سياسة زراعية حكيمة في أكثر دولها إذ يلاحظ كخط عريض : البناء على أخصب الأرض واستعمال تلك الأرض في شتى مجالات الاستهلاك إلا الزراعة من بناء ثكنات عسكرية ،

إننا بوسعنا حل كل هذه المشاكل ، من خلال ابعاد هذه العوائق. ولنؤمن أننا لن نصل إلى حل بتقليد الغرب والشرق فيما ذهبوا ...

يجب - في ظني - وللتخلص من هذه الظاهرة من إيجاد أربعة أمور:

١ - الإيمان : نؤمن بديننا إيمانا واثقا ونحسن ظننا في الله عز و جل.

٢ - الفهم : بديننا ، وأن نفهم أن بوسعنا إحياء حضارتنا ومجدنا وكذلك بوسعنا التخلص من التخلف.

٣ - مواجهة التحديات حسب الأولويات.

٤ - الثقة التي تقهر اليأس .

العمل: العمل بالجد تخطيطا وتنفيذا.

المطلب الأول :

الفقر

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" كاد الفقر أن يكون كفرا " [١١]

وهو صلى الله عليه وسلم أيضا يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر". [١٢]

وأيضا يقول صلى الله عليه وسلم :" ليس لإبن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء". وأيضا منه صلى الله عليه وسلم :" من

= وملاعب رياضية ، ومعامل ، ودور للسكن ... حين تترك الأرض البور أو التي لاتصلح للزراعة لايستفاد منها وهي تصلح لتلك المجالات وعلى مقربة منها .. إضافة إلى إهدار المياه..

أيضا لايعرف قيمة للوقت في هذه الدول المتخلفة ، على شتى المستويات ، والبرنامج الخاطئ لاستعمال الوقت وعدم الالتزام بالوقت . وللمزيد من المعلومات أنظر " التخلف ص ٦٤ ومابعدها

١١ - رواه أحمد بن منيع والبيهقي، طبع

١٢ - البخاري كتاب الدعوات ، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات.

أصبح آمنا في سربه ، معافي في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما أحيزت له الدنيا بحذافيرها". [١٣]

روى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ... زويت لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين ، الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوانا من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد : إني إذا قضيت قضاء ، فإنه لايرد ، إني أعطيتك لأمتك ، ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدوانا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من أقطارها - أو من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا " الحديث. [١٤]

ويقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :" لو كان الفقر رجلا لقتلته". [١٥]

ويقول السيد قطب: إن الإنسان خليفة الله في أرضه، قد استخلفه عليها ليمنى الحياة فيها ويرقيها، ثم ليجعلها ناضرة بهيجة ثم ليستمتع بجمالها ونضرتها، ثم ليشكر الله على أنعمه التي أتاه ، والإنسان لن يبلغ من هذا كله شيئا إذا كانت حياته تنقضي في سبيل اللقمة ... ولو كان كفاية كيف إذا قضى الحياة فلم يجد الكفاية .." [١٦]

هذا، في حين أن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقهم وإياكم ﴾ [١٧]

ويقول سبحانه أيضا :﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [١٨]

فالفقر، برغم كل ما يستعاذ منه ويتنفر منه ، فإن له كيان ثابت ولا سيما في عصرنا ، والفقر ليس أمرا يستهان به بل يجب الإعتناء بدراسته للتقليل منه والقضاء عليه. فما هي الأسباب وراء

---

١٣ - الترمذي و تحفة الأحوذية.

١٤ - دراسة في البناء الحضاري ص ٧ ومابعدها - الدكتور محمود محمد سفر - الطبعة الأولى ، الصادر عن سلسلة كتب " الأمة".

١٥ - المرجع المذكور أعلاه ، ثم أعثر على المصدر الأصلي.

١٦ - في ظلال القرآن ، نشر دار الشروق

١٧ - الأنعام ١٥١.

١٨ - هود ٦.

هذا التعارض السافر بين واقعنا من الفقر المدقع ، وبين ما نؤمن به من المبادئ القائلة بوفور نعم الله التي لا تحصى ؟ فنبدأ بتعريف الفقر.

المطلب الثاني

مفهوم الفقر:

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل يجب أن نتعرف على حقيقة الفقر ، فنقول:

الفقر: العوز والحاجة. والفقير ضد الغني . فقر فلان : إذا قل ماله.

وجاء في القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ . [١٩]

والفقرعند أهل اللغة : عبارة عن فقد ما يحتاج إليه ، أما فقد ما لا يحتاج إليه فلا يسمى فقرا"[٢٠]

وفي اصطلاح الفقهاء:

عند الحنفية:

الفقير هو من يملك شيئا دون النصاب الشرعي في الزكاة. أو يملك ما قيمته نصاب أو أكثر من الأثاث والأمتعة والثياب والكتب ونحوها مما هو محتاج إليه لاستعماله والانتفاع به في حاجته الأصلية.

وعند الأئمة الثلاثة:

الفقير من ليس له مال ولا كسب حلال لائق به ، يقع موقعا من كفايته ، من مطعم وملبس ومسكن وسائر ما لا بد منه ، لنفسه ولمن تلزمه نفقته ، من غير اسراف ولا تقتير ، كمن يحتاج إلى عشرة دراهم كل يوم ولايجد إلا أربعة أو ثلاثة أو اثنين . [٢١]

---

١٩ ـ فاطر :١٥.

٢٠ ـ مختار الصحاح مادة ف ق ر.

٢١ ـ فتح القدير الديلعي ، وفقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي ج٢ طبع مؤسسة الرسالة

ونظرا لأن الحالة الاقتصادية في العالم المعاصر قد تغيرت ، وأصبحت حاجات الإنسان أكثر تعقيدا اكثر مما كانت في الماضي ، حيث أنه بحاجة ليشترى معظم حوائجه اليومية حتى الماء للشرب ، ويدفع ضرائب عديدة ، وأنه لايستغني من الكهرباء ـ مثلا ـ وذلك لايحصل من دون دفع المبالغ . فذلك كله يدخل ضمن حاجيات الإنسان . وبناء على ذلك ، فإن فاقد الكهرباء قد يسمى فقيراً لزدنه إذا كان في مدينة لايمكن المعيشة دون الكهرباء . وعلى كل يختلف معنى الفقر كذلك.

وهناك تعريفات معاصرة لكلمة الفقر والفقير.

يعرف روبرت كانمارا ، رئيس البنك الدولي من ١٩٦٨ ـ١٩٨١ الفقر:

١ ـ هو تلك الحالة المعيشة المتدنية بسبب الجهل ، و سوء التغذية ، والمرض والقذارة التي تحرم المصاب بها من الاحتياجات الأساسية.

٢ ـ مستوى من المعيشة يستحيل معها الإمكانات المولودة بها الإنسان.

٣ ـ مستوى من المعيشة يسيء إلى الاحترام الإنساني والمستوى المعيشي لـ ٤٠٪ من سكان العالم الثالث.[٢٢]

المطلب الثاني

أقسام الفقر

وينقسم الفقر إلى نوعين :

الأول ـ الفقر الفردي.

الثاني ـ الفقر الجماعي ـ أو الحكومي . [٢٣]

---

٢٢ ـ سوزان جورج، ترجمة محمد عثمان محجوب، مجلة المجتمع ص ٢٠ العدد ١١٦٩ اكتوبر عام ١٩٩٥.

٢٣ ـ Family Planing in the legacy of Islam, Prof Abdul Rahim Omran طبع لندن. و : Population and Development C. Warn and P. Wilby .

ولكل دوره حيث يترتب عليه أحكامه الفقهية.

الفرع الأول في الفقر الفردي وفيه خمسة مسائل:

المسألة الأولى ـ أمراض اجتماعية:

قالوا: إن هذا الفقر يؤدي إلى مظاهر كثيرة تهدد حياة الإنسان ، وتوقعه في مشاكل ما لا حصر لها، وكأنما لولم يولد لتواجه هذه المشاكل . فلهذا النوع من الفقر أعراض، أولها أمراض اجتماعية.

المسألة الثانية ـ الفقر يؤدي إلى انحراف الأولاد:

من المعلوم أن الطفل حين لايجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء ، ولايرى من يعطيه ما يستعين به ما يحفظ به الحياة، وأسباب الحياة ، وينظر إلى ما حوله فيجد الفقر والجهد والحرمان، فإنه ـ لا شك ـ سيلجأ إلى مغادرة البيت بحثا عن الأسباب ، وسعيا وراء الرزق . فتتلقفه أيدي السوء والجريمة ، وتحيط به هالة الشر والانحراف، فينشأ في المجتمع مجرما ، ويكون خطرا على الأنفس والأموال والأعراض.

المسألة الثالثة ـ انتشار المفاسد الاجتماعية :

أ ـ التساؤل :

ويصدق الفساد الاجتماعي على أي فقير يدفعه الفقر إلى التساؤل ، أو التواضع بدرجة الذل ، فلا يبقى لديه ماء وجهه أو بتعبير آخر يقتل شخصيته الاجتماعية.

ب ـ ثم انتشار ظاهرة الرشوة:

كما أن الفقر هو المسئول عن اختلال النظم ، وذلك بسبب انتشار الرشوة بين العمال الفقراء. فالعامل الذي لايحصل على كمية كافية من الراتب الشهري ، يتشبث ويتوسل بكل وسيلة بغية الحصول على لقمة العيش ، ولدى الحاجة ـ التي تعبر بالضرورة ـ لا مانع لديه (إلا من رحمه ربه) من أخذ الرشوة. وهذه الظاهرة بكل أسف منتشرة في معظم البلاد الإسلامية . والرشوة وما يترتب عليها من الاختلال في المجتمع من أشد الأمراض الاجتماعية . ناهيك عن مغادرة روح الإكرام والضيافة و مكارم الأخلاق.

ج : وأمراض اجتماعية أخرى :

وذلك كالسرقة ، والغش ، والخيانة ، والزنا ، والمنكرات الأخرى وحتى الارتداد عن الدين والعياذ بالله - كما حدث في أندونيسيا ، وكثير من البلاد من أفريقيا السوداء . ناهيك ما يجعل الفرد دوما يفكر في إطعام نفسه وذويه ، ويستغل منصبه وسيلة العيش والذي يمحو موهبته للعمل.[٢٤]

الفرع الثاني - تلازم الفقر والمرض وفيه مسائل ثلاث:

لقد جرى مرارا وتكرارا إثبات العلاقة القائمة بين الثروة المادية ومؤشرات الحالة الصحية ، كما جرى بصورة خاصة إيضاح أن متوسط العمر المتوقع عند الميلاد، ونسبة وفيات الرضيع ، يرتبطان على نمو وثيق بمؤشرات التنمية الاقتصادية مثل الناتج الإجمالي للفرد ".[٢٥]

إنعكاسات الفقر السلبية:

المسئلة الأولى - سوء التغذية: (Malnutrition)

---

٢٤ - وثم تبرز ظاهرة غريبة تشبه إلى حد بعيد بما نستطيع تسميتها بـ " تعامل إنتقامي" - ويمكن أن يكون بديلا غير رسمي من الرشوة الرائجة بين أصحاب المناصب - والذي هو ناجم عن تبعات الفقر بين كثير من الأفراد - لاسيما غير المتعلمين بالدين - وفي كثير من المجتمعات . فالرجل حين يشعر أنه اغتصب حقه بأيدي الآخرين ، فإنه لايتردد أنه يأخذ حقوقه المزعومة الضائعة . وهذا التسلسل يدور في المجتمع ، ولعل السبب الرئيسي وراء تفشيها الفقر . فصاحب الحانوت يحاول أن يغش صاحبه : سائق السيارة ، والجزار، والمهندس، والطبيب ، توهما منه أنهم بدورهم قد نهبوا منه شيئا عند حاجته إليهم ، ولا يرى بأسا في أن يسترد حقه ، أيا كان وسائله . وهكذا تدور ظاهرة انتقامية بين هذه الأفراد في المجتمع .. وعند تفحص جذور هذه الظاهرة ، يكتشف أن الفقر [illegible] تتعاشى مع متطلبات المجتمع المادية ، لها دور كبير في إيجادها . ومع الأسف إنها فشت في كثير من البلدان الإسلامية . وتستمر طالما عدم التوازن بين الطبقات موجود بهذه الدرجة.

٢٥ - التقرير السادس عن الحالة الصحية في العالم ، الجزء الأول ، منظمة الصحة العالمية ١٩٨٠ صفحة ٣٤.

فنتيجة العوامل التي ذكرت من قبل ، تؤدي إلى سوء التغذية. وتتجلى مشكلة سوءالتغذية في ارتفاع نسبة المصاريف وتكلفة الغذاء بالنسبة للدخل الفردي أو في ميزانية الأسرة السنوية. ففي البلاد المتخلفة تمتص نفقات الغذاء ما يعادل ٦٠ بالمائة من دخل الأسرة كما في القطر التونسي و ٥٥ بالمئة في تركيامقابل ٤٥ بالمئة في ايطاليا و ٣٣ بالمئة في ألمانيا الغربية ، و ٤٠٪ في فرنسا .. [٢٦]

وهناك من يقول : إن ٧٠٪ من أولاد البلدان النامية يشكون من سوء التغذية .[٢٧] وفي أفريقيا ٦٣٪ من النساء الحوامل (أي من ١٥,١ مليون) و ٤٠٪ من بقية النساء (أي من ٧٧,١ مليون) مصابات بضعف الدم (الأنيميا) أما في آسيا ٦٥٪ من النساء الحوامل (أي من ٤٣,٢ مليون) و ٥٧٪ من بقية النساء (أي من ٢٥٣,٢ مليون) مصابات أيضا بضعف الدم . وبصورة عامة يمكن القول : إن أكثر من نصف النساء في آسيا وأفريقيا مصابات بضعف الدم (٦٤٪ من الحوامل و ٥٠٪ من غير الحوامل) ومجموع المصابات في القارتين ٢١٢,٧٥ مليون إمرأة. [٢٨]

يقول (هلفدن ماهلر) المدير العام لمنظمة الصحة العالمية " سوء التغذية هو ، في الوقت نفسه ، أحد نتائج الظلم الإجتماعي ، وأحد العوامل التي تسهم في بقاء هذا الظلم" [٢٩]

وقد لوحظ في الولايات المتحدة أن قامة الفرد الأمريكي زادت وسطيا بمعدل سنتيمترين خلال ربع قرن لكثرة ما يتناوله من فيتامينات وأغذية غنية متنوعة . أما في البلاد الفقيرة فالغذاء رتيب ونباتي أساسا يرتكز على الحبوب ومشتقاتها كالبرغل ، وهو القمح المجروش بعد سلقه

---

٢٦ - جغرافية التخلف ص ٥٨.

٢٧ - السيطرة على أمراض النقص الغذائي ، دراسة أساسية رقم ٢٤ ، منشورات منظمة الصحة العالمية ، سنة١٩٧٠ ، صفحة ٥٦.

٢٨ - نقلا من "الحرمان والتخلف في ديار المسلمين " ص ٦٨. ويجدر بالذكر أن من السياسات البنك الدولية التي يجب أن تعتنقها الدول المدينة هي : ١ - خصخصة المؤسسات التي تديرها الدولة مع تشريد أكبر عدد من موظفي الدولة مما يزيد في حدة البطالة ، وانحطاط مستوى الخدمات في وزارات الخدمات ، وهي الصحة والتعليم والمواصلات.

٢٩ - السيطرة على أمراض النقص الغذائي، صفحة ٥٦.

وتجفيفه، في بلاد الشام ، والكسكسي في المغرب ، والرز في الشرق الأقصى الذي يعتبر من أسباب مرض الكوشيكورو ، ويؤدي نقص فيتامين أ في غذاء شعوب الأقطار النامية إلى ضعف البصر وهو من عوامل العمى الذي يصيب آلاف الأطفال سنويا في جنوب شرق آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، كما أن نقص فيتامين ج يؤدي لمرض الاسقربوط.[٣٠]

المسئلة الثانية - إنعكاسات سوء التغذية:

وينعكس سوء التغذية هذا على نوعية الأمراض المؤدية للوفاة وعلى درجة الذكاء ، فإذا كانت أسباب الوفاة الأولى لدى الشعوب الراقية هي أمراض القلب والنزيف الدماغي والسرطان وحوادث السيارات ، فإن مرض السل وفقر الدم والملاريا هي من نصيب الأمم الفقيرة. وقد تبين من دراسة جرت في الولايات المتحدة أن أبناء الطبقات الميسورة أكثر قدرة على الأعمال العقلية والدراسات الذهنية كالرياضيات والفيزياء والميكانيك والطب ، أي أن الرقي والتقدم أصبح احتكارا لذوي العضلات المفتولة ، في حين تجنح غالبية متعلمي الأقطار المتخلفة نحو الدراسات النظرية التي لاتستدعي مجهودا عقليا متواصلا ومثابرة حثيثة لايتعورها السأم والاسترخاء فيكثر بين ظهرانيهم المؤرخون والفلاسفة والخطباء المفوهون وأرباب الكلام المنمق ومخترع الشعارات وهواة تسلق الكراسي من الذين لاتحتاج إليهم أوطانهم كثيرا في تنميها وانتشالها من وهدة البؤس. ويقول المثل البدوي :" من يقول لا يفعل ومن يفعل لا يقول ". مثلما يقول المثل الفرنسي :" إن كبار القوالين ليسوا من كبار الفعالين ".[٣١]

الفرع الثالث - ضعف التجهيز الصحي:

" الصحة هي حالة من اكتمال السلامة بدنيا ، وعقليا ، واجتماعيا ... لا مجرد انعدام المرض أو العجز".[٣٢]

---

٣٠ - نوع من أمراض سوء التغذية.

٣١ - جغرافية التخلف ص ٦١.

٣٢ - الصحة كما عرفها الصحة العالمية : التقرير السادس عن الحالة الصحية في العالم - الجزء الأول ـ صفحة ٤٧ كتاب الأمة - الحرمان والتخلف في بلاد المسلمين - تأليف الدكتور نبيل صبحي الطويل ص ٢٥.

فليس غريبا أن يكون الوضع الصحي في البلاد المتخلفة ... متخلفا أيضا مثل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتقنية ... [٣٣]

فهو - أي الوضع الصحي - على صلة وثيقة بهذه الأوضاع كلها يفعل فيها ويتفاعل بها ، فالصحة تلعب دورا هاما - سلبا أو إيجابا - في الوضع الإقتصادي ، والفقر - كما هو معروف - حليف المرض، كما هو حليف الجهل." [٣٤]

وبجانب ضعف التجهيز الصحي ثم قلة الأطباء بالنسبة لعدد السكان. ففي الولايات المتحدة كان يصيب كل ٥٠٥ مواطنا طبيبا واحدا في عام ١٩٧٩ ، وطبيبا لكل ٤٦١ نسمة في ألمانيا، طبيبا لكل ٣٥٠٠ في مصر ، طبيبا لكل ٦٠٠٠ نسمة في المملكة العربية السعودية ، و طبيبا لكل ٨٩٠٠ في المغرب ، وطبيبا لكل ٢٠٠٠٠ نسمة في كل من أثيوبيا واليمن الشمالي. [٣٥]

هذا كما ينسب ذلك التدني في الأحوال الصحية إلى قلة الأسرة في المشافي ، فهناك سرير واحد لكل ٨٣ مواطنا في بريطانيا ، ولكل ١٠٠ شخص في الولايات المتحدة ٧٠٠ في المملكة العربية السعودية و ٣٠٠٠ لكل مواطن في الهند ، ولكل ١٠٠٠٠ في بورما. [٣٦]

هذا كما ينسب ذلك التدني في الأحوال الصحية إلى قلة السرر في المشافي ، فهناك سرير واحد لكل ٨٣ مواطنا في بريطانيا ، ولكل ١٠٠ شخص في الولايات المتحدة ، ٧٠٠ في المملكة العربية السعودية و ٣٠٠٠ لكل مواطن في الهند ، و لكل ١٠٠٠٠ في بورما. [٣٧]

وتذكر الدكتورة فايان في كتابها " كنت طبيبة في اليمن" الذي ترجمه الدكتور محسن العيني أنها لم تعثر في هذه البلاد على شخص واحد سليم تماما من الأمراض، وهذا في الخمسينات طبعا". [٣٨]

---

٣٣ - نفس المرجع ص ٣٦.

٣٤ - للتخلف والحرمان في ديار المسلمين - الدكتور نبيل صبحي الطويل ص ٣٢.

٣٥ - جغرافية التخلف ص ٥٣.

٣٦ - نفس المرجع ص ٥٤.

٣٧ - نفس المرجع ونفس الصحة.

٣٨ نفس المرجع ص ٥٥ -٥٦.

والغريب أن بعض الدول التي تشكو من نقص في عدد أطبائها هي التي " تصدر " أكبر نسبة من الأطباء للدول المتقدمة ضمن إطار " هجرة الأدمغة " لأن معظم الأمراض المنتشرة في هذه الأقطار البائسة هي أمراض ناجمة عن العوز الغذائي التي لا يتوفر علاجها في الصيدلية بل في حلة الطعام أي في " القدر " أو " الطنجرة". [٣٩]

ولا ينسى العالم المتقدم هنا أن يقدم خدماته للدول النامية:

فمن السياسات البنك الدولي التي يجب أن تعتنقها الدول المدينة هي:

١ - خصخصة المؤسسات التي تديرها الدولة مع تشريد أكبر عدد من مؤظفي الدولة مما يزيد في حدة البطالة ، وانحطاط مستوى الخدمات في وزارات الخدمات ، وهي الصحة والتعليم والمواصلات.

٢- إزالة أو تقليل الدعم للقطاع الزراعي والمواد الغذائية ، والرعاية الصحية ، والتعليم.

الفرع الرابع - الأمية:

وتعزو شدة ارتفاع نسبة الأمية في البلاد العربية جزئيا إلى إستفحال الأمية بين صفوف النساء مما يتنافى مع قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :" طلب العلم فريضة على كل مسلم".

والواقع لاتصيب الأمية في الأقطار المتقدمة سوى القاصرين عقليا في حين تعتبر الأمية هي السائدة بين صفوف البالغين لدى الشعوب المتخلفة.

وفي عام ١٩٧٧ قدرت منظمة اليونسكو عدد الأميين في العالم بحوالي ٨٠٠ مليون نسمة من البالغين ثلثاهم من النساء.

وسعة نطاق الأمية:

ولكن هنا نوع آخر من الأمية نوعية ونقصد بها هنا ضعف التعليم المهني والتكنولوجي ، وكأن معاهدنا اختصت بإنتاج أرباب السيف والقلم ، أي لاتخرج الكثير من المنتجين اقتصاديا ممن يستطيعون كسب رزقهم من عرق جبينهم . فالطلاب الذين يتقلون تعليما تقنيا لا يؤلفون أكثر من عشر الذي يقصدون معاهد التعليم النظرية ، لأن هذا التعليم الفني المهني يتطلب

---

٣٩ - نفس المرجع ص ٥٥.

العديد من المدرسين المختصين وتجهيزات تستدعي نفقات هائلة ، ويعتبر هذا من المعوقات التي تعرقل تطبيق سياسة تنمية اقتصادية ناجحة تحقق عملية الاقلاع المرغوبة ، ونقصد بهذه العملية التخلص نهائيا من " عاهة التخلف " والدخول في حظيرة الأمم المتقدمة. [٤٠]

وبالاختصار تخرج معاهدنا الكثير من الذين لايدخلون الدارة الاقتصادية كمنتجين ... فلايكون زمام المبادرة في أيدي المنتجين بل يكاد يكون كليا في أيدى المستهلكين ، أي يتعلق مصيرهم بالأسواق الخارجية ، أو الدول المشترية وهي غالبا من الدول الغنية أو المتقدمة ، مما يجعل اقتصاد الدول المتخلفة تحت رحمة البورصات العالمية والعرض والطلب مما يؤدي لاضطرابات اقتصادية تعقبها غالبا هزات اجتماعية وسياسية خطيرة.

الفرع الخامس - كثرة الوفيات:

فإذا كان يرتفع عدد المواليد - نتيجة تقدم الحضارة المادية ، كما مر الإشاره اليه - إلا أن هذا الارتفاع تقابله شدة نسبة الوفيات في البلاد المتخلفة ، وذلك نتيجة الفقر المسبب لسوء التغذية ، وخاصة بين صفوف الأطفال ، إذ سرعان ما تنقلب المهود الباسمة إلى قبور كالحة .

ففي فرنسا مثلا كان يموت (في السبعينات) خلال عام ١٧ طفلا بين كل ١٠٠٠ طفل مولود حي و ١٥ طفلا فقط في هولندا ، بينما ترتفع هذه النسبة إلى ١٥٠ في الجزائر وفي البرازيل وإلى ٢٠٠ في بعض الدول العربية الفقيرة أي حوالي عشرة أضعاف نسبة وفيات الأطفال لدى الأمم المتقدمة ، ويقدر خبراء منظمة الصحة العالمية أن ربع الأطفال يموتون خلال السنوات الخمس التي تتلو الولادة لدى الدول الفقيرة. [٤١]

ثانيا - الفقر الجماعي:

---

٤٠ - جغرافية التخلف ص ٦٦.

٤١ - بينما الحالة هذه في الدول النامية ، تدفع الدول النامية الآن سنويا ما يعادل مليار دولار للدول الصناعية كتسديد للقروض القديمة مع فوائدها ، وتحصل منها سنويا على قروض إنمائية واقتصادية عادية - أي دون شرط مخففة - بقيمة ١١٠ مليا دولار ، مما يعني فائضا لصالح الطرف الأثري وازدهار اقتصاده وزيادة رفاهيته بحجم ٦٠ مليار دولار سنويا.

١,٣ مليار نسمة في فقر مدقع:

يعرف برنامج الأمم المتحدة الأفراد الذين ينطبق عليهم مصطلح " الفقر المطلق " بالأفراد الذين لايمكنهم دخلهم من الحصول على الحد الأدنى من " الغذاء المناسب " إضافة إلى حاجيات وسلع أخرى . وقد بلغ تعداد الذين يعيشون في فقر مدقع ببلدان العالم الثالث حوالي ١,٣ مليار فقير موزعين وفق الجدول التالي:

أسماء الدول	الفقراء بالمليون	نسبتهم إلى إجمالي السكان
١- إفريقيا جنوب الصحراء	٣٠٠	٥٤ ٪
٢- جنوب آسيا	٥٢٠	٤٣٪
٣ - آمريكا اللاتينية والكاريبي	١٨٢	٤٠ ٪
٤- جنوب شرق آسيا	١٦٩	٣٥ ٪
٥ - الدول العربية	١٣	٢٥ ٪
٦ - شرق آسيا	١١٧	٩ ٪
المجموع [٤٢]	١٣٠,١	

والمصائب تلازم بعضها بعضا . " ف" في البلاد الفقيرة يمرض الرجال والنساء ، لأنهم فقراء ... ويزيد فقرهم عند ما يصابون بالأمراض ، ويشتد المرض عليهم لأنهم فقراء معدمون ... وهكذا تشكل الحلقة المفرغة ويستمر دوران المساكين المسحوقين فيها ". [٤٣]

---

٤٢ - المصدر: المكتب المرجعي للإسكان - الإمم المتحدة.

٤٣ - ثمن الصحة و تكاليف المرض للدكتور ونسلر ، منشورات منظمة الصحة ص ١١ ، و كذلك : Fertility in Asia, John Stockle & Amruth Jain طبع لندن ١٩٨٦.

المطلب الثالث

أسباب الفقر

وعند دراسة هذا الموضوع ، نرى وجهات نظر مختلفة أو بعبارة أدق متضادة تنظر إلى هذه الظاهرة. فمنهم من لا يعتبر هذه الظاهره إلا نوعا من المصائب المصطنعة ، وناتجا عن بعض العوامل التي ترجع غالبا إلى أنفسنا ، وإلىعوامل خارجية.

ومنهم من يرى أن هذه الظاهرة ناجمة ـ أساسا ـ من كثرة السكان وأنه لا تخلص منها إلى بتنظيم نسل لبشرية و ضبطه.

بيد لدى إمعان النظر بتعمق في جوهر الظاهرة يرى أن الفقر ناتج من أسباب كثيرة . فالفقر ناجم عن الأسباب الآتية:

١ ـ التكاسل وتعطيل الطاقات

٢ ـ عدم التكافل الإجتماعي : فقدان الزكاة ، وجود الربا ـ والمقامرات ، بطر النعمة ، والاحتكار

٣ ـ عدم التوزيع العادل

٤ ـ الفقرنتيجة نهب ثروات الشعوب.

٥ ـ الفقر الناتج عن سوء السياسة.

السبب الأول ـ التكاسل وتعطيل الطاقات :

إن الفقر ينتج أحيانا عن التكاسل والنوم والغفلة في اللحاق بركب التقدم العالمي. فالأمة لا تحمل بنصف طاقاتها و لا بربعها و لا بخمسها . فأرخص شيء عندها هوالوقت ، وأثقل شيءعليها هو العمل. فالطاقات بشتى أنواعها إما معطلة أو مشلولة. فكما يحلل الأستاذ القرضاوي تعطيل الطاقات في كتابه تحت عنوان:" أين الخلل":

" ... مع أن الله تعالى خلقنا لنعمل ، بل خلقنا ليبلونا أينا ﴿أحسن عملا﴾ [٤٤] . والعمل في الإسلام عبادة وجهاد سواء كان عملا للدين أم للدنيا ، إذا خلصت فيه النية ، والتزمت حدود الله تعالى ، ولكن أمتنا للأسف أقل الأمم عطاء وعملا ، وأكثرها كلاما وجدلا.

كما أن "... طاقاتنا الاقتصادية معطلة ، فنحن نعيش في أهم بلاد الله موقعا ، وأطيبها بقعة ، وأخصبها أرضا، وأحفلها بالمعادن المذخورة في باطنها، والثروات المنشورة في ظاهرها ، ولكننا لم نستغل ثرواتنا، ولم نزرع أرضنا، لم نصنع المعادن والمواد (الخام) المستخرجة من أرضنا... فلا غرو أن يهلك الملايين منا جوعا ، وبلادنا زراعية ، مادمنا عاجزين عن حفر بئر في الأرض ، منتظرين المطر من السماء ، وما دمنا نهتم بمظاهر الرفاهية لا بمصادر الانتاج . كالذين حكى الله عنهم من أصحاب القرى الظالمة التي دمرها على أهلها ﴿ فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ [٤٥] . وكان أولى بهم أن يهتموا بالآبار ومصادر المياه قبل تشييد القصور !!

أليس من المؤسف المحزن أن نظل إلى اليوم عالة على غيرنا ، فلا نزرع من الحبوب ما يكفي غذاءنا، ولا نقيم من الصناعات ما يحمي ديارنا ؟ لقد رأينا عددا من بلاد المسلمين في أفريقيا يسقط فيها الناس هلكى تحت مطارق المجاعة والجفاف حيث لايجدون مايمسك الرمق ، أو يطفي الحرق ، وكان في الإمكان ـ لو فكروا في الأمر من قبل وخططوا له ـ أن تحفر آبار ، وتدق أنابيب تستخرج بها المياه من جوف الأرض ، فإذا لم ينزل الغيث من السماء وجدوا ما يستنبط من الأرض عوضا. ورأينا مسلمين آخرين ـ لوفرة ما تنتجه بلادهم ـ يتخلصون من الثمار بدفنها في الأرض ، لأنهم لايستطيعون تصنيعها ، ولايستطيعون حفظها ، ولايستطيعون نقلها ؟ أليس هذا من العجز الذي استعاذ منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال ـ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه:" اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل " [٤٦] .

السبب الثاني - عدم وجود التكافل في بلاد المسلمين:

---

٤٤ ـ سور الملك :٢.

٤٥ ـ الحج ٤٥.

٤٦ ـ البخاري كتاب الدعوات ، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات.

فثم تبذير وترف، وبجانبة فقر مدقع . فبعض أثرياء المسلمين ينفقون على بعض الأمور والهوايات التافهة ما يكفي لإنقاذ أطفال المسلمين من كثير من الأمراض والفقر .

يقول الأستاذ صبحي نبيل الطويل :

وهناك في العالم اليوم حوالي ٢٨ مليون أعمى أكثر من ثلثيهم في البلاد النامية، ويسهم الفقر والبيئة الملوثة وفقدان الخدمات الصحية في حصول هذا العدد الضخم من العميان والعميات من الفتيان والشبان خسارة اقتصادية كبرى بالإضافة للمأساة الإنسانية في فقدهم لبصرهم بأمراض يمكن الوقاية منها لو توفرت الخدمات الصحية للمحرومين في العالم النامي .

اثناعشر سنتا أمريكيا تكفي لشراء كمية فيتامين (أ) تقي طفلا من مرض العمى الأنهار الذي يصاب بها أكثر من ٢٨ مليون عام ١٩٨٣ - لمدة عام كامل ، ولا حاجة لشراء هذا الفيتامين إذا كان في طعام الأولاد اليومي بعض الخضروات ذات الأوراق الخضراء. فإذا أردنا وقاية كل أطفال وأولاد إقليم الشرق الأوسط المسلم المصابين بنقص التغذية - وهم حوالي ستين مليون - بإعطائهم كلهم فيتامين (أ) لما احتجنا لأكثر من دولار كل عشرة منهم أي ما مجموعة ستة ملايين دولا أمريكي، فهل هذا كثير لوقاية أطفال المسلمين من العمي .[٤٧]

" فإذا صرف عدد قليل من المرضى العرب الأغنياء ثمانمائة مليون دولار في العام ... ربما لتخسيس الوزن ومداواة السمنة ، والإفراط في حياتهم الخاصة أكلا وشربا وتناسلا ورفاهية وتخمة، أقول : إذا صرف هؤلاء العرب أو صرفت عليهم حكوماتهم هذا المبلغ الهائل ألا يستطيعون - أو تستطيع حكوماتهم - صرف عدة ملايين من الدولارات لمداواة عشرات الملايين من المسلمين المصابين بأمراض العمى ؟ [٤٨]

قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز و جل : " وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما ما يقدر أن ينصره فلا يفعل".

وإذا امتنع ذووالفضل والسعة واليسر من المسلمين عن طاعة الله ورسوله في هذا المجال (مجال التكافل) أخذ ولي الأمر فضول أموالهم ، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه ، إذا اقتضت الضرورة ذلك ، بالإضافة إلى الزكاة .

---

٤٧ - نقلا من مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١٢٧٣ تاريخ مارس ١٩٨١.

٤٨ - التخلف والحرمان في ديار المسلمين ، نبيل صبحي الطويل.

السبب الثالث ـ الفقر نتيجة عدم التوزيع العادل للغذاء:

يدعي بعض الغربيين أن الزيادة في عدد سكان العالم الفقير هي سبب مشاكل الجوع ونقص الغذاء، ولعل أحسن رد على هذا الإدعاء الباطل جاء من المفكر الفرنسي المعاصر (رجاء غارودي) حين قال:

" من العار أن نسمع المؤتمر السكاني ـ الديموغرافي ـ في (بوخارست) يقول فيما يتعلق بالسكان : إن إنجاب أقل عدد ممكن من الأطفال يجنب العالم مشاكل الجوع ، في الوقت الذي نعرف جيدا أن فلاحا باكستانيا أو هنديا يستهلك أقل مما يستهلكه زميله الأمريكي في (كاليفورنيا) بأربعة مرات. وهذا أعني ، بكل بساطة أن عشرة آلاف من المواليد الأمريكيين أكثر خطورة على التوازن العالمي من أربعة ملايين من المواليد الباكستانيين أو الهنود ، والمسألة إذن ليست في تحديد النسل كما طالب مؤتمر (بوخارست) لأن الداء قائم في أسلوب ونمط النمو الاقتصادي الموجود في الغرب بينما يكمن الدواء والحل في ضرورة تغيير تصرفات وأهداف العالم الغربي".[٤٩]

إن الدول المتقدمة تنفق مائة مليار دولار سنويا على الخمور ، كذلك تنفق حكومات مجتمعة ثلاثمائة مليار دولار سنويا على التسلح ، ويكفي استعمال ٣٪ من مصروفات الخمور أو تخفيض ١٪ فقط من مصروفات التسلح لكي تتوفر المياه النظيفة للعالم كله. [٥٠]

ولا يخفى أن عالم الشمال يعيش في رفاهية على حساب بؤس أهل الجنوب .

يقول الدكتور نبيل صبحي:

" إذن (مهزلة) الدول "النامية" ستستمر طالما أن (عالم الشمال) يعيش في بحبوحة على حساب بؤس وحرمان آلاف الملايين من سكان (عالم الجنوب) ، فمنه تسرق ـ حتى الآن ـ المواد الخام والمنتجات الزراعية أو تشترى بأبخس الأثمان ثم تصنع في الغرب المتقدم لتعود بأسعار فاحشة ، وليس من مصلحة المستغل تقدم وتطور و(نمو) المستغل ـ بفتح الغين ـ ووقوفه على قدميه اقتصاديا وسياسيا. لذلك لم تنجح (تمثيليات!) المعونات الاقتصادية والفنية للدول النامية ولن تنجح إذ استمر الشمال في استغلال الجنوب بهذه الصورة الشنيعة رغم بعض الأصوات الحرة

---

٤٩ ـ نفس المرجع.

٥٠ ـ الماء والصحة العامة ، مجلة (الأمة).

القليلة المعارضة التي تنادي - في الغرب - بإيقاف هذه الطريقة الظالمة المذلة في العلاقات الاقتصادية بين أغنياء العالم وفقرا ئه. يقول المفكر الفرنسي المعاصر روجيه غارودي - بعد أن شرح الله قلبه بالإسلام - :

" لايغرب عن بال أحد أن النعيم الذي ترفع المجتمعات الغربية في بحبوحته مبنى على بؤس سكان العالم الثالث ... وهم أربعة اخماس المعمورة ، وليس من المعقول أن يستمر خمسمائة مليون من الغربيين في تنعمهم ورفاهيتهم ... بل في بذخهم ، في الوقت الذي يوجد فيه على الضفة الأخرى من العالم حوالي أربعة مليارات من الجياع يعيشون في فقر مدقع ". [٥١]

السبب الرابع - دور دول الشمال :

ومما كان له أثر شديد في اقتصاد العالم النامي - أو معظم دوله - موقف الدول الكبرى ذات البنية الاقتصادية القوية وسياساتهم التي تدهورت الظروف الاقتصادية في الشرق ، وما يحملون عليها الشعوب بما يسمونه بـ "المساعدات ".

ولايزال بعض الناس يظنون أن المساعدات الدولية من طرف الدول الغنية ما هي إلا شكل من أشكال التضامن والكرم الدولي المنزه . في حين أن قرائن عديدة من التاريخ والواقع تكشف الدور الحقيقي لهذه المساعدات كسلاح فعال للسياسة الخارجية للدول المانحة. [٥٢]

لقد إعترف (شينيري) أحد الإقتصاديين في وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية (Aid) بأن المساعدات الاقتصادية هي إحدى أدوات السياسة الخارجية التي تستخدم لمنع الظروف

---

٥١ - نبيل صبحي الطويل، المرجع السابق.

٥٢ - بالاقتباس من كتاب سوزان جورج ... كاتبة شهيرة في مجالات الدفاع عن الفقراء في العالم الثالث ، وشئون البيئة وهي مديرة مشاركة لمؤسسة (Transnational Institute) في أمستردام ، هولندا ، وتعمل مع عدد من المؤسسات غير الحكومية NGO ، وكذلك حركات السلام الأخضر مثل : Green Peace International، ولها مؤلفات عديدة تفضح أساليب الدول الكبرى ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في بسط نوع جديد من الإستعمارالاقتصادي والاجتماعي ، مما ينتج عنه مزيد من الفقر والتأخر ، وقد صدر لها عدة كتب منها : ١ - كيف يموت النصف الآخر) أي العالم الثالث : (How The Other Half Dies). ٢ - مصير أسود من الدين (A Fate Worst Than Debt).

عرض وتقديم : د. محمد عثمان محجوب) نقلا من "المجتمع " العدد ١١٦٩ اكتوبرعام ١٩٩٥.

السياسية والاقتصادية من التدهور في الدول التي يكون في الحفاظ على حكوماتها القائمة فيها قيمة ومصلحة لنا." [٥٣]

واكبر وأخطر دور يلعب في هذا المجال هو الصندوق النقد الدولي والبنك الدولي. [٥٤]

---

٥٣ - صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ودورهما في إفقار الشعوب ، جمال الطاهر ، مجلة "المجتمع" ص ٢٣. (بتصرف واختصار).

٥٤ - ولد البنك الدولي (World Bank) وصندوق النقد الدولي (International Monetaty fund) عام ١٩٤٤ قرابة نهاية الحرب العالمية الثانية.

برغم وجود منظمات حكومية وغيرحكومية في هذا المجال إلا أنه لايكاد يسمع صيحات فزع من مردود هاتين المؤسستين اللتين لم تنتجا طوال هذه المدة سوى المزيد من التفقير والانهيار الاقتصادي والبيئي والانساني بشكل عام ، وتطالب هذه الأصوات بإعادة النظر في عمل هذه المؤسسات في اتجاه إعادة تشكيلها بما يجعلها مفيدة ومساعدة للدول الضعيفة وليس مستغلة لها. وتبلغ جملة قروضه منذ بدأ الاقتراض في عام ١٩٤٧م ، وحتى ١٩٩٣م ٢٣٥ بليون دولار أمريكي . وأكثر دول العالم استفادة من تلك القروض هي : المكسيك ، والهند ، والبرازيل ، وأندونيسيا ، وتركيا ، والصين ، والفلبين ، والأرجنتين ، وكوريا الجنوبية ، وكولومبيا, والمغرب ، ونيجريا.

ومنذ تأسيسهما تدير هاتان المؤسستان دفة الاقتصاد العالمي ومنه خاصة ديون ما يسمى بالعالم الثالث ، وذلك ضمن دائرة واسعة جدا من السلطات والصلاحيات التقريرية في تحديد السياسات الاقتصادية هيمنتها في العالم والمفروض من طرف البلدان الفقيرة أو المفقرة.

ويقدر مساهمة الدول المشتركة في البنك بقدر سيطرتها على مجريات الأمور فيه ، فمثلا في عام ١٩٩٣ كانت الولايات المتحدة تسيطر على ١٧,٢ ٪ من Votinstock ، واليابان ٦,٦ ٪ ، ثم ألمانيا وفرنسا ، ثم انجلترا ، ولكل منهم ٥ ٪ في حين أن ٤٥ دولة افريقية جميعهم يسيطرون على ٤ ٪ من المجموع. (نفس المرجع - المجتمع - ص ٢٤ - ٢٥. وكانت أهداف البنك في بداية الأمر تمويل إعمار أوربا بعد الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية.

ومن الممكن أنهما كانا أسسا على الخير... وعلى تطلعات إنسانية سامية ، ألا إن كثيرا من التطلعات الإنسانية السامية لم يعمل بها ، وأن ما كان يرجى من رفع المعاناة عن الدول النامية انقلب إلى عكس ما كان منتظرا ولم يكن سوى شعارات للإستهلاك. حتى أن جاء روبرت ماكنمارا .

".. ماكنمارا ، والذي امتدت فترة إدارته من ١٩٦٨/٤/١ إلى ١٩٨١/٦/٣٠م ، كان وزيرا للدفاع - الأمريكي - إبان حرب فيتنام ، وأعد انتخابه مديرا للبنك مرتين ، وكان قد سبقه في قيادة البنك أربعة رؤساء رجال أعمال وبنوك ، وأخصائيين في صياغة المشاريع ، ولم يكن يهمهم أمر الفقر والفقراء، فجاء=

السبب الخامس - الفقر الناتج عن سوء السياسة :

وهناك فقر يسببه سوء السياسة من الحكام والحكومات التي عجزت على إدارة شئون مجتمعاتها ، وذلك بسبب عدم شعبيتها وشيوع ظاهرة الخيانة والارتشاء ...

يكتب أستاذ جمال الطاهر:

"... أن حكومات هذه البلدان النامية قد أصبحت تجد نفسها غير قادرة على إدارة شئون مجتمعات تزداد أوضاعها المعيشية والحياتية تعقيدا يوما بعد يوم ، من جهة ... كما تفتقد (هذه الحكومات) التأييد الشعبي وتنفق جزءا كبيرا من ميزانياتها (المساعدات) على الأجهزة الأمنية .

---

* ماكنمارا ، وبدأ يتكلم عن مشكلة الفقر". وماكنمارا هذا عند ما كان وزيرا للدفاع في عهد كنيدي وفي بداية حرب فيتنام ، كان هو الذي اخترع كلمة Body Corunt بدل عدد القتلي ، وكان هو الذي ساعد على اختراع أسوأ آلات الحرب وأكثرها قتلا للبشر وإبادة للطبيعة في تاريخ البشرية مثل النابالم ، والقنابل العنقودية ، وكذلك كل أنواع التكنولوجيا التي تساعد على تعقب العدو على مدار الأربع والعشرين ساعة ، والعدو يقصد بها المحاربين وغير المحاربين من أطفال ونساء وعجزة ، هذا وقد أشاد ماكنمارا بالشركة التي أنتجت النابالم الذي يلتصق بالجلد ويحرقه تماما ، لخدماتها للعالم الحر !! وكانت فلسفته في حرب فيتنام هي إلحاق ضربات قاتلة متلاحقة وأليمة بالعدو حتى يرتدع ويوقف الحرب،

... وكان تكمن فلسفته في أن مهمة البنك هي خلق عقود ، وتمويل مشاريع في العالم الثالث .. وقد كان من نتائج هذه الفلسفة تشجيع الدول المدينة على قبول معونات لاتستطيع تسديدها بأية حال. وبروز ظاهرة أو سياسة برامج التكييف الهيكلي (تتلخص هذه السياسة - تكييف الهيكلي - في توجيهات إلى الدول المستدينة الغرض منها اعتناق أفكار السوق الحر دون أي اعتبار لآثار تلك السياسات على المجتمع أو البيئة . ولمزيد من التفصيل انظر "أمبراطورية البنك الدولي العلمانية" ص ٥٠) في كثير من دول العالم الثالث ، والتي حطمت حياة الملايين ، وذلك لأنها بنيت على افتراض خاطئ مؤداة أنه كلما كثرت المشاريع وارتفعت تكلفتها استفاد منها أكبر عدد من الناس ، فقد برهنت الأحداث على أن تلك المشاريع أدت إلى زيادة الفوارق والتفاوت الاقتصادي بين طبقات الدول المستدينة ، وخلقت مشاكل اقتصادية واجتماعية لم تكن موجودة أصلا كبعض المشاريع في كينيا ، والتي أدت إلى موت كثير من المواطنين ، وموريتانيا التي أدت إلى تعميق العبودية بين العمال وأصحاب العمل .

ورغم فشل تلك الفلسفة - ليس فقط في إزالة الفقر أو التقليل من تأثيره - بل في زيادة الهوة بين الطبقات الغنية والفقيرة داخل الدول التي تأخذ معونات من البنك الدولي ومن الصندوق ، وزيادة تراكم الديون عليها - نجد أن ماكنمارا ينسب ذلك الفشل إلى سوء إدارة حكومات العالم الثالث لأمورها الاقتصادية .

".. إن حكومات الدول النامية التي تجد نفسها مدفوعة إلى عرض بلدانها واقتصادياتها وشعوبها على البيع بالمزاد العلني في سوق يتحرك فيها الأسمال اليهودي بحرية تامة وضمن قدرات هائلة يمكن أن تتيح له لعب دور رئيسي في تشكيل الأوضاع الداخلة لهذه البلدان ومن ضمنها أغلب دول العالم الإسلامي وتحديد وجهة التغيرات المحلية لهذه المجتمعات التي لم يبق لها من خيار سوى التضامن فيما بينها لفرض مراجعة النظام المالي الدولي ومؤسساتها. "[٥٥]

وبوسعنا القول بكل جرأة أنه ليست هذه البنوك إلا مجرد شركات عملاقة تجارية وليست وراء غاياتها إلا تحقق أرباح أكثر ، وذلك بعد افتراض شروط ظالمة ، وذلك بإلهام من مكتبهم الذي يقول عنه آدم اسميث : ""لا يوجد شيء إسمه اقتصاد وصرف بدون أبعاد سياسية واجتماعية" ، حيث يحقق هذان البنكان منذ سنة ١٩٤٧م أرباحا طائلة متأتية من القروض التي تمنحها للدول الفقيرة ، ففي ما بين سنوات ١٩٨٠ - ١٩٩٢ تجاوز العائد الصافي للبنك الدولي ١٧٢٪ من رأسماله . وتمثل أفريقيا أكثر القارات فقرا في العالم ، واحدا من أهم عملاء البنك الدولي حيث تخرج من مختلف دوله في كل سنة ٢٠ مليار دولار لسداد الديون وخدماتها التي عليها تجاه البنك الدولي . وتشير تقارير البنك الدولي وصندوق النقد الدولي إلى إن هاتين المؤسستين تحصلان حاليا على ٤٥٪ من الفائدة عن جملة ديونها للبلدان الأفريقية التي تبلغ ٢٩٩ مليار دولار .

وقد كان من نتائج هذا المسار أن دفعت الدول المدينة للجهات الدائنة ، ما بين سنوات ١٩٨٤م و ١٩٩٠م ما قيمته ١٧٨ مليار دولار دون أن يعني هذا أن اقتصاديات هذه البلدان قد تحسنت بل إن الفقر قد زاد انتشاره فيها. ... ومن نتائج هذه البرامج ـ أيضا ـ القضاء على التطور الحاصل في هذه البلدان خلال السنوات ٦٠ و ٧٠ .

ومصارف هذا البنك عادة ما تعتمد هذه القروض لتمويل مشاريع إستهلاكية وغير إنتاجية من شأنها تطويرالبنية الاقتصادية والإنتاجية للدول المستدينة .

فنتيجة لهذه السياسات الظالمة : فإن كل مولود جديد يجد نفسه مدينا سلفا بمبالغ مالية لا يستطيع سدادها حتى ولو أمضى كامل عمره يعمل من أجل ذلك وهو ما يجعل ثقل حجم الديون

---

٥٥ ـ من مقال في مجلة "الأمة" العدد العاشر ص ٢٨ (أضواء على دعوة تحديدالنسل) للدكتور نبيل صبحي العدد الثاني صفر ١٤٠١.

نوعا جديدا من الاستعباد أكثر تدميرا من الاستعمار المباشر وحسب "يونسف " يموت في كل سنة أكثر من ٥٠٠ ألف طفل بسبب أزمة الديون الخارجية التي تعاني منها دولهم . ولسداد خدمة ديونها ، تدفع حكومات الدول المستدينة بشكل عام إلى اتخاذ جملة من الإجراءات تفرض عليه محور نشاطها الاقتصادي حول الإنتاج الموجه إلى التصدير بحثا عن بعض العائدات من الدولار الذي يجب أن تدفع به للتخلص من الديون .[٥٦]

وذلك علاوة على تدخلهم في شتون السياسة ...

السبب السادس - النظم الفاسدة:

ومما سيؤدي إلى الفقر المدقع في المستقبل ، النظم الموجودة تحت ظل النظام الرأسمالي المادي، الحر بالإطلاق ، والمنافسات الاحتكارية الشديدة غير المقيدة ، واختراع آليات جديدة والتي تملأ الأسواق وتأخذ مكان الإنسان العادي.

يحاول الإنسان البشري اختراع إنسان آلي حاسوبي لإستخدامه بديلا عن الإنسان البشري ، وذلك لهدفين إثنين :

١- الإستغناء عن القوة البشرية ، وتجنب مطالباته الكثيرة وإمكانية الخطأ منه ، ولعجزه عن أداء الكثير.

٢ - والحصول على أكبر قدر من الفائدة بأقل تكلفة ممكنة ، كي يستطيع التنافس مع الشركات العملاقة والقوات الاقتصادية الكبيرة ، بل وأخيرا مجرد بغية الاحتفاظ على حياته .

فالتنافس بين الشركات ستتدرج لتصل بدرجة أن كل شركة ترضى أن تربح بكمية ضئيلة جدا، وفي هذه الحالة لاتستطيع البقاء إلا بالاستغناء عن كثير من المصاريف غير المهمة. فعندها ليس شيئ أهم من المحاولة للبقاء. ومن أجل ذلك يستعين بكل حلال وحرام . فاستخدام الانسان الكمبيوتري (Robbot) هو أحسن وأسهل طريق للإستعانة على الحياة . فالكمبيوتر يعمل أكثر بكثير من الإنسان كيفيا وكميا ، دون أن يدعي حقا من أحد . فيؤدي ذلك إلى طرد الإنسان تدريجيا من ساحات العمل. ويأتي يوم أن ٩٠٪ من البشر معطلون عن العمل ، وبإمكان كل

---

٥٦ - باختصار وتصرف من : صندوق النقد والبنك الدوليان ودورهما في إفقار الشعوب. نقلا من مجلة المجتمع العدد ١١٦٩ ص ٢٠.

واحد تصور مثل ذلك اليوم ومدى انعكاساته السلبية على العالم . ولا شك أن مثل هذه الحالة ـ والعياذ بالله منها ـ كم لها من انعكاسات مباشرة وغير مباشرة : قلة فرص العمل ، الفقر ، وانتشار شتى الأمراض وارتفاع معدل الجنايات ، وظاهرة التدهور الأخلاقي والإجتماعي وما إلى ذلك لايعلم مدى سلبيتها إلا الله ...

فالمادة ستخرب عقول الناس وستكون الحصول عليها صعبا غاية الصعوبة ، بعد مرور فترة بسيطة، إذا الإنسان الكمبيوتري سيغلب على الإنسان البشري ، وسيصبح الإنسان غير قادر على حصول لقمة العيش . ويبقى عشرة في المائة أصحاب الشركات وآلات الكمبيوتري ، وهم بدورهم سيسقطون إذ تجارتهم ستتوقف . لأن الناس ستكون تسعين في المائة غير قادرين على الشراء ، فمن يشترى منتوجات الشركات الكبيرة ؟ هذه نهاية الإقتصاد الحر الرأسمالي ، على ما أفكر. وبالطبع سيسقط مكتب الرأسمالي كما سقط بالأمس مكتب الشيوعي.

هذا هو نهاية الذين يتمنون حياة سعيدة في ضوء النظام الرأسمالي الحر ...

وإن نهاية هذا المكتب يظهر ظهور الشمس في سماء صافيةفي وسط النهار ...

وإنه لاخيار إلا الرجوع إلى النظام الإلهي ... الإسلام.

المبحث الثاني

في

البيئة والتنظيم

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول ـ في مفهوم البيئة

المطلب الثاني: في حاجيات الإنسان وفيه فرعان:

الفرع الأول: في الحاجيات الفيزيولوجية :

١ـ التنفس: ٢ـ الماء: ٣ـ الغذاء:

الفرع الثاني: الحاجيات الإجتماعية:

المطلب الثالث : تلوث البيئة وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: متى تعتبر البيئة ملوثة:

الفرع الثاني: أسباب الاهتمام بتلوث البيئة:

الفرع الثالث: التلوث في البلدان النامية ـ الإسلامية ـ

الفرع الرابع: ندرة الغابات والأراضي الزراعية و تلوث الفضاء

الفرع الخامس: التجارب النووية

المطلب الرابع: نظرة إسلامية إلى البيئة وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: توجيهات الإسلام حول البيئة

الفرع الثاني: عناية الإسلام بالصحة

الفرع الثالث: التوجه إلى الطعام واللباس والطيبات من الأطعمة:

الفرع الرابع: غرس الأشجار:

الفرع الخامس: عدم إيذاء الحيوانات الأهلية:

المطلب الأول

مفهوم البيئة :

الدافع الثاني لتنظيم النسل هو تلوث البيئة نتيجة كثرة السكان

ويطلق إسم الـ "بيئة" على ما يحيط بنا وكل ما نرتبط به مباشرة أو غير مباشرة ، وعلى كل ما يتعلق بحياتنا وكل ما نعتمد عليه . وبعبارة أخرى فالبيئة هي الكوكب كله مع إضافة غلاف رقيق يدعى المحيط الحيوي والفضاء الذي يحيط بنا ونتأثر به . [١]

وفي تعريف آخر: " البيئة مجموعة من العوامل الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية التي ترتبط بها حياة ونمو جماعة حيوانية ، نباتية أو بشرية خاصة. [٢]

وأخيرا نجد المؤتمر المنعقد حول البيئة يتفق على التعريف التالي للبيئة :

" البيئة هي كل ما يحيط بنا وخصوصا العناصر التي تكتسب أهمية بالنسبة للبشر والكائنات الحية الأخرى . فالبيئة تتكون إذن من اليابسة ، البحر ، الهواء ، الحيوانات ، النباتات ، الفصول ، المساكن والمدن التي نشيدها ، وجميع الأشياء الأخرى الطبيعية أو المحدثة من طرف الإنسان والتي يمكن أن يكون لها تأثير على حياتنا. [٣]

وعلى كل يكون إحتكاك الإنسان بالبيئة إحتكاكا مستمرا و فاعلا، والبيئة لها أثر على حياة الإنسان الذي هو قادر على استخدامها إما لصالحه أو لتدميره فيكون حسن تصرفه للبيئة و تمتعه بها ، و يكون سوء التصرف مؤديا إلى تلوثها. فبها يقضي الإنسان حاجاته ومنها يستخرج كل موارد رزقه.

ويكون تلويث الانسان للبيئة بطريقتين :

الطريق الأول: عبر قضاء حاجات الإنسان من البيئة ـ الأمر الذي لا مفر منه.

---

١ - Ananitchev ـ البيئة : مظاهر عالمية ـ منشورات التقدم ، موسكو ١٩٧٥. (نقلا من التربية البيئية ـ أحمد الخطاب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية ـ إيسيسكو ، ص ٣٧)

٢ - Lexis قاموس اللغة الفرنسية ـ لاروس ، باريز ١٩٧٥ (المرجع السابق) .

٣ ـ المؤتمر المنعقد حول البيئة المحيطية ـ المحيط الهادئ ـ Ratotonga ـ من ٨ إلى ١١ مارس ١٩٨٢) المرجع السابق.

الطريق الثاني: تلوث الإنسان ـ اي التصرفات الزائدة والمضرة.

المطلب الثاني

حاجيات الإنسان

تكون حاجيات الإنسان من البيئة بنوعين:

أولا ـ الحاجيات الفيزيولوجية.

١ ـ التنفس :

إن الإنسان يستهلك في الساعة ٣٠ لترا من الأكسجين أي ما يعادل ٧٢٠ لترا في ٢٤ ساعة بينما يطرح تقريبا ٦٠٠ لترا من ثاني أكسيد الكاربون في نفس المدة.

٢ ـ الماء:

يحتاج كل فرد راشد في كل يوم إلى ٢,٧ لترا من الماء العذب الصالح للشرب بينما يطرح نفس الكمية عن طريق العرق والتنفس والبول وغيرها.

٣ـ الغذاء:

يستهلك الإنسان الراشد يوميا كمية من الحراريات تتراوح بين ٢,٠٠٠ و ٢,٥٠٠ حريرة أي ما يعادل كمية من الأغذية تتراوح بين ١,٠٠٠ و ١,٥٠٠ غرام .[٤]

ثانيا ـ الحاجيات الإجتماعية:

وثم حاجيات أخرى للإنسان ، بحكم أنه يعيش في تناسق كامل مع البيئة ، كحاجته إلى الماء في ميدان الفلاحة ، والصناعة ، بكل أنواعها.[٥]

---

٤ ـ التربية البيئة ، أحمد الخطاب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة ـ إيسيسكو، ص ٥٣ ـ ٥٤.

٥ ـ مصداقا لقوله تعالى:﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ الأنبياء : جزء من آية ٣٠.

وحاجته إلى الترويد بالأغذية ، ولم تعد الطرق التي استعملت في الماضي كافية لسد حاجيات الجماعات البشرية . وتزويده بالطاقة وما إلى ذلك. [٦]

وفي ضوء هذه الحقائق تطرح مسئلتان:

- أن وجود كثرة النسمة - السكان - يعني بالبداهة كثرة استهلاك هذه الموارد.
- ويعني بالتالي التلوث الناشيء عن الكثافة السكانية.

المطلب الثالث

تلوث البيئة

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول - متى تعتبر البيئة ملوثا ؟

تعتبر البيئة ملوثة عند ما يحدث تبديل في حالتها أو تركيبها كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لأنشطة الإنسان، فتغدو أقل صلاحية لبعض أو كل الإستعمالات مما كانت عليه في حالتها الطبيعية. وينطوي هذا الوصف على حدوث تغيرات نوعية وكمية في الخواص الفيزيائية والكميائية والبيولوجية للمكونات المختلفة للبيئة) الهواء ، والماء ، والتربة ، والغذاء ، والمحيط المهني والسكني والترفيهي(الناجمة عن تفريغ النفايات عمدا أو بغير قصد. أو عن الاستعمال المتعمد للمواد الكيميائية، أو تشتت الطاقة على هيئة حرارة أو ضوضاء أو اهتزازات أو إشعاع. [٧]

الفرع الثاني - أسباب الاهتمام بتلوث البيئة :

يهتم بالبيئة لأربعة أسباب :

---

٦ - التربية البيئية - أحمد الخطاب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة - إيسيسكو، ص - ٥٤ وما بعدها.

٧ - الحرمان والتخلف في ديار المسلمين - ص ٩٦ - ٩٧ - للدكتور نبيل صبحي الطويل ، من سلسلة كتاب "الأمة" مؤسسة الرسالة.

أولا - لتلوث الطبيعي نتيجة عدم الإهتمام بالبيئة وتلوث مواردها الطبيعية.
ثانيا - وجود ظاهرة القحط في بعض البلاد، كما حدث في عديد من الدول الأفريقية .
ثالثا - تسرب الغازات السامة والمواد الكيمياوية . كما حدث في الهند.
رابعا - انتشار الغبار الذري بسبب التجارب الغبار الذري سبب التجارب النووية سواء في الصحارى أو في البحار ، فإن تلوث البيئة البحرية أكثر خطرا من التلوث الاشعاعي. وذلك الذي حدث في انفجار النووي في" تشيرنوبيل " عام ١٩٨٦ في روسيا التي أفسدت الخضار والفواكة واللحوم وامتدت إلى أوربا ، ومات كثيرون بسببها ، هذا فضلا عن استخدام الأسلحة الكيماوية في بعض الحروب القائمة والتي لايقتصر أثرها على الجيوش المتحاربة ، وإنما يمتد إلى المدنيين الآخرين.

... كتلك التي تحدث السرطان والتشوه الخلقي والتبدل الخلقي نتيجة التعرض الطويل الأمد للمادة أو المواد الملوثة. تحدث اليوم قلقا اجتماعيا أكثر من الآثار الضارة الحادة أو تحت الحادة . والشك أشد فيما يتعلق بالآثار الضارة المزمنة ، ولكن ثمة ضغوطا قوية لاعتماد منهج وقائي مبنى على التنبؤ وتقييم الآثار الضارة لملوثات البيئة.
وأخطر هذه الأسباب : الغبار الذري الذي قد يكون في يوم ما سبب فناء العالم ، وكأنه الدخان المشار إليه في القرآن الكريم :﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشي الناس هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾. [٨]
ثم يدرس جوانب تلوث البيئة ، لأنها مرتبطة بالصحة والرفاهية ، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وقد كشفت الأدلة الوبائية تم جمعها خلال سنوات عديدة عن علاقات سببية أكيدة في بعض أنواع التلوث وآثارها. بينما في أنواع أخرى كانت الآثار أدق ، وما زالت هناك حاجة إلى دراسة مكثفة لمعرفة ما إذا كانت لها علاقة ذات شأن بصحة الإنسان.

الفرع الثالث - التلوث في البلدان النامية - الإسلامية - :

---

٨ - سورة الدخان : ١٠- ١١. نقلا من مجلة الوعي الإسلامي ، مقالة للأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلي العدد ٢٧٦ نوفمبر ، بتصرف يسير.

ومن الأسف الشديد أن البلاد المسلمة هي المرشح لأخذ البطولة في هذا المجال. وتشكل العناوين الآتية أهم مشاكل تعاني البلدان الإسلامية . ونقصد بها التلوث ذلك الذي ينتج عن إهمال الإنسان و تقصيره والذي يمكن أن يزال ببذل قليل من العناية والجهد. [٩]

ومن هذا القبيل من التلوث: قلة الحمامات ، تلوث المياه ، الإسراف في المياه. [١٠]

---

٩ - هذا ، وأن لهذا النوع من اللامبالاة نحو النظافة له سلبياته حيث يسيء إلى سمعة الإسلام والمسلمين. فالمسلم بالتأسي من تعاليم دينه يجب أن يكون نظيفا ، ولاسيما في وجه أعداءه الذي يتهمه ودينه بألقاب غير مناسبة.

تقول إحدى المهتدات بالإسلام عما يقال عن البلاد الإسلامية في غيبتها : إن القذارة الزائدة التي تميز البلدان الإسلامية أكثر من أية صفة أخرى تغني الأغراب وتسيء إلى سمعة الإسلام. ولو سألت أي سائح أمريكي أو أوربي كيف يجد البلاد الإسلامية وشعوبها فسوف يجيبك بدون اختلاف :" ماأقذرها" . والحقيقة المخزنة أن هذا النقد مصيب في أغلب الحالات ، لدرجة أن المهتدين الجدد للإسلام من الفضول الأروبين يصلون إلى شفا الردة أحيانا لهذا السبب نفسه ، وعلى سبيل المثال : ذكرت صديقة لي وهي اليجوم فاطمة هيون ساركا ، مسلمة جديدة ألمانية ، في رسالتها الشخصية إلى بتاريخ ١٩٦٤ ، بينما كانت تحاول جاهدة هي و زوجها العيش في إحدى البلدان الإسلامية كتبت تقول:

" لقد إشمأزت نفس زوجي للنهامن من القذارة في هذه البلاد . حيث الجدران في مكتبة ، خصوصا في السلم، صبغت حمراء قائمة من التبول ، وهناك شجر من النخليات تؤخذ أوراقه فتمضغ وتنفل - وحيث لايزر الرجال صراويلهم في الحمامات ، بل يعملون ذلك وهم راجعون إلى مقاعدهم , وحيث يتوضئون من صنبور واحد . بينما يعيد الخدم ملء قواريرهم في نفس الوقت ، وحيث يجتمع الناس في المساجد أيام الجمع بملابسهم المنتنة ، بدلا من الحضور بأنظف الملابس وأحسنها مظهرا.

ولقد فكر زوجي - والحالة هذه في الباكستان - أن من واجبه أن ينعزل بأسرع ما يمكن عن المسلمين ، ليبقى فكرته المثالية عن الإسلام حية ، ولعة يكون في ألمانيا أكثر نفعا في جهوده برسالته".

وبعد أن بذلت الكاتبة جهودا يائسة للمعيش في المجتمع الباكستاني المسلم ، فشلت وعادت مع زوجها إلى موطنها الأصلي في السنة التالية.

وأي قول مؤسف أكثر تعارضا من أن البلدان الإسلامية في الوقت الحاضر موصومة بالقذارة ، في الوقت الذي لاتجد دينا كالإسلام يؤكد بشدة على ضرورة المحافظة على النظافة في شخص الإنسان ومحيطه.) نقلا من : الإسلام في النظرية والتطبيق - تأليف مريم جميلة ، ترجمة س. حمد ص ٥٦ /٥٧.

١٠ - ١ - الحمامات : =

أظهرت نتيجة الدراسا ت أن نسبة سكان الحضر ، في الشرق الأوسط المسلم ، الذين كان لديهم)بيت خلاء(بين عامي 1970 - 1977م ، هي أقل من الثلثين)63٪(فقط (، أما في الريف فما كانت النسبة تتعدى 14٪ . أما نسبة الذي يعيشون في بيوت تتصل مجاريرها بالمجارير العامة فيه 10٪ فقط وهذه أقل نسبة في العالم أجمع ، وهذا يعني ، بكل صراحة المؤمن ، أن بعض المسلمين يعيشون مع أوساخهم مع ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أوصاهم أن يتنظفوا ويطهروا أفنيتهم وألا يتشبهوا باليهود - في قذارة محيطهم. (الحرمان والتخلف في ديار المسلمين - ص 96 - 97) وكذلك ، قال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :" إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب ا لكرم ، جواد يحب الجواد فنظفوا أفنيتكم ولاتشبهوا باليهود " . وهذا ما يسمى الآن بلغة العصر : تحسين صحة البيئة .

2 - تلوث المياه:

وستظل المشكلة الرئيسية لتلوث البيئة في معظم البلدان النامية هي التصريف بغير تحكم لمياه المجاري التي تحتوى دائما على مجموعة متنوعة من الكائنات الدقيقة قد يكون بعضها مسببا للمرض ، في نوعية الماء والتربة والغذاء ، ومسألة حماية القنوات المائية من التلوث بالكائنات الدقيقة الممرضة ، ذات أهمية قصوى للدول النامية بسبب النقص الحاد الذي تواجهه في ماء الشرب جيد النوعية. (نفس المرجع ص 56.)

أ - أهمية المياه:

ولا يخفى على أحد مدى أهمية المياه و حيويته ، ويشهد على أهميته القرآن الكريم في في كثير من الآيات ، منها: يقول الله تعالى :﴿ وانزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ الفرقان:48. ويقول أيضا: ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ الأنفال: 11.

وقوله تعالى: ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم ، إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ سورة آية:

وغسل الجسد يتكرر أيضا في اليوم أو الأسبوع في الحضر والسفر إما على سبيل الفرضية والوجوب كغسل الجنابة والغسل بعد الحيض والنفاس ، وغسل الميت ، وإما على سبيل الندب والاستحباب كغسل الجمعة والعيدين ، وللإحرام بالحج والعمرة ، وصلاة الاستسقاء والكسوف ، وبعد غسل الميت لآزالة ما عساه قد علق بالغاسل ، والاعتكاف ، وعند تغيير رائحة البدن ، وحضور مجامع الناس.

ب - ولايجوز الإسراف في المياه :

وتوجيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :] في استعمال الماء لدرجة مدهشة ، فقد جاء جاء في حديث رواه عبدالله بن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال :[ما هذا السرف يا سعد ؟] فقال : وهل في الماء سرف ؟ قال :[نعم وإن كنت على نهر جار]. ابن ماجه باب الطهارة 48. ورغم أن في الشرق المسلم دولا غنية ودولا فقيرة ، يبدو أن كلا الصنفين لم يجعلا النظافة والصحة من ... الأولويات ... !!! ففي مجال توفير المياه الصالحة للاستعمال وهذه من مستلزمات نظافة الجسم ، ونظافة الأفنية ، والبيئة بصورة عامة ، فلقد كانت نسبة أهل الحضر الذين يتمتعون بماء يصلهم بالأنابيب 52٪ عام 1975م.

ج - ندرة المياه في البلاد المسلمة:

ولا تستبعد هنا سوء تخطيط الدول في عدم توجيههم اللازم في توفير المياه ، كما أن التخطيطات العدائية من الأعداء لها دور في تقليل المياه الصالحة.

هذا التلوث ما صنعت أيدينا ولا يستهان بدورها ومدى خطورتها الحادة ـ كما مر ، بيد أن هناك عوامل خارجية تؤثر على تلوث بيئة البلاد العالم الإسلامي ، بشكل أكثر تعقيدا وتعمقا.[١١]

= فلا يفور شكوك حينئذ في أن هاتين الظاهرتين نسببان ندرة المياه في كثير من بلدان العالم. فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ويقول: ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .

ولقد تناقصت النسبة عما كانت عليه عام ١٩٧٠م ، وكذلك الأمر بالنسبة لأهل الريف فلقد تناقصت النسبة من ١٩٪ عام ١٩٧٠ إلى ١٦٪ عام ١٩٧٥ ، وهذه هي المنطقة الوحيدة في العالم حيث تتناقص فيها النسبة - مع مرور الزمن - بدلا من أن ... تزيد... (الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص ٩٧ ، والتربية البيئية ص ٥٤ ومابعدها .)

هذه دراسة للشرق الأوسط أما في أفريقيا والشرق الأقصى فالأرقام محزنة بالنسبة لمن يحصلون على مياه نقية للشرب في الريف . حوالي عام ١٩٨٠ كان هناك ٦٪ فقط من سكان الريف في أندونيسيا يحصلون على مياه نقية للشرب ، وفي اليمن ٤٪ من السكان فقط كانوا يحصلون على مياه صالحة للشرب عام ١٩٧٥ ، وفي أفغانستان ٦٪ فقط ، في العام نفسه . وفي بلاد حزام الجفاف بأفريقيا ، كما أسلفت ، انعدام الأمطار وغياب المياة السطحية وحتى الجوفية بعرض الناس، والبهائم، للموت عطشا. (نفس المراجع والصفحات.)

فيجب أن نتجنب تلوث المياه ، ونجتنب بها من الدنس والتلوث، وليس هناك وسيلة أنجح لحفظ الصحة والوقاية من تلوث البيئة وازالة الغبار ، من فرضية الوضوء المتكررة خمس مرات أو أقل في اليوم والليلة ، لغسل الأعضاء الظاهرة المعرضة للتلوث : وهي الوجه والأيدي ومسح الرأس ، وغسل الرجلين في آية المائدة، مع ملاحظة سنن الوضوء الأخرى كالمضمضة والاستشاق ومسح الأذنين ظاهرا وباطنا. (الحرمان والتخلف في ديار المسلمين - ص ٩٦ - ٩٧ - و التربية البيئية - ص - ٥٤ وما بعدها). يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ويقول تعالى: ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" الطهور شطر الإيمان "

١١ - ومنها - على سبيل المثال - شروط التي تشترطها من الصندوق النقد الدولي على الدول النامية :

فنتيجة تأثيرات برامج التكييف الهيكلي (من ضمن برامج البنك الدولي والصندوق النقد الدولي) عن المحيط والبيئة ، فإنها هي الأخرى تبدو جلية نتيجة زيادة استغلال الموارد الطبيعية لتلبية حاجيات التصدير ، ففي غانا مثلا ، وهو بلد مطيع جدا لأوامر البنك الدولي ، ففي الوقت الذي لم تعد تغطي فيه الغابات سوى ٢٥ من المساحة الإجمالية لهذا البلد ، نجد أن إنتاج الأخشاب قد تضاعف ما بين سنوات ١٩٨٤ و ١٩٨٧ ، ومع هذه الزيادة الكبيرة في الإنتاج التي قد تصبح معها غانا أول منتج للأخشاب في العالم ، تشير العديد من

الفرع الرابع - ندرة الغابات والأراضي الزراعية و تلوث الفضاء:

" ... إن العالم كان يخسر كل عام ما يقرب من ١٥ مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة ، مع العلم أن مساحة الأراضي الزراعية في العالم لا تتعدى ١١٪ فقط من المساحة الإجمالية للكرة الأرضية البالغة ١٤٠ مليون كم ...

الدراسات إلى إحتمال القضاء على كل أنواع الأشجار في هذا البلد الأفريقي في حدود سنة ٢٠٠٠م.(مقال تحت عنوان :"صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ودورهما في إفقار الشعوب " جمال الطاهر ، مختطف من مجلة "المجتمع العدد ١١٦٩ ص٢٢). و أما دور البلاد المتطورة في تصنيع التلوث في البلاد المسلمة ، فنأتي بالنموذج الآتي :

يقترح أحد رؤساء البنك الدولي تهجير الصناعات القذرة - الملوثة - إلى العالم الثالث : (في مذكرة كتبها " السير لورنس صمومرز (Sumomers) وكان وقتها كبير الاقتصاديين ونائب الرئيس للتنمية الاقتصادية من ديسمبر ١٩٩٠ إلى إبريل ١٩٩٣م ، ثم انضم إلى إدارة الرئيس كلينتون وكيلا مساعدا في وزارة المالية ، وكان مسؤولا عن إصدارات البنك الدولي ، وبما أن المذكرة كانت سرية و موجهة إلى صفوة مختارة من المديرين فيه بذلك تقري - تفضح - فلسفة البنك الحقيقية دون رتوش !!! يقول صمومرز في الجزء الذي يختص بالصناعات القذرة (Dirty Industries) وهي الصناعات التي تتمخض عنها نفايات ضارة بالبشر والبيئة ، ألا ترون أن على البنك الدولي تشجيع هجرة الصناعات القذرة إلى العالم الثالث ؟ لدى ثلاث حجج لذلك :

أولا: عندما تلقى النفايات السامة في بلد متوسط دخل الفرد فيه ٢٠ ألف دولار سنويا ، وتوسط عمره الحالي ٤٠ عاما ، ويتوقع ٢٥ سنة أخرى ، فإن الاقتصاد العالمي يتوقع دخلا يساوي ٢٠×٢٥ يعني ٥٠٠,٠٠٠ دولار من هذا الشخص ، في حين أن الفرد في العالم الثالث يتوقع أن يكون دخله على أحسن الفروض ٣٠٠ دولار في السنة ، ويتوقع أن يعيش ١٥ سنة أخرى ، ولذلك فهو لا يضيف إلى الاقتصاد العالمي سوى ١٥×٣٠٠ ٤٥٠٠ دولار فقط بالمقارنة ٥٠٠,٠٠٠ دولار للشخص في الدول الصناعية ، فإلقاء النفايات في بلد الثاني بشكل تصرفا منطقيا !!!

ثانيا : إن كثيرا من بلدان العالم الثالث تعداد سكانها منخفض جدا ودرجة التلوث بها منخفضة جدا أيضا ، بما يعني أن هواها وماءها أنقى من كثير من دول العالم الأول الصناعي ، وبذلك يكون منطقيا إلقاء النفايات هناك حتى تلحق تلك الدول بدول العالم المتحضر في درجة تلوث بيئتها.

ثالثا : إن الشحاذين لا يختار لهم ، فإذا أرادوا أن يأخذوا معوناتنا فيجب أن يقبلوا شروطنا . وهذا يقودنا إلى التساؤل عن صحة الادعاء بأن البنك الدولي كيان اقتصادي مستقل لا دخل له بالأمور السياسية ؟ وعن مدى نجاح البنك في تقليص الفقر ، وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء (نقلا من: المجتمع العدد ١١٦٩ص٢٨.

وخلال ١٥ عاما تم تدمير أكثر من ٣٠٨ ملايين هكتار من الغابات الاستوائية ، وإذا ما استمر الحال على ما هو عليه فإن نمط تدمير الغابات سيؤدي بتسع دول على الأقل خلال ٣٠ عاما إلى تدمير ثروتها من الغابات بكاملها.

وحذر التقرير من أن أكثر من ٢٥ ألف نوع من الخلايا النباتية والحيوانية في طريقها إلى الزوال وأن ألوفا أخرى من الأنواع غير المعروفة قد تكون اختفت ، ونقل عن الأبحاث العلمية تأكيدها بأن الفعاليات البشرية أطلقت خلال عام ١٩٩١ في الهواء ٩٩ مليون طن من أكسيد الكبريت ، و ٦٨ مليون طن من أكسيد النيتروجين و ٥٧ مليون طن من المواد الدقيقة العالقة ، و١٧٧ مليون طن من المواد الدقيقة العالقة ، و١٧٧ مليون طن من أول أكسيد الكربون ، وقد يؤدي ذلك إلى زيادة بمعدل ٣ درجات في حرارة الجو خلال أعوام قليلة ، مما ينتج عنه حصول تغير في الدورة الإنتاجية في العالم.

و لا شك أن العالم بذلك يخسر كل عام كمية كبيرة من الأراضي لتصبح عمارات و مباني سكنية . فلا يصلح قطعا أن نعتبر كثرة السكان كفيلا و مسئولا وحيدا عن كل هذا ، طالما أن الهجرات غير المنظمة من أهل الريف إلى المدن وبالعكس تستمر في هذه الدول الفقيرة ، دون تدخل الدولة والانضباط والأخذ في الاعتبار مدى ظرفية و حجم هذه المدن التي تجلب العاطلين عن العمل في الريف وتعجز بالتالي أن تقدم الخدمات اللازمة . كما أن الظروف الريفية التي تعتبرها أصحاب رؤوس الأموال فرص تنمية في غالب الأحيان كي تجعل هذه الأراضي إلى شركات صناعية، ولا يهمه - في كثير من الحالات - صحة البيئة ولا تلوثها طالما يحقق أرباحا طائلة، كفيلة بافساد الأراضي الزراعية. فلا غرو أن يزدحم المدن بالسكان وتعدم أدنى مستويات الحياة في المدن من ناحية و تمحو الأراضي الزراعية في الريف من ناحية أخرى. وهذه بالتحديد هي التي يريدها النظام الرأسمالي الحر و يشجعه في بلادنا. فإذن و يمكن أن يكون تحديد النسل بوحده - إذا قلنا بضرورة ممارسته - حلا أمثل. طالما العوامل الحقيقية موجودة و مستمرة.

الفرع الخامس - التجارب النووية:

ذكر برنامج الأمم المتحدة للبيئة أن دول العالم التي تتمتع بمقدرة نووية أجرت خلال عشر سنوات ٤٦٩ تجربة نووية ، بينها ٤١ تجربة في أعالي الجو ، وقد تمت تلك التجارب خلال حقبة السبعينات ، وأكد البرنامج في تقرير أصدره حول علاقة العالم بالبيئة أن نفقات " التسلح

بلغت في عام 1980 مليون دولار أمريكي كل دقيقة ، وفي السبعينات قتل ما بين 200 ـ 300 مليون نسمة نتيجة الحرب.

المطلب الرابع ـ نظرة إسلامية إلى البيئة

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول

توجيهات الإسلام حول البيئة:

إن الإنسان مستخلف في الأرض ، فتعمير الأرض وتسخيرها لمنافعه ومصالحه من واجبات الإنسان ومن الاستخلاف المحافظة ـ بالطبع ـ على موارد الحياة التي قد خلقها الله لنا. وإن الحفاظ على الصحة والعافية واجب مفروض على كل مسلم ومسلمة ، ومقصد من مقاصد التشريع الإسلامي الأساسية ، لأن الحفاظ على الحياة والنفس من ضروريات الدين الخمس ، كما هو معلوم ، وهي: " الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسب أو العرض ، والمال". [12]
فليست الحياة مجرد حق مقدس وإنما الحفاظ على الحياة واجب شرعي أصيل ، بدليل أن تناول الطعام والشراب وإن كان في الأحوال العادية مباحا ، فهو فرض واجب يأثم تاركه عند التعرض لخطر الموت والهلاك . قال تعالى:﴿ وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾. [13]

وكما أن المجتمع أو البيئة ليس ملكا خاصا لأحد ، وإنما هي من حق الجميع ، ومشاع لكل الناس ، كذلك النفس الإنسانية ليست ملكا لصاحبها يتصرف فيها كيفما يشاء بهواه ، وإنما البيئة والحياة الانسانية والنفوس البشرية ملك لله عز و جل. ولا يحق لأي إنسان فردا أو جماعة أو دولة الاعتداء على ملك الله الذي جعله حقا في الحياة الهانئة لكل إنسان وجماعة ، فقال سبحانه :﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾. [14] ومن هنا يبدو اهتمام الدين بالبيئة.

---

12 ـ أنظر: الموافقات 13/2 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

13 ـ البقرة : 195.

14 ـ البقرة : 29.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وأرفعها قول لا اله إلا الله ، والحياء شعبة من الإيمان ". [١٥]

ولا حد لمعنى إماطة الأذى في هذا المقام ، فهو ينصرف إلى تنظيف البيئة على وجه الإجمال ، ويشمل المفهوم المتكامل للنظافة العامة ، على أساس أن الأذى هنا هو كل ما يؤذي المسلم وغير المسلم مما يتعرض طريقهما .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" أيها الناس أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لاتخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولاتقتلوا ، طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، و لا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لأكلة". [١٦]

فإذا كان النهي في التوجيه النبوي الخالد عن قطع الشجرة المثمرة وإحراق النخيل في وقت الحرب فما بالك في زمن السلم . أليس في هذا مظهر من مظاهر عناية الإسلام .

الفرع الثاني

عناية الإسلام بالصحة:

وقد تعرض الإسلام أحكاما كثيرة للعناية بالصحة وسلامة البيئة بوسائل وقائية وعلاجية . قال النبي صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شريك - :" تداووا عباد الله ، فإن الله تعالى لم يضع داء ، إلا وضع له دواء غير داء واحد : الهرم ". [١٧]

وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :" لا ضرر ولا ضرار" [١٨]

وفي حديث آخر : " ملعون من ضار مؤمنا أو مكروبا " [١٩]

---

١٤ - البقرة : ٢٩.

١٥ - البخاري، كتاب الإيمان حديث رقم ٣. مسلم ، باب الإيمان ٥٧ - ٥٨.

١٦ - نقله الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، بيد أني لم أعثر عليه في كتب الحديث (فيما رأيت).

١٧ - سبق تخريجه.

١٨ - ابن ماجه ، باب الأحكام حديث رقم ١٧، الموطأ، كتاب الأقضية، طبع

١٩ - الترمذي - كتاب البر .

وفي حديث آخر : " من ضار ضار الله به " [٢٠]

الفرع الثالث

والتوجه إلى الطعام واللباس والطيبات من الأطعمة:

يقول الله تعالى:﴿ اليوم أحل لكم الطيبات﴾ [٢١]، وأيضا يقول الله تعالى:﴿ يا أيها الذي آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ﴾ [٢٢]، وأيضا سبحانه وتعالى يقول﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾. [٢٣]

والطيب كل ما تستطيبه النفس ، والخبيث ما تكرهه النفس السليمة.

الفرع الرابع

غرس الأشجار:

ولم تختصر واجب المسلم بشخصه ، وإنما يتعدى إل البيئة . فقد حثت السنة النبوية على الزراعة وغرس الأشجار ، لمنع امتداد الغبار ، وجلب الأمطار ، والانتعاش بالخضرة في التنفس والاستمتاع بالظل ، أو الانتفاع بالثمار ، فقال عليه السلام في الحديث الصحيح : إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع إلا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها " ولو عنى بالتشجير بالادهم جنات خضراء وبساتين نضرة.

---

٢٠ - ابن ماجه ، كتاب الأحكام ١٧، أبوداود باب الأقضية.

٢١ - المائدة: ٥.

٢٢ - البقرة : ١٧٢.

٢٣ - الأعراف : ١٥٧.

الفرع الخامس

عدم إيذاء الحيوانات الأهلية:

وقد جاء في الأثر: " إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " . [٢٤]

كما نهى صلى الله عليه وسلم عن إن تصبر البهائم " ، ولعن صلى الله عليه وسلم " جماعة اتخذوا طائرا (هدفا) لهم يصوبون إليه ضرباتهم " [٢٥]

قتل الحشرات والمؤذيات والفواسق الخمس:

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وغيره:" خمس فواسق تقتلن في الحل والحرم : الحية، والغراب الأبقع ، والفأرة ، والكلب العقور ، والحدئة " . [٢٦]

المطلب الخامس

هل البيئة يمكن أن تكون سببا لتنظيم النسل ؟

يقول أحد الاقتصاديين المعاصرين :

إذا قيل إن تلوث البيئة تقتضي تنظيم النسل ، نجيب :

أولا : فالتجارب النووية لا تصدر إلا منهم. وبرغم انتهاء الحرب الباردة فإنهم لم يتوقفوا من هذه التجارب بعد. إن القائلين بالتحديد هم الذين يلوثون البيئة.

---

٢٤ - البخاري ، باب بدء الخلق حديث ١٦.

٢٥ - البخاري ، باب الذبائح حديث ٣٥.

٢٦ - حفظ الصحة وسلامة البيئة للأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلي - نقلا من مجلة " الوعي الإسلامي" العدد ٢٧٩ نوفمبر ص ٢٦ ومابعدها (بقليل من التصرف).

ثانيا : إن بوسعهم تقليل التلوث ، عبر تقليل الشركات التي تصنع السلاح البيولوجية والكيماوية التي تدمر البيئة .

ثالثا : إن الحرية الموجودة في نظام الرأسمالي سمحت لكل شركة تصنع ما تشاء ، ابتغاء كسب أكثر نفع بأقل تكلفة .

رابعا : التربية الصحية البيئية كفيلة بحل كثير من المشاكل من تلوث البيئة .

جاء في مجلة الـ " The Economist" :

إن نسبة السكان في هولندا ٤,٥٠٠ نسمة في ١,٠٠٠ هكتار ، وقد حفظوا على ١٠٪ لحفظ البيئة .

أما في برازيل ففي كل ١,٠٠٠ هكتار من الأراضي يسكن ١٧٠ شخصا ومع ذلك إنهم يوسخون الأمازون . [٢٧]

خامسا : أن التوزيع غير الصحيح مسئولة عن هذه الظواهر ، وذلك بمستوى كثير من البلدان النامية . والتوزيع الصحيح سيحل كثيرا من هذه الظواهر ، وذلك لدى دراسة الأمر من قبل المهتمين.

سادسا : إن الإمة الإسلامية أمة واحدة ، وأن كافة هذه الدول تعتبر دولة واحدة ، فهناك دول بحاجة إلى سكان ، وهناك دول بجوارها تدعو إلى تنظيم النسل ، فما ذا إذا توزع هذه السكان في هذه الدول ، كما هي الحال في الدول الغربية ، مثل أستراليا وأمريكا ؟

أخيرا : إن الإسلام عرض موقفه من البيئة ـ كما سبق القول به ـ وإنه ليس تنظيم النسل حلا لهذه المشاكل ، ولو كان تنظيم النسل بديلا له ، لوجب تنظيم نسل الأوربيين أولا.

ثم إنه تبتني الحكام الفقهية في القول بإباحة التنظيم بألا تكون ثم حلولا و بدائل لهذه الظاهرة، فلقد قدمت الشريعة الاسلامية السمحاء آنذاك مبدء " الضرورات تبيح المحظورات " نابعا من الاية الكريمة:﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ [٢٨]

---

٢٧ ـ The Economist, page ٢٠ Sep ١٩٩٤.

٢٨ ـ البقرة: ١٧٣.

المبحث الثالث

في

دور الدولة في تحديد النسل

وفيه تمهيد و أربعة مطالب:

المطلب الأول: أمثلة لدعايات تنظيم النسل في مصر

المطلب الثاني: في الهند

المطلب الثالث: الأمم المتحدة

المطلب الرابع: تنظيم النسل والحقوق الجنسية

تمهيد:

من أبرز دواعي لتنظيم النسل وأكثرها فاعلية وتأثيرا - الدولة ودورها في هذا الحقل. فالدولة كهيكل ذو سلطة شاسعة المدى تستطيع أن تأخذ بيد الشعب فتحمله نحو التقدم أو تجره القهقرى.

على أن هذا الضرب من الحكومات غير مطلو في الإسلام . فالإسلام يحدد صلاحيات الدولة ، وصلاحيات الشعب ويوفق بينهما كي يجعل منهما هيكلا قويا صارما لا يزلزله هبوب الرياح من الشرق والغرب. فالدولة الإسلامية مهما كانت صفتها السياسية لاتستطيع الخروج على مبدء الإلتزام بالحكم بالشريعة الإسلامية. حيث ان الفيصل هو الشريعة : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾. [١]

ويكون الالتزام بالشرع بالحكم به، وبالتمسك بالشورى من أهل الخبرة (أهل الحل والعقد) وحماية الأنفس والأعراض والعقول والأموال والأخلاق والدين.

وأن الإستبداد مرفوض وصفة فرعونية مذمومة :﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ﴾. [٢]

إن الدولة - ومديريها - مسؤولة أمام الله ، وأمام الشعب الذين مكنوها على انفسهم وأموالهم ودينهم وديارهم واختاروها لإدارة أمورهم، ثم بايعوها على الطاعة مقابل تعهدها بإقامة العدل وتنفيذ الشريعة والسير عليها .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " يا أباذر إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأعطى الذي عليه فيها ". [٣]

ووصف النبي الكريم الحاكم بأنه مسؤول " كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته... الخ " [٤]

---

١ - المائدة ٤٤.

٢ - القصص ٤.

٣ - صحيح مسلم ، كتاب الإمارة حديث رقم ١٦.

٤ - البخاري ، كتاب الجمعة ١١، الأحكام ١ ، ستوزامن ٣٠.

وقال عمر مخاطبا أبا موسى الأشعري وكان أحد عماله في رسالة وجهها إليه:" إنما أنت امرؤ منهم وقد جعلك الله أثقلهم حملا ".٥ فيجب على الحكومة الإتيان بالتكافل الاجتماعي، مراعاة حقوق الضعفاء والفقراء ..

وعلى الدولة تأمين مصالح الشعب ، منها : دراسة حل مشكلاتها المادية والمعنوية ..

فالدولة هي التي تقرر مصير الشعب وهي التي تدافع عن الشعب . فواجبها الاهتمام البالغ بأمر الأمة التي بدونها لا معنى للدولة.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم و شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ".٦

ثم الأمة قوامة على الدولة ، وللأمة الخروج عن طاعته إذا أمر بالمنكر أو ظلم ولها محاسبتها على ما تنفق من أموال بيت المال ـ الخزينة العامة.

إن للشعب حق الحياة والتملك وحق التدين.

ومسؤولية الأمة المحاسبة والمراقبة والنقد ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والسكوت عن الظلم ذنب عظيم . يقول سبحانه وتعالى :﴿ إن الذين توفهم الملائكه ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾.٧

وفي الحديث :" إذا رأى الناس الظالم فلم ياخذوا على يده ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب ".٥

١ ـ إنها مسؤولة أمام الله

٢ ـ يجب تدرس ظاهرة المشاكل السكانية من كل الزوايا.

٣ ـ أن مشكلة السكان مشكلة اضطراب المجتمع.

٤ ـ أن الهجرة إحدى الوسائل التي بها تحل هذا الاضطراب

٥ ـ أن الدول الإسلامية كلها تمت إلى الإسلام وإلى امة لاتعرف حدا جغرافيا وسياسا بينها.

---

٥ ـ

٦ ـ المنتقى مختصر منهاج السنة لابن تيمية ص ٢٦١.

٧ ـ النساء ٩٧.

فيمكنا أن نلخص دور الدولة في أنها يجب أن تكون على وعي تام تجاه أي موقف إيجابي يجب اتخاذه بغية اصلاح حال الشعب .

١ ـ دراسة هذه الظاهرة بوسيلة أبناء الأمة ، البارعون في شتى المجالات : مجال الجغرافيا ، مجال الديموغرافيا، مجال الهجرة ، مجال الطب وكل مجال عام تمس مصلحة الشعب.

٢ ـ أن الدولة مشعر بمسؤوليتها أمام الله وأمام الشعب ، يجب أن لاتتخذ أي خطوة قبل أن تدرس كافة مجالات وحلول بديلة ومتاحة أمامها .

٣ـ أية حلول تقترح يجب أن تدرسها اللدولة ، من دون حياد ـــــــــــ ، أيا كانت : شرقا أو غربا.

٤ ـ إن الدول الإسلامية كونها جزءا من كيان الأمة الإسلامية ، يجب أن تلاحظ الأمر من ناحية واحدة : أن القضية تمس الأمة بكافتها ، وأن التعامل بعضها مع بعض ، يكون من أحسن الطرق وأسهلها وأحسنها وأكثرها نفعا للأمة.

والدور الثاني لأهمية الدول موقف الدول ذات سلطة اقتصادية وعسكرية التي تفرض رأيها ومصلحتها على الشعوب المستضعفة ،

ثم إن المتتبع لقضية تنظيم النسل يرى بوضوح اختلاف مواقف للدول الكبرى أو الدول التابعة من العالم الثالث ، ونوعا من التبعيض. فتارة يكون على أساس الدين وتارة على أساس اللون وتارة لأهداف سياسية بحتة بعيدا كل البعد عما يدعى أن تنظيم النسل يكون اجتنابا له أو اعتراضا عليه من التشدق بأدلة واهية.

فكثيرا ما يصطنع المجاعات والكوارث كي يمرر تنظيم النسل ، وهذا حدث أكثر من مكان وأكثر من مرة.

المطلب الأول:

أمثلة لدعايات لتنظيم النسل في مصر

تشتد الدعاية لتنظيم النسل في البلاد المجاورة لإسرائيل ولا سيما مصر ، بعد إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ . [٨]

---

٨ ـ أنظر : تنظيم الإسرة للأستاذ أبي زهرة ص ٩٣ ـ ٩٤.

فإذا افترضنا أن بقعة ما تحتاج تنظيم سكانها ، فليس معقولا ، أن تنظم وتحدد طائفة محددة ، ويستثنى غيرها . وهذا ما يحدث فعلا في مصر مثلا . يكتب أحد الكتاب :

" والذي يتابع العلاقات المصرية ـ الأمريكية ـ كنموذج ـ يجد أن تحديد النسل المصري المسلم متداخل مع موضوع المعونات الإقتصادية ، وأقول النسل المصري المسلم لأن الكنيسة المصرية أعلنت مرارا أن موضوع تحديد النسل غير وارد في ملتهم ، ولا يجوز لأتباع المسيح أن يفكروا فيه ، والمطلب الأمريكي بتحديد نسل المسلمين المصريين يتم بتشدد بالغ ... والحكومات تستجيب لهذه المطالب المتكررة ولو ترتب عليها الخراب والدمار ". [٩]

المطلب الثاني

في الهند:

فالهندوس في مجاعتهم يأكلون أوراق الشجر ، ولكنهم لايذبحون عجلا ولا عنزة لأن هذه البهائم آلهة لديهم .

و يوم تحركت رئيسة وزراء الهند لتخفيف حدة المجاعة شرعت قوانين لتحديد النسل .. تحديد نسل المسلمين ، وتعقيمهم رجالا ونساء ، هكذا يتم الأمر ... ولله في خلقه شئونه "

تصل هذه الدعايات درجة أن أمريكا يؤيد علنا فكرة تنظيم النسل في البلاد المسلمة ، حتى ولو أبت الحكومات من ترويجها :

---

٩ ـ الغارة على الأسرة المسلمة ، عبدالقادر أحمد عبدالقادر ص ٨٩ ، ١٢٥.

ففي مؤتمر بكين - عاصمة الصين - الذي انعقد في سبتمبر عام ١٩٩٥ ، أعلن الرئيس الأمريكي كلينتون أن الإدارة الأمريكية ستوجه دعمها الجمعيات الأهلية غير الحكومية التي تم تجنيدها لترويج أفكار المؤتمر في بلادها لهذه الجمعيات بدلا من الحكومات. [١١]

المطلب الثالث

والأمم المتحدة

والأمم المتحدة هي الآخرى تعمل على تنظيم نسل المسلمين.

ونتساءل : لماذا إصرار الأمم المتحدة على البنود المتعلقة بالجنس ؟!

ففي وثيقتي السكان (القاهرة) و(بكين) ـ اللذان انعقدا في سبتمبر ١٩٩٤ و١٩٩٥ على التوالي، هناك إصرار غريب من جانب الأمم المتحدة على تمرير البنود المتعلقة بالجنس والإجهاض والميراث والزنى والشذوذ ، فالبنود ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ٢٣٢ تندرج في وثيقة بكين تحت ما يسمى بالصحة الجنسية ، وهي ذاتها ما شملته وثيقة السكان في فصلها السابع تحت عنوان " الحقوق التناسلية - الصحة الجنسية والتناسلية " وهذه البنود تتضمن ـ نصا - دعوة صريحة للانحلال وعدم هضم حقوق المرأة الجنسية ، بل منحها الحق في الحياة

---

١١ - قضايا دولية العدد ٣٠٠ (عدد خاص) سبتمبر ١٩٩٥.

متفردة مستقلة تعاشر من تشاء بلا رباط. وقد أطلق البند ٢٣٢ من وثيقة بكين على الطرف الأخر في العملية الجنسية لقب "رفيق"، أو "شريك"، أو "زميل" وليس زوجا.

وقد اتفقت الوثيقتان أيضا على مفهومي " الحقوق الجنسية والصحة الانجابية" وهما ـ في عرف المؤتمرين ـ الاعتراف بالحق الأساسي لجميع الأزواج والأفراد في أن يقرروا بأنفسهم وبمنتهى الحرية والمسؤولية عدد الأبناء ويتمتعوا بأكبر قدر ممكن من الصحة الجنسية والتناسلية.

وفي البند رقم ٦٢ من وثيقة بكين مطالبة واضحة بتنحية الأعراف والتقاليد والممارسات المرتبطة بالإرث والزواج جانبا للحفاظ على حقوق المرأة المتساوية مع الرجل ، وأجمعت الوثيقتان على " احتقار" العمل المنزلي والمهام الأسرية المتعلقة برعاية الأطفال والمسنين واعتبارها أعمالا غير منتجه وبلا أجر ونوعا من البطالة .

فلهذا، فإن الأمم المتحدة ـ مندوب الغرب ـ تغلف مؤتمراتها بشعارات ظاهرها الرحمة وباطنها فيه العذاب ، فهي تؤكد على النهوض بالنواحي الصحية والتعليمية والتنموية ، لكن الحقيقة أمر آخر . إن إهتمام الشمال بمشكلتي السكان والمرأة ليس لكونه يريد تحقيق التقدم والرفاهية ، بل لخوفه الشديد من المستقبل على المستويين السكاني (حيث الشمال يتناقص والجنوب يتزايد) ، والتعقيد الفكري وذلك لغلبة المادة على الفكر مما أفقدت هذه العشوب الهدوء النفسي والاجتماعي (الشذوذ والانتحار والاجرام).

وخريطة المؤتمرات ترجع وراء ذلك، إلى فكرة تنصيرالعالم . " فقد مضت لتنصير العالم فترة طويلة ، إذ أنها أعلنت في المؤتمر الماسكوني الثاني سنة ١٩٦٥ ، ونادى المؤتمر بضرورة توصيل الإنجيل لكافة البشر ، وأعلن هذه الدعوة رسميا البابا بولس الثاني سنة ١٩٨٢ ونادى بضرورة تنصير العالم. وفي المؤتمر الماسكوني التالي قرروا اقتلاع اليسار في عقد الثمانينات والإسلام في عقد التسعينات ، وفي عام ١٩٩١ انتهى بالفعل الاتحاد السوفياتي ، والإسلام في نظرهم يقتلع الآن ، والناظر للأحداث يرى أنها متعاقبة ومترابطة ". [١٤]

---

١٤ ـ من وجهات نظرد. زينب عبدالعزيز أستاذة الحضارة الفرنسية بجامعة المنوفية ، في حوار صحفي مع "قضايا دولية" عدد خاص بمؤتمر المرأة " ص ٤١ وما بعدها.

المبحث الرابع
التنظيم للتربية

تمهيد:

ولا شك أن درجة التربية لاتقل أهمية من التناسل نفسه ... فإننا قد عرفنا إهتمام الإسلام بقضية التناسل بكثير من الآيات والأحاديث التي تحث عليه. (راجع المبحث الأول ، المطلب الثالث).
فالله سبحانه وتعالى خلق الكون للعبادة ، وفضل الإنسان بحسن تقويمه على الآخرين، وميزه بأوصاف فريدة كالعقل ، والنطق والإدراك .و بناء على ذلك وضع على عاتقه تكاليف ، من العبادات . وكلفه بالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر .. والتوحيد ، وكلفه بأن يحلي نفسه بهذه الأسس. والخروج على ذلك أمر غير مقبول ومعاقب عليه في الدينا والآخرة .
والتحلي بهذه المعايير مطلوب من البشر بكافتهم بحيث أن التنازل منها قد يؤدي إلى سخط الله سبحانه وتعالى ، وها نحن نقرء القصص القرآنية تحكي بكل صراحة عن الأمم التي عصت الله ـ سبحانه ـ فكان عاقبتهم الهلاك. [١]
وهكذا ينجلي أهمية الكيف وأنه يلعب دورا هاما في حياة المسلم . إلا أن الكيف يتأثر بعوامل خارجية.
فالانسان يولد على الفطرة ، ثم يتعلم ويتربى عن طريق حواسه ، وبيئته، وعبر المؤسسات التعليمية والتربوية الموضوعة لهذا الغرض. يقول سبحانه وتعالى :﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾. [٢] وتبدأ المجتمعات البدائية من حالة الجهل وعدم المعرفة ، فتتعلم ، وتتربى وفق أنماط ومعايير اجتماعية، تنسجم مع ايديولوجية المجتمع المعينة ، ونظام قيمه ، وفعالية مؤسساته العلمية والتربوية التي تأخذ على عاتقها عملية تعليم المجتمع والأمة.

---

١ ـ كقصص قوم صالح ، قوم هود و قوم موسى .
٢ ـ سورة النحل : ٧٨

فبالتربية والتعليم تتقدم الحضارات وتتطور المجتمعات . وتصنع الأجيال. [٣]

فمن هذه الواجبات عبادة الله سبحانه وتعالى ، وهي أمر لايمكن إنجازه من غير فهم ووعي سليم. وأني يعرف الإنسان مهمته ، ولماذا خلق ، و واجباته وحقوقه نحو الله سبحانه تعالى ، فواجباته نحو نفسه ، ونحو إخوانه ومجتمعه ، و كيف يعرفها إذا لم يكسبها ؟

وهذا الأمر ليس فطريا إنما يقوم على التعلم والاكتساب. والكسب يقتضي وسائل الجهد والاجتهاد. وتهيئة هذه الذرائع أصبحت من الواجب ، حيث أن " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

والإسلام أعلى من أن يتناسى هذا الجانب من الحياة البشرية ، ولا سيما أن الإنسان لم يخلق إلا ليعبد الله مخلصا ، وليعمر الأرض ويأخذ حظه من الدنيا.

المطلب الأول - مفهوم التربية:

عرفوا التربية : أنها عبارة عن "رعاية الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية واللغوية والانفعالية والاجتماعية ، والدينية وتوجيهها نحو الاصلاح الوصول بها إلى الكمال. [٤]

وفي ضوء التعريف المذكور ، يإمكاننا تحديد مفهوم التربية من حيث المسؤولية إلى مرحلتين:

١ - المرحلة الطفولية - المسؤولية عنها الأبوين.

---

٣ - والتربية مهمة بدرجة أن الألمان لما انتصرت ألمانيا في الحرب السبعينية : لقد انتصر معلم المدرسة الألمانية . وقال ثائل فرنسا لما انهزمت في الحرب العالمية الثانية: إن التربية الفرنسية متخلفة . وقال قائل الأمريكان لما غزا الروس الفضاء باطلاقهم القمر الصناعي الأول :سبوتنيك ": ما ذا دهى نظامنا التربوي والتعليمي ؟ فرجعوا إليه ينقحونه ويطورونه ليعد لهم العلماء الذين يصنعون المستقبل . وفي حرب النكسة ١٩٦٧ مع أعدائنا اليهود في فلسطين قال قائلهم ، وقلبه وقلمه يقطران حقدا وعداوة على حضارتنا العربية الإسلامية في مقال هل في مجل التايم الأمريكية في شهر تموز (يوليو) من نفس العام : لقد سقطت الحضارة الإسلامية بانتصارنا على العرب ، وكان عنوان المقال:" سقوط ثقافة وحضارة" . نقلا من :التربية الإسلامية بين الإصالة والمعاصرة ، دكتور احمد أحمد فرحان ، طبع دار الفرقان .

٤ - علم نفس النمو : زهران ص ١٠ ، نقلا من تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة ، محمد حامد الناصر وخولة عبدالقادر درويش ، ص ٢٣ ، مكتبة السوادي للتوزيع .

٢ - التربية الاجتماعية .

أولا - التربية عند الطفولية:

فهناك مرحلة الطفولة وما تحتاج هذه المرحلة من العناية بشأنها . فهذا نوع ما يجب الاهتمام به ، وهو التربية الأساسية لمرحلة الطفولة. فمرحلة الطفولة الأولى ، مرحلة أساسية حساسة ، إذ يبني عليها مستقبل الأفراد ، وبالتالي مستقبل الأمة ، بل إن الأطفال هم أمل الأمة الباسم ، وامتدادها المشرق. وهذه مسئلة فردية ، فكل فرد مسئول أمام الله عن أمانه وهبت له ، فليهتم به جد إهتمام. ومراعاة ظروف تكفل سلامة الولد الجسمي والعقلي والروحي ما يؤكد عليه الدين ... إلا أن هذا الأمر منوط بعدم الإفراط والتفريط، فيكون في حد الاعتدال . فلا يحرم من حنان الأم والأب ، كما حدث في الغرب بالفعل . وقد خططوا للتخلص من إزعاجات الحمل والتربية فصنعوا مصانع الأنابيب لتنشأة الأطفال على سبيل المثال.

وكذلك أهملوا جانب التربية، فالطفل أمانة ، بعد أن خلق في أحسن تقويم ، وأبواه مسؤولان عن تكاليف مسئوليته التربية جسميا، وعقليا ، وفكريا، إلى أن يبلغ أشده ، فتقبل الأبوان المسؤولية إلى حد ما ... وهو بدوره يتكفل مسؤوليات نفسه . فإذا لا يسأل الطفل عن خطأ يرتكبه من الناحية الفقهية ، فإن من الناحية الدينية تقع المسؤولية إلى حد بعيد على عاتق أبويه . فليتق الأبوان الله في أولادهما واعتناق مسؤوليتهما. فلا ينبغي أن يكبر الولد وهو يعاني من أمراض جسيمة ، نحيف البنية، جاهل أمي ، عبء المجتمع .... والولد الصالح من الصدقات الجارية - كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم .

فالطفل رجل الغد ، ولا شك أنه سيكون مكلفا بتكاليف شرعية ، فواجب الأب أن يجعله أهلا لهذه التكاليف .

مراعاة الإعتدال:

وفي نفس الوقت يجب مراعاة الطفل من الجانب الآخر ، وهو أن لايكون المرونة نحو الأطفال درجة تفسد مستقبل الابن ويجب أن لايكون الطفل ينشأ في رفاهية تامة وسعة ، دون المعرفة بالفقر والكفاح .. وقد ثبت بالتجربة أن الذي يشب في رفاء ورخاء تام هو الذي يواجه حياة ضنكا .

وفي هذا المضمون يقول الأستاذ المودودي في كتابه " حركة تحديد النسل":

" ... وفوق هذا فإن هذا الدليل فاسد من حيث المبدأ أيضا . أنه لمما لاينفع الأمم بل يضرها أن تكون معظم نشأة أجيالها على الدعة والسعة والرفاهية ، ولا تجابه في حياتها الكد والكفاح والفقر والفاقة والمصاعب والمتاعب ، لأن هذا لا بد أن يغلق تلك المدرسة الكبرى ، مدرسة الزمان ، والتي تعني بتعليم الانسان وتثقيفه وتربيته على أحسن وجوه التعليم والتثقيف والتربية ، والتي ما أقامها الله سبحانه وتعالى إلا ليختبر صبر الانسان واستقامته وهمته وقوته المعنوية ، ولا يحكم بالنجاح في الحياة إلا على الذين يختارون مرحلتها ظافرين مستبشرين:﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ وإن هذا لهو الأتون الذي يتميز فيه الخبيث من الطيب والزائف من الخالص ، ولا تصب فيه المصائب والأهوال على الانسان إلا ليتدرب على الصمود في وجهها ، ولا المحن والشدائد إلا ليصارعها ويبذل جهده للتغلب عليها ، ولا الأزمات والضائقات المالية إلا ليتخلص مما فيه من مكامن الضعف وخور العزيمة ويبرز إلى ميدان الجهد والسعي والكفاح ما فيه من القوى والمواهب المستترة . فالذين لا يدخلون معركة الحياة إلا عن طريق التخرج في هذه المدرسة ، هم الذين يقومون في الدنيا بجلائل الأعمال ويثبتون أسماءهم في جدول عباقرة العالم في الأدب والفن والعلم والحكم . فهل تريدون يا عقلاء القوم بدعوة إلى تحديد النسل أن تقفلوا عليهم هذه المدرسة وتحيلوا الدنيا إلى موضع من مواضع اللهو والطرب حتى لا تنشأ فيها أجيالكم إلا على عبودية النفس ودناءة النفس ودناءة الهمة وسقوط المروءة والهيبة والجبن والخيانة في أداء الواجب ؟ وهل تتمنون بالنسبة لأجيالكم أن لاتفتح عيونها إلا على الدعة والسعة ولذائذ العيش ومتع الحياة ولاتتلقى التعليم إلا في المدارس الفخمة ولا تسكن إلا في البيوت الشامخة ولا تخطو خطوة في ميدان الحياة إلا بأن تكون لديها ثروة كافية لبدء الحياة على طريق لامع رائع ، ومع ذلك ترجون أن يكون النجاح رفيقها والتوفيق حليفها ، وتعلاً في سماء التقدم والازدهار أسماؤها ؟ كلا! إنكم لن تخلقوا في الدنيا بمثل هذا التعليم والتربية إلا حيوانات من الدرجة الثالثة أو من الدرجة الثانية على الأكثر ولن تخلقوا فيها أناسا من الدرجة الأولى . وأما إذا أبيتم أن تصدقوني في ما أقول ، فارجعوا أبصاركم إلى تاريخ الدنيا وحياة من عاش فيها من العظماء والعباقرة في العلم والأدب والفن والحكم ، فلن تجدوا ٩٠٪ منهم إلا ممن ولدوا في مهاد العدم والعوز ونشأوا في جحور الألم والفاقة ولم يقضوا أيام شبابهم إلا بكبت الآمال وقتل الرغبات والشهوات، حتى ألقوا في خضم الحياة الزاخر بدون ما متاع . فالأمواج هي التي علمتهم

الساحة ، والصدمات هي التي دربتهم على شق الطريق حتى أبوا إلا أن ينصبوا رأية علوهم على ساحل النجاح والتوفيق. [٥]

التربية الاجتماعية:

وهناك نوع آخر من المسئولية التربوية لا تطيق الأبوان تحملها وهما غير مقصرين بحكم آية : ﴿لايكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ [٦] وهي مسؤولية التربية الاجتماعية كحصول العلم بمستوى التخصص ، الأمر الذي جعله الشرع فرض كفاية على جماعة بحيث لومارسوها لسقطت عن الاخرين، وذلك كممارسة الطبابة والهندسة والنجارة والتجارة و غيرها من المهن. [٧]

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" وإيجاد جو صالح للتعليم واجب المجتمع ومسؤوليه. وكذلك بناء المدارس والمستشفيات والجامعات من مسئوليات المجتمع. والتطبب واجبة ، وإيجاد كلية الطب من واجب المجتمع. وهكذا التجارة واجب كفائي .. وإيجاد سوق للشراء والبيع ، لقضاء حاجات الناس من مسؤولية المجتمع . وأقصد بمسؤولية المجتمع هو المسؤولية الجماعية .

فهذا النوع من التربية ، كتربية طبيب ، ومهندس ، وتاجر ليس من مسئولية الأبوين فحسب وإنما الآخرون مسؤولون عن هذا الأمر.

ومن هنا تحدد مسؤولية المجتمع من حيث إمكانياتها المادية ، كما أنه أيضا لا يكلف إلا في حد وسعه. وبناء على هذا بوسعنا القول بأنه يمكن تضحية بعض الجوانب بغية تحقق هذا الأمر وهو جعل المجتمع قادرا على مواجهة هذه الظاهرة . ومن هنا يبدأ مسؤولية المجتمع - وهو تهيأة جو مناسب به يستطيع الفرد ممارسة مسئوليته الإجتماعية. وقد تكلم الفقه في هذا المجال تحت عنوان " الواجب الكفائي ".

فظاهرة تدهور المشاكل الاجتماعية التي من مسؤولية المجتمع القضاء عليها، موجودة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة .. ولا شك أن الإسلام لا يحايد عن أخذ موقف تجاه حل هذه

---

٥ - حركة تنظيم النسل ، لأبي الأعلى المودودي ، ص ٩٥.

٦ - سورة البقرة : آية ٢٨٦.

٧ - راجع : أصول الفقه للإمام أبي زهرة ص ٣٥ وما بعدها ، طبع دار الفكر العربي

المشاكل .. وهنا يظهر ثقب آخر ، وهو أنه يجب مواجهة هذه التحديات . ولابأس الأخذ بالرخصة وأن ينظم بعض الأسر عدد الأفراد ، وذلك إذا كان تحت ظل النظام الحكومي الذي لايتهم مطلقا بأي شبهة. ويشترط أن لا تكون هذه الظواهر مصطنعة ، وأن لايترتب عليه أي أضرار أخرى البتة ، وإن لا يكون هناك أهواء سياسية تلعب بها ..

هذه ظاهرة لها تبريراتها ووجاهتها.

وقد عمل حسب هذه النظرية الحكومة الإيرانية. فإنها تساعد الأسرة في الخدمات المدنية والصحية والتعليم للطفلين الأولين و تتقبل الأسرة نفسها عبء تكاليف عن الطفل الثالث فصاعدا.[٨]

بيد أن تحليل الواقع لايصل إلى هذه النتيجة . فقد عرضنا الظواهر واحدة تلو أخرى ، ولم نواجه بمثل هذه الحالات .

الحالات الإفتراضية:

وفي هذه الحالة المفترضة :

١ - مع التزامنا بأسس الشرعية الأخرى كأساس " وجوب التناسل بلا تحديد ولا تنظيم عام"

٢ - و لدى عدم إمكانية التغلب على هذه الظواهر بطرق شرعية -

٣ - وإنه لايجوز مطلقا القول بأي تنظيم جماعي للنسل ، وأن ذلك يخالف القرآن والسنة والاجماع ...

والأمر ذاك - تنظيم النسل - في بعض الأسر - جائز في حالة واحدة ، وهي عدم استطاعة المجتمع بأي حال بالقيام بوظائفها نحو التغلب على الظواهر التي سبقت ذكرها - إلا في هذه الحالة.

ويجدر بالذكر أن هذا الأمر - إذا افترضنا بعدم أي طريق شرعي الذي يمكننا من مواجهة هذه الظواهر ، أمر موقت لغاية الحصول على هذه الأهداف ، وذلك بحسب قاعدة :الضرورات تبيح المحظورات "[٩] ، وقاعدة : يتحمل الضرر الأصغر من أجل الضرر الأكبر "

---

٨ - تنظيم خانواده در ايران - طبع تهران - ايران.

٩ - راجع القواعد الفقهية على احمد الندوي طبع دار القلم ١٩٩١ ص ٢٧٦ و ٣٥٠ .

وبعد الحصول على الهدف ، وبعد رفع الحرج ، يرجع الحكم إلى أصله ، وهو عدم الجواز المطلق بأي تنظيم عام. " والضرورة تقدر بقدرها".

إنعكاسات فقدان التربية:

وإذا نظرنا إلى واقعنا ، فهو اليم للغاية . فالأمية لا تقف عند حد ، بل تكاد تحيط كل شيء .. فليس الأمية بعدم القراءة والكتابة فحسب ، وإنما يشمل كل نواحي الحياة .

فثمة مجالات أخرى لتربية الأمة من حيث الكل ... تربية مهنية وتقنية ، الأمر الذي ينعكس في حياة الأمة إيجابيا أو سلبيا ... فإننا بحاجة لتعزيز كيفية الشعب فكرا ، وحضارة ، وثقافة ، وصناعة ...

وإننا ضعفاء في مجال العسكرية ، رغم تشجيع القرآن على الاعداد لمواجهة الأعداء. يقول سبحانه وتعالى :﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [١٠]

ولأجل هذا الفقدان ، نرى آثاره في كافة نواحي حياتنا . وليست انتشار الصراعات ذات البينية إلا من نتيجة التربية الناقصة، ولا نذوق مرارة الانهزامات إلا من هذه النواحي . وما يجري في أفغانستان وكثير من الدول الإسلامية ليست إلا لجهل أبنائها ...

فزارعنا أمي ، ولهذا إنعكاساته السلبية في حياتنا ، حيث يؤدي ذلك إلى ضعف الإنتاجية، كما يقول الأستاذ القرضاوي في كتابه " أين الخلل ":

"وفي هذا المجال نرى مرة أخرى تخلفنا يبرز بشكل بارز . فنجد أن كل مزارع في الولايات المتحدة يقدم من المواد الغذائية ما يكفي لإطعام ٤٠ شخصا ، والفرنسي ما يسد حاجة ٢٥ شخصا ، والروسي عشرة أشخاص. وهذا ما يفسر لنا الاستيراد الكثيف من القمح الأمريكي مقابل النفط الروسي والأخشاب وسبائك الذهب الرنان.

أما في الأقطار المتخلفة حيث لاتزيد انتاجية الفلاح كثيرا عن حاجة أسرته فإن كل ما يبيعه من مواد غذائية يكون على حساب حرمان عائلته لتنويع طعامه ولشراء ما يحتاج إليه من كساء ولتأمين شراء حاجيات أخرى. فهناك فرق شنيع بين الزراعة وبين الخبرة. فالفلاح يتبوأ هنا أسفل

---

١٠ - سورة الأنفال آية ٦٠.

الدرك الاجتماعي ، وبالتالي هو جاهل على الغالب ، ويعجز عن تطبيق التقنية الزراعية الحديثة ، أو فلاح رغما عنه. ويتجلى ضعف الانتاجية هـذا في الغلة التي يعطيها الهكتار من الحبوب ، وأيضا على إنتاجية الماشية ...

"... وبرغم وجود أربعة عشر دولة ودويلة عربية ، فإنها عجزت عن تعليم أبناءها بالعربية . فضلا عن التفكير في تعليم اللغة العربية، الواجب تعليمها بمقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم :" من تعلم لغة قوم أمن مكرهم ". وما أكثر مكر اليهود.

"وكفانا عارا أن عشرين دولة تعلم العلوم باللغة الأجنبية ، معترفة بعجزها عن تعليمها بالعربية ، وأن)إسرائيل (- دولة المليونين أو الثلاثة - تعلم العلوم بالعبرية. ونظمنا التعلمية السائدة تساعد على إنشاء هذه العقلية المقلدة ، وقد رأينا أقوى أمة في عالمنا (أمريكا) ترى نفسها على حافة الخطر، بسبب قصور التعليم فيها عما تنشده لأبنائها.

وتتنادى بوجوب درء الخطر الذي يواجهها في مسيرتها التعليمية ، ولم يعمها صعودها إلى القمر أن ترى ضعف المستوى أبنائها على الأرض .

إن نظمنا التعليمة تخرج موظفين ، ولا تخرج مثقفين ، وحتى القراءة فنحن لا نحب أن نقرأ ، لأن القراءة تتطلب منا جهدا وتفكيرا حتى نفهم ونتابع ،و لكن الكسل عندنا أحلى من العسل!

لقد قال) موشي ديان (يوما لقومة من اليهود ، وقد لاموه على بعض تصريحات تكشف عن أطماعهم وتطلعاتهم ، وقد خشوا أن يقرأها العرب ، ويكشفوا خططهم ، قال لهم :اطمئنوا فإن العرب لا يقرأون !!

والعجب من أمة أول آية نزلت في كتابها :(أقرأ) لا تحسن أن تقرأ، وإذا قرأت لاتحسن أن تفهم، وإذا فهمت لاتحسن أن تعمل ، وإذا عملت لاتحسن أن تستمر. [١١]

---

١١ - من كتاب "أين الخلل" للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ، دار الصحوة للنشر - القاهرة ط الأولى ١٩٨٥.

المبحث الخامس

في

وسائل تنظيم النسل

وفيه تمهيد تسعة مطالب:

المطلب الأول: العزل

المطلب الثاني حبوب منع الحمل

المطلب الثالث: موانع الحمل الكيمياوية

المطلب الرابع: لولب

المطلب الخامس: الكبوت (Condom)

المطلب السادس: فترة الأمان

المطلب السابع: التحقيق

المطلب الثامن: الإجهاض

المطلب التاسع: التعقيم

أما الغسيل أو الدوش المهبلي والذي تستعمل فيه مواد مختلفة مثل الشب ومحلول البيرومنغانات و حامض البوريك وعصير الليمون والملح والخل والذي يستعمل في المدن الأوربية بصورة هي أكثر شيوعا مما يعتقد فيه من فوائد أخرى إلى جانب أن واق من الحمل مثل أن مزيل للميكروبات التي يمكن أن تكون قد تكونت قبل الجماع وأثناؤه ، فهو كما أكد الأطباء أنه من الطرق غير المأمونة ، لأنه لايمكن الجزم بأن هذا الغسيل الذي أجرى قد أتى على كل حال ثنايا المهبل وشمول تعاريجه وأخرج كل ما به من وسائل منوي. [١٣]

المطلب الرابع

لولب :

هو عبارة عن حلقات صغيرة ذات أشكال متعددة مصنوعة من البلاستيك أو ساير أو دبابيس مصنوعة من البلاتين أو غير ذلك تدفع إلى داخل الرحم بواسطة الطبيب وتبقى فيه بصفة دائمة لتمنع تعشعش البويضة على جدار الرحم. [١٤]

وقد يستخدم منذ نصف قرن تقريبا . وربما أقتبست الفكرة من العرب القدماء. وهذه الوسيلة كانت فيما مضى معروفة . فقد كان العرب عند ما ينوون القيام في رحلة طويلة يضعون في رحم الناقة حجرا صغيرا ألمس بواسطة عود مثقوب يجعلها في تصرفاتها كالحامل فلا تطيق الاقتراب من الذكر.

وتتركز فعالية الأنبوب كأداة لمنع الحمل في كونه يحدث بعد إدخاله تقلصات في الأنبوبين والرحم قد تؤدي إلى طرد البويضة من الطرق التناسلية قبل تعششها .

---

١٣ - وسائل منع الحمل الحديثة للدكتور سبيرو فاخوري ص ١٦٤، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢، مطابع الأوفست - بيروت . وأيضا: راز جنسيت (بالفارسية) ص ٩.

١٤ - وسائل منع الحمل الحديثة للدكتور سبيرو فاخوري ص ١١ .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إعزلوا أو لا تعزلوا ، ما كتب الله تعالى من نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة ".

وأيضا يقول صلى الله عليه وسلم : " ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة ". [٥]

وروى الإمام مالك في الموطأ عن ابن عمر ، أنه كان لايعزل وكان يكره العزل.

عن أبي سعيد الخدري أنه قال : أصبنا سبيا فكنا نعزل فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: أو إنكم لتفعلون ؟ قالها ثلاثا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة. [٦]

وعن جابر رضى الله عنه قال : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فلم ينهنا .

تعليقا على هذه الأحاديث ، يقول الأستاذ المودودي:

" من المعلوم أن العزل ما كان عاما شائعا بين المسلمين جميعا ولا كانت قد قامت فيهم حركة لتحديد النسل ومنع الحمل ، ولا كان المقصود أن تتخذ من العزل سياسة قومية ولا كانت من الأسباب المحرضة عليه تلك الأفكار والعواطف التي كانت تحرض الناس على اقتراف جريمة قتل الأولاد ووأد البنات أيام الجاهلية ، وإنما كانت هناك ثلاثة أسباب هي التي حملت على العزل نفرا من المسلمين ، ولنا أن نعرفها بتتبع الروايات الواردة في كتب الحديث في باب العزل:

١ ـ خشية أن تحمل الأمة.

٢ ـ خشية أن تستحق الأمة إقامة دائمة إذا صارت أم ولد.

٣ ـ خشية أن يتعرض الرضيع لنوع من الضرر إذا حدث الحمل أيام الرضاعة.

فهذه هي الأسباب التي لأجلها أحس نفر من الصحابة ـ منهم عبدالله بن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبو أيوب الأنصاري وزيد بن ثابت وجابر بن عبدالله رضى الله عنهم ـ بحاجة إلى العزل في ظروف مخصوصة وعملوه بحجة أنهم ما وجدوا في نصوص القرآن والسنة شيئا ينهى عنه صراحة.

---

٥ ـ صحيح مسلم : ٢ / ٦١٣ ، الترمذي ٣/ ٤٣٥.

٦ ـ أخرجها مسلم في كتاب النكاح حديث ٩٤ .

فلا تصرح حتى هذه الرواية فيما إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن حكم العزل أم لم يسأل ، وأنه إذا سئل فما إذا كان جوابه؟

العزل عند الشافعية:

العزل مكروه عند الشافعية ، واستدلوا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضى الله عنها بأنه سماه الوأد الخفي.

الغزالي : أجاز لأسباب منها : كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد.

أضرار العزل:

العزل يفقد النشاط الجنسي ، وغير مثير للأعضاء التناسلية ، كما أن فيه احتمال بقاء أجزاء من المني داخل القضيب ، مما يسبب آثار سيئة عند الرجل. وكذلك عند المرأة ، حيث أن نصيبها من الحظوظ الجنسية غير كافية . وأيضا إمكانية الحمل موجودة ، إذ يمكن عدم استطاعة الانسحاب في موقع مناسب ، والعزل لايمكن الاعتماد عليه. [٧]

المطلب الثاني

حبوب منع الحمل:

تعريفها:

هي مركبات هورمونية تحتوي على خليط صولمون الابيستروجين ، وهورمون البروجستوجين المماثلة لهرموني المبيض تؤخذ في اليوم الخامس إبتداء من أول يوم للحيض ولمدة عشرين يوما متتالية كل شهر . وهي تعطى اجتنابا من الحمل. [٨]

وأول من درسها وفكر في استعمالها هو "جريجوري بنكس " [٩] وذلك عام ١٩٥٦ .

---

٧ - فتح القدير : ٢ /٤٩٥.

٨ - راز جنسيت (بالفارسية) ص ٧ .

٩ - وسائل منع الحمل الجديدة للدكتور سيرو فاخوري ، ص ١٩٩ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ مطباع الأوفست - بيروت.

وقد اكتشف بنكس أن هذه الحبوب إذا لم تؤخذ في اليوم الخامس كما هو محدد لها بأن أخذت في اليوم السابع أو الثامن من الدورة الشهرية فإن الحمل يقع لا محالة .
وهذه الأقراص التي تسمى (Oral Contranceptive pills) لها كفاءة محددة . [١٠] وآخر نوع من هذه الحبوب هو كبسولات (Norbland) التي تزرع تحت جلد إبط الأنثى.

أضرار هذه الحبوب :

نشرت مجلة "لانست " البريطانية المتخصصة في الدراسات الطبية تقريرا عن نتائج الدراسات التي قامت بها الهيئات الطبية العالمية عن حبوب منع الحمل . أكدت المجلة أن تناول حبوب منع الحمل لمدة ٢٥ شهرا كفيلة بإصابة المرأة بالأورام السرطانية. أما جامعة كاليفورنيا قد أعلنت بعد عدة أبحاث دقيقة جدا على عدد من السيدات الأمريكيات اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل أن هذه الحبوب تؤدي إلى أورام سرطانية في الثدى والرحم وتؤدي إلى أمراض القلب وتضعف التجلط السريع. [١١]
ونشرت مجلة العربي في عدد ٢٠٦ تقول :" إن تعاطي حبوب منع الحمل يزيد من احتمالات التعرض للنوبات القلبية المميتة فيمن تجاوزن الثلاثين من العمر وبخاصة فيمن تخطين الأربعين . ولقد نقلت هذه النتيجة عن المجلة الطبية البريطانية . ونشرت في عدد ٢١١ تقول : نقلت وكالات الأنباء خبر موت إحدى السيدات البريطانيات نتيجة لحبوب منع الحمل ، فقد ظلت تتناول (فالدان) طيلة ثماني سنوات ، ثم استبدلت صنفا آخر هو (مينوفلار) بدلا منه . وذلك بتوصية طبية ، ومرضت بعد أسابيع مرضا شديدا مما اضطرها لملازمة الفراش ، ثم انهارت صحتها بعد أيام ولما نقلت إلى المستشفى اثبتت الفحوص أن سبب الوفاة المباشر هو (الانسداد الرئوي) أي حبوب منع الحمل التي كثيرا ما تسبب هذا المرض.
يقول الدكتور شكري عرفة ، الأستاذ بكلية طب القصر العيني بجامعة القاهرة: إن هناك بالاضافة إلى ما جاء في المجلة البريطانية وتقرير جامعة كاليفورنيا آثارا جانبية كثيرة جدا منها على سبيل

---

١٠ Gerry Govan, Hodge and Callender Ganea Clolry, illustrated London, ١٩٧٢ , pp ٤٠٤
Lotaif and others Psychiatrie Aspects of Female Strlization on Egypt v:٦ , pp ٢٧٢

١١ الوعي الإسلامي ، العدد ٢٤٦ ، سنة الطبع ١٤٠٥ هـ .

المثال لا الحصر : القيء ، الغثيان ، والصداع النصفي ، والاكتئاب ، والبرود الجنسي ، والنزف المهبلي ، واضطرابات الحيض ، وزيادة مادة الصفراء في الدم ، وتغير وظائف الكبد ، بالإضافة إلى إضطرابات الهرمونات ولذلك فقد اشترط قانون المهن الطبية في إنجلترا أن تكتب الآثار الجانبية بشكل لواضح على علبة حبوب منع الحمل حتى تكون المستخدمة لها على بينة من أمرها. وفي الولايات المتحدة أيضا تقوم هيئة الدواء والأغذية الأمريكية بمراقبة وسائل منع الحمل و تشترط شروطا معينة لاستخدامها. كما تكتب أيضا الآثار الجانبية ولا تصرف الحبوب بدون وصفه طبية من الطبيب .

وفي نفس الوقت الذي يقيدون فيه استعمال نساتهم للحبوب يصدرون لنا آلاف الأطنان وتصرف مجانا في مراكز تنظيم الأسرة وتباع بثمن بخس في الصيدليات بدون وصفة طبية أو تحذير للنسوة من استخدام الحبوب ... أليس هذه مؤامرة علينا؟

المطلب الثالث

موانع الحمل الكيماوية:

هي مواد توضع في المهبل قبل الجماع بوقت قصير ليجعل منها حاجزا يقام في وجه الخلايا الجنسية بغرض شللها وإعاقتها عن بلوغ عنق الرحم وهي عبارة عن الصابون وغسل المهبل والحبوب الفوارة والاسفنج والكريم والهلاميات والتحاميل . أما الصابون فقد ذكر أن مع الماء إذا استعمل فإن يبقى مع الحمل ولكن التجارب أثبتت التهابا وتهيجا لدى النساء ضرره أكثر من نفعه .

وأما الإسفنج والقطن فقد يستعملان لهذا الغرض وتستعمل معهما مادة كيمياوية مبيدة للنطف إمعانا في الحيطة، ولكن الأطباء حذروا من مخاطر هذه الطريقة وبخاصة ما يستعمل مع القطن والإسفنج من رغوة الصابون ومنقوع الأعشاب مما يؤدي إليه من تسمم خاصة وأن الأعشاب تختار لهذه الإبادة من النوع السام المبيد كما أن القطن قد ثبت فشله لأنه حين ابتلاله يتجمد إلى قطع صغيرة وتستطيع أن تكون حاجزا مهبليا .[١٢]

---

١٢ - راز جنسيت (بالفارسية) ص ٨ .

وتستعمل ملايين النساء اللولب لمنع الحمل ... ووظيفته منع علوق الكرة الجرثومية (Blastula) التي تتكون من الزيجوت (اللقيحة ، النطفة الأمشاج) ، وبالتالي تعتبر نوعا من الإجهاض المبكر جدا. [١٥]

واللولب لاتمنع الحمل تماما . وتقدر نسبة من يحملن بالرغم من اللولب ١ : ٥ . (واحد من الخمسة)

وأما كيفية الاستفادة منها ، فيجب أن يتم وضع اللولب في مكانه بالرحم على يد طبيب ، ويجب على المرأة أن تبقى تحت الرعاية الطبية ، لأن الحركات بل حركة واحدة تقوم بها المرأة من شأنها أن تعرض الفعالية للشلل بل تبطلها نهائيا .

وهنالك آثار للولب يعاني منها للنساء وأن أرحام بعض النساء ترفض اللولب لأنها سريعة الاستجابة فتطرد اللولب عند تقلصها ، وأن الرحم الضامر يؤدي إلى رفض وجود اللولب على أي حال .

أضرار اللولب:

إن الأطباء يعتقدون أن الاحتكاك المستمر الذي يحدثه اللولب يؤدي إلى بعض أشكال السرطان.

وقد ذكر في عدد ٢٢٠ من مجلة الطبية البريطانيات إن اللولب وما إليها من وسائط منع الحمل التي توضع داخل الرحم قد تكون سببا في تشويه الأجنة. [١٦]

فقد وضع الدكتور (هربرت بري) تقريرا وافيا حول هذا الموضوع نشر بمجلة الطب البريطانية. ويشرح في تقريره حالتين ولد فيهما طفلان بأطراف قصيرة ومشوهة. وكلاهما كان فاقدا لعظام الساق. [١٧]

وكذلك هناك أمبولات وكريمات موضعية Gles Creams وهي أقل الوسائل كفاءة. [١٨]

---

١٥ ضبط النسل وتنظيم الأسرة ، كاترين فالابريج ، ترجمة يوسف كامل ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٦ وسائل منع الحمل الحديثة للدكتور سيرو فاخوري ص ١٦٧.

١٧ أخلاقيات التلقيح الإصطناعي ، ص ٣٦ ، للأستاذ د. محمد علي البار. =

المطلب الخامس

الكبوت : Condom:

من وسائل منع الحمل الكبوت ، أو الكيس.

وهو الذي يشبه ما المح إليه الفقهاء بقولهم:" وضع خرقة ونحوها " ما سبقت الإشارة إليه . ويسمى الكبوت بالغلاف الواقي . وقد يقال أنه من الوسائل الوسائل التي لا بأس بها لمنع الحمل، لو لا ما يطرأ عليه من تمزق في بعض الحالات . وقد كان يستعمل في حوالي القرن الثامن عشر للوقاية من الأمراض الزهرية وحين عرف كواق من الحمل وجد إقبالا شديدا في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، حتى يقال أنه بيع منه في الولايات المتحدة في عام ستمائة مليون كيس. [١٩]

ومن حسناته :

أنه يصلح للرجال الذين يشكون من سرعة الإنزال كما يفيد في منع انتقال الإلتهابات البسيطة وعدوى الفيروس.

ومن مساوئه:

أنه يفقد الإحتكاك المباشر ولذة الإندماج بالشخص الآخر. وقد يسبب عند الرجل إرتخاء في العضو ، وقد تكون به ثقوب يتسرب من خلالها السائل . وبعض النساء يعتبرنه مهينا ومشينا لهن مع أنه من أكثر الوسائل شيوعا ورواجا. ولكن مع شدة رواجه فقد بات من غير الممكن اقناع النساء باستعمال الرجل له لأنهن يرفضن الجسم الغريب ويتعقدن فيه إهانة لهن كما أنه غير مضمون في منع السائل من التسرب إلى الرحم. [٢٠]

---

١٨ ـ نقلا من مجلة العربي عدد ٢٠٦.

١٩ ـ راز جنست (بالفارسية) ص ٧.

٢٠ ـ وسائل منع الحمل الحديثة للدكتور سيرو فاخوري ص ١٦٢.

المطلب السادس

فترة الأمان

إن المرأة لاتكون متهيأة للإخصاب إلا في أيام محدودة من كل شهر تقع في منتصف الدورة الشهرية ، وأن هذا الوقت يسبق الحيض التالي بأربعة عشر يوما أي أنه يحدث في اليوم الخامس عشر عند إمرأة طوال دورتها الشهرية ٢٨ يوما ، وأن الحمل يحدث عند خروج البيضة من أحد مبيضي المرأة ، وهذا يموت مرة واحدة في كل دورة مبيضة في منتصف المدة بين حيضة وأخرى .

وقد أدت هذه النظرية التجارب التي أجريت على المبيضين والتي أسفرت عن أن الإباضة تحصل في خلال الخمسة أيام التي تتوسط الطمثين وهي ما بين اليوم الثاني عشر والسادس عشر.

فإذا كانت الدورة الشهرية لإمرأة هي ثمانية وعشرين يوما خرجت البويضة في اليوم الرابع عشر ، وتاريخ بدء الحساب من أول أيام لاحيض ، وهذا اليوم يعتبر من أكثر الأيام ملائمة لحدوث الحمل علما بأن فترة الإخصاب تبتدئ حسبما أشار به "أوجينو " من اليوم الثاني عشر إلى اليوم التاسع عشر . وبالنسبة عن دورتها ٢٨ يوما يبدأ من يوم الثاني عشر . ومعنى ذلك أن الإخصاب عند المرأة التي دورتها منتظمة ٢٨ يوما لايتم إلا في الأيام العاشر إلى السابع عشر من بدء الدورية الشهرية .

فاليوم الرابع عشر كما ذكرنا هو أكثر الأيام ملائمة من غيره. فإذا وقع الجماع خلال الأربعة أيام السابقة لهذا اليوم كان وقوع الحمل ممكنا أيضا ، لأن الحيوان المنوي يستطيع البقاء حيا في بون المرأة حتى تأتيه البويضة فيلقحها ، كما يجوز أن يحدث الحمل إذا تم الجماع خلال الأربعة أيام التالية لهذا اليوم . لأن البويضة تستطيع البقاء صالحة للتلقيح تنتظر وصول الحيوان المنوي . وعلى هذا الأساس تكون الأيام السابقة لذلك فترة أمينة أيضا للجماع وأن المرأة لاتحمل فيها وعقمها هذا عقم طبيعي وما بين الفترتين هي أيام الإخصاب.

كانت هذه الطريقة رائجا في النصف الأول من هذا القرن ، إلا أننا يمكننا القول أن هذا مجرد تقريب ، واحتمال الحمل فيه كثير. [٢١]

---

٢١ - ضبط النسل و تنظيم الأسرة ،ص ١٢.

المطلب السابع

التحقين:

من الوسائل الحديثة لمنع الحمل التي توسل إليها الطب على يد العالم الأمريكي "تايلور" هو تحقين المرأة التي تريد إيقاف الحمل بواسطة مادة هورمونية تدعي "ديوبرافيرا ـ ١٥٠ " بعد الولادة بمدة إثنين واربعين يوما . ويقال أنه بعد أخذ الجرعة الأولى يتوقف الحمل عند المرأة لمدة ثلاثة أشهر حتى إذا ما رغبت في إيقافه لمدة أخرى تناولت أيضا جرعة أخرى بشرط أن تنتظر قليلا ليتلاشى آخر أثر للجرعة الأولى . وقد تختلف فترة الإنتظار من سيدة لأخرى.

وبجانب أنه وسيلة تريح النساء من التفكير المستمر في إيقاف الولادة ، لها سيئات منها : تحدث إضطرابات ملموسة في العادة الشهرية . وقد حدث ذلك لكل النساء اللاتي أقدمن على استخدام هذه الوسيلة كما أنها تحدث الغثيان والصداع واضطراب الأعصاب. [٢٢]

المطلب الثامن

الإجهاض:

١ ـ مفهوم الإجهاض: (Abortion)

هو عبارة عن إسقاط الجنين قبل آوان ولادته ، بحيث لم يكتمل مراحله الطبيعية .

من الممكن أن يولد حيا أوميتا ، وذلك بحسب إذا كان اكتمل خلقته أو أسقط ناقصا ، وذلك قبل إتمام هذه المرحلة.

٢ ـ نشأة فكرة الإجهاض :

---

٢٢ ـ وسائل منع الحمل ص ٢٠٢

ليست فكرة إسقاط الجنين أو الإجهاض شيئا جديدا ، وإنما منذ قدم الزمن . ففيما نقرأ كانت الفكرة نفسها سائدا عند العرب الجاهلية ، كما يحكي عنها القرآن الكريم ويستنكرها قائلا:" ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ [٢٣]

والاجهاض المعروف اليوم نفس العملية ، إلا أنه له تبرير من نوع آخر.

وقد انتشرت هذه الظاهرة في أوساط شعوب أوربا ، وكان من دواعي ذلك أمران:

أولا ـ شيوع الأخلاق الرذيلة.

ثانيا ـ وقاية من الحمل غير المرغوب فيه.

٣ ـ محاولة لتقنين الإجهاض :

ولقد كان الإجهاض ممنوعا في كافة البلاد الأوربية والأمريكية ، بيد أن دعاة الشر ذوو الأهداف والغايات الرذيلة سعوا لتقنين هذه الفتن.

فحركات لتقنين الإجهاض بدأت منذ ١٩٨٩ في أمريكا . ودول أخرى بدأت تقتنع بهذا مثل ألمانيا وبلجيكا ـ وتتمنى أن تلقى هذه الدعوة القبول في العالم أجمع .

والاجهاض غير مقننة في جنوب أفريقيا وتطالب النساء في جنوب أفريقيا تقنينه. [٢٤]

مائتا ألف محاولة كل عام ، عمليات الإجهاض في الشوارع الخلفية والتي تشكل خطورة على حياة نساء جنوب أفريقيا.

وذكر تقرير لمعهد أمريكي متخصص " المعهد الدولي للعمل من أجل الشباب" تسجل في صفوف المراهقات سنويا ١٥ مليون حالة حمل وتشكل عمليات إجهاض النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و ١٩ سنة نسبة ١٠ بالمائة من مجمل عمليات الإجهاض في العالم.

وقد جاء في جريدة القبس الكويتية أن : " عددا كبيرا من الفتيات الأميركيات اللاتينيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و ١٩ عاما يمارسن نشاطا جنسيا ، أما في الولايات المتحدة

---

٢٣ ـ التكوير : ٨.

٢٤ ـ السياسة ـ الكويت ١٠/٩/١٩٩٤

فإن ربع الشباب في الخامسة عشرة من العمر يمارسون نشاطا جنسيا وتصل نسبة ممارسة الجنس بين الشباب البالغين أقل من ١٧ عاما في آسيا نحو ٧٠ بالمائة. [٢٥]

هذا في حين أن الغرب تتهاون بأبناء الأمم النامية ، مستدلا بذلك الظروف الاقتصادية والصحية . وتعتبر الإجهاض إحدى وسائل تنظيم النسل عند الغرب ، وهي تحاول ترويجها لدى الشعوب الشرقية:

يقول وارن هارن أستاذ أمراض التناسلي :

" إن هناك ٢٥ مليون حالة إجهاض في العالم سنويا يموت بسببها عشرات الآلاف من النساء والأطفال بسبب عشوائية إجرائها بعيدا عن الإجراءات الطبية الآمنة"... " وأن هناك آلاف القضايا أمام المحاكم بسبب ذلك .. وأضاف أن البلاد التي أباحت الإجهاض انخفضت فيها نسبة هذه المشاكل بعد أن أصبحت عمليات الإجهاض تجري بطريقة طبية صحيحة وآمنة وبحماية القانون كما أن البلاد التي أباحت الإجهاض انخفضت فيها المشاكل السكانية خاصة الانفجار السكاني ، وهذا خفف كثيرا من الأعباء الاقتصادية مشيرا إلى أنه قبل أن يولد الطفل فلا بد أن نضمن له وضعا صحيا سليما وظروفا اقتصادية أفضل فإن لم توجد فإن إجهاضه يكون أفضل !! ... ولفت الانتباه أكثر من مرة إلى أن الدول الفقيرة والمجتمعات المتخلفة تحدث فيها أكبر نسبة من حالات الإجهاض غير الآمنة (العشوائية) وضرب على ذلك مثلا بالزنوج في أمريكا. [٢٦]

٤ - دعوة إلى الإجهاض في البلاد الإسلامية:

وقد حاول الغرب ترويج فكرة الإجهاض . وآخر محاولته كانت عبر مؤتمر بكين.

---

٢٥ - القبس / الكويت ١٩٩٤/٩/١٠

٢٦ - من بحث ألقاه وارن هارن (Warren M.Hern) أستاذ الأمراض التناسلية بالولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر السكان بالقاهرة في سبتمبر ١٩٩٤. ولما سأله الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح أمين عام اتحاد المنظمات الطبية بالدول الإسلامية قائلا : إن الإجهاض هو عملية قتل لنفس إنسانية ... فلماذا يروج له ... وواصل تساؤله: هل ترضى لي أن أقتلك ؟ وأصر منه على الإجابة ؟ فرد الأستاذ الأمريكي بصوت منخفض وسط تصفيق الحاضرين : لا ! فقال له د. أبو الفتوح: لماذا إذا تروج القتل؟

ورأينا إلحاح الوثيقتين - وثيقة مؤتمر السكان المنعقد بالقاهرة في سبتمبر ١٩٩٤ ووثيقة مؤتمر المرأة ببكين المنعقد في سبتمبر ١٩٩٥م - على فكرة الإجهاض ، ففي الفصل السابع والثامن والثاني عشر روجت وثيقة السكان للإجهاض كوسيلة طبيعية لتنظيم الخصوبة وتحقيق حرية المرأة في إنهاء حملها والتخلي عنه . وتسير وثيقة بكين خطوة أوسع بمطالبتها مراجعة القوانين التي تتضمن عقوبات تأديبية ضد المرأة التي تجهض نفسها بشكل قانوني. [٢٧]

٥ - فشل الخطة :

وحيث إن محاولة إباحة الإجهاض على طراز أمريكي باءت بالفشل ، وأثار ردود أفعال حادة مما جعلهم يتراجعون موقفهم، حاول الأمريكيون إدراك ما فاتهم ورفعوا نفس القضية في مؤتمر بكين.ففي محاولة لامتصاص ردود الفعل المعارضة للإجهاض ، خاصة وأنها لم تصدر عن الوفود الإسلامية وحدها وإنما شاركها فيها الفاتيكان وبعض الجمعيات النسائية الغربية المعتدلة ، طالبت وثيقة بكين بتخفيف العقوبة القانونية على المرأة التي تلجأ للإجهاض ، ومساعدتها إن لجأت للإجهاض غير الآمن ، مع حذف النص الخاص باعتبار الإجهاض أحد وسائل تنظيم الأسرة ، وتأكيد حقوق المرأة الجنسية والانجابية بدعوى تعرض النساء أكثر من الرجال لمخاطر الأمراض الجنسية ، ولذلك لابد أن يشترك طرفا العملية الجنسية في تحمل مسؤولية هذه الممارسة.

---

٢٧ - والدعوى لإباحية الإجهاض قد تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية وتؤيدها في ذلك النرويج ونائب الرئيس الأمريكي في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، كما كان ذلك أكثر وضوحا في الجلس التي تم تخصيصها لمنظمة الصحة العامة الأمريكية) منظمة أهلية (عن دور الإجهاض من صحة المرأة والنمو السكاني من المنظور الدولي حيث ألقى الدكتور والاين هارن أستاذ الأمراض التناسلية بالولايات المتحدة ورقة في هذا الجانب.
دعا الأستاذ وارين هرن (Warren M.Horn) أستاذ الأمراض التناسلية بالولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر السكان بالقاهرة في سبتمبر ١٩٩٤م دعوة صريحة لإباحة الإجهاض ، انتقد أغلب الحضور دعوته وتصدروا لها بقوة بما أحرج الأستاذ الأمريكي و وضعه في موقف صعب جدا مما جعله يتراجع ويؤكد للحضور أن ما طرحه هو وجهة نظر أمريكية بحتة ، وأن ما عرضه هو ما يحدث في المجتمع الأمريكي وإن كان قد نسي أن يشير على ذلك في ورقته.

٦ ـ أضرار الإجهاض :

ذلك في حين أن الإجهاض بجانب أنه قتل عمد ، له أضرار جسيمة على المرأة .

تقول طبيبة هولندية في مؤتمر القاهرة: " لا توجد طريقة آمنة للإجهاض وأتحدى من يقول بغير ذلك ". [٢٨]

كما أن منظمة الصحة العالمية تعارض الإجهاض . فقد أكد " هيروشي ناكاجيما مدير عام منظمة الصحة العالمية أنه لا يمكن اعتبار الإجهاض في أي حال من الأحوال ، وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة وقال أن المنظمة تدعم جهود أعضائها الهادفة إلى تفادي " الحمل غير المرغوب فيه والحد من عمليات الإجهاض عبر تأمين خدمات تنظيم الأسرة الآمنة والمطابقة للثقافات المعنية ". و دعا "هيروشي" إلى مناقشة الإجهاض كبند من بنود الصحة التناسلية ، وليس كبند في موضوع تنظيم الأسرة. [٢٩]

وقالت مندوبة أستراليا أن رومانيا منعت الإجهاض لأنها اكتشفت أنه وسيلة للقتل.

٧ ـ موقف الفقه الإسلامي من الإجهاض :

أما الإسلام فقد اهتم بهذا الأمر ، ويكون فقه الإجهاض أشمل فقه بهذا الصدد. والذي لم تتوصل دول أوربا الغربية إلى إقرار قانون له إلا قبل أشهر ـ من هذا التاريخ ـ يتشابه إلى درجة غريبة مع فقه الإجهاض في الإسلام في شروطه وأبعاده، لكنه عجز عجزا واضحا عن السمو إلى الكمال والدقة والشمولية المدهشة التي صاغ بها فقهاء المسلمين مثل هذه القضية الخطيرة.

٨ ـ حكم الاجهاض:

اتفق العلماء على تحريم الإجهاض دون عذر بعد الشهر الرابع من بدء الحمل أي بعد نفخ الروح فيه، بأنه لا يحل لمسلم أن يفعله لأنه جناية على حي متكامل الخلق ظاهر الحياة. يجمع الأطباء على أن حياة الأم أثناء الحمل في خطر مفضي إلى الموت ، ففي هذه الحالة يجوز الإجهاض حفاظا على حياة الأم نظرا لأن درء المفاسد مقدم على جب المصالح.

أما قبله ، فقد اختلفت كلمة الفقهاء في جواز الإجهاض أو عدمه.

---

٢٨ ـ من الأهرام ـ القاهرة ـ ١٩٩٤/٩/٧.

٢٩ ـ الوفد ـ القاهرة ١٩٩٤/٩/٧ ص ٣.

٩ ـ الإجهاض وأد خفي:

وقد تكثفت النشاطات من أجل نشر هذا العمل الفضيح الذي اعتبره العلماء في الإسلام الو أد الخفي.

فمن المعلوم الآن أنه يمكن معرفة جنس شخص من فحص بعض خلاياه ... وأن الجنين في بطن أمه لا يشذ عن ذلك إلا إذا تمكنا من الحصول على شيئ من خلاياه وهو في مستقره ومستكنه ... وقد أمكن ذلك بغرض إبرة خلال البطن إلى داخل الرحم وسفط بعض من السائل الذي يسبح فيه الجنين، فإن هذا السائل يحتوي على خلايا نفضها الجنين عن سطح جلده. و بزرع هذه الخلايا في وسط غذائي معين تنمو الخلايا ويسبح ميسورا عدا ما تحتوي من أجسام صبغية والتعرف عليها وتحديد ما إذا كانت خلايا ذكرا أم أنثى. هذا عن مجرد المعرفة وتكون عادة في أواخر الشهر الرابع من الحمل...

فالظاهر أن مسألة تفضل جنس على جنس من المواليد ما زالت تجد لها مجالا ... وما تكاد الأم تعرف جنس جنينها حتى تجد في إمكانها آن تحل مشكلتها فتعزم على أمر ثم تنفذه. فإن المجتمع الذي تهيأت فيه تلك المعرفة أيضا تهيأ فيه أيضا حق المرأة) الأمريكية (في أن تجهض جنينا لاترغب في حمله... فتذهب للطبيب ويتم إجهاض الجنين الأنثى .

نفس التصرف الذي عرفته جاهلية العرب وإن تدخل علم القرن العشرين فهيأ المعرفة الباكرة وهيأ الإجهاض الطبي ... وقد شفي الإسلام العرب في السابق ولانعم ما يشفي أمريكا في اللاحق. [٣٠]

١٠ ـ مذاهب الفقهاء حول الإجهاض:

الحنفية:

يباح الإسقاط بعد الحمل ، مالم يتخلق منه شيء. [٣١]

المالكية :

---

٣٠ ـ مقال للدكتور حسان حتحوت ، بعنوان " وإذا الموءودة سئلت " في مجلة " الوعي الإسلامي " العدد ٢٣٤، جمادي الآخر ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

٣١ ـ فتح القدير ٢/ ٤٩١ ، حاشية ابن عابدين : ١/ ٢٧٨ ، ٥٢٢/٢ ، الفتاوى الهندية ٣٦٥/٥ ـ ٣٦٧.

قالوا : يحرم مطلقا الإجهاض ، إخراج المني المتكون في الرحم ولو قبل أربعين يوما. وبه قال الغزالي والظاهرية. [٣٢]

والشافعية:

يباح الإجهاض إذا تم في فترة الأربعين يوما من بدء الحمل ، مع ذلك يكره ، وشريطة رضا الزوجين، وألا يترتب على ذلك ضرر بالحامل. [٣٣]

أما الحنابلة :

يجوز الإسقاط عندهم في فترة الأربعة الأشهر الأولى من بدء الحمل قبل نفخ الروح. وأما بعد هذه الفترة فحرام قطعا ـ كما به يقول الفقهاء جميعا. [٣٤]

حكم إسقاط الجنين بعد أربعة أشهر:

إذا أجهضت بعد هذه الفترة ـ بعد تكميل خلقته ـ فيعد ذلك جريمة ، موجبا للغرة [٣٥] لأنه إزهاق نفس وقتل إنسان.

وتكون ديته ٥ ٪ من الدية الكاملة. قيمتها خمس من الإبل ، أي نصف عشر الدية ، أوما يعادلها. والدليل على ذلك أحاديث صحيحة متعددة، منها :

ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال:" اقتتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى أن دية جنينها غرة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها ". [٣٦]

---

٣٢ ـ الشرح الكبير مع الدسوقي ٢٦٦/٢ وما بعدها ، القوانين الفقهية ص ٢١٣. المحلي ٣٨/١١.

٣٣ ـ بجيرمي الخطيب ٤٠/٤ ، حاشية الشبراملي على نهاية المحتاج ٢٠٥/٦ ، تحفة المحتاج لابن حجر ٢٤١/٨ ، نهاية المحتاج ٢٣٩/٨ وما بعدها ، وشرح مسلم ١٩٠/١٦.

٣٤ ـ الفروع لشمس الدين المقدسي : ٢٨١/١ ، الإنصاف لعلاء الدين المرداوي ٣٨٦/١ ، منتهى الإرادات لابن النجار ٢٨٦/١ ، المغني ٨١٦.

٣٥ ـ الغرة : البياض في وجه الفرس ، وسمي العبد أو الأمة غرة ، لأنهما من أنفس الأموال .

٣٦ ـ متفق عليه ، نيل الأوطار ٦٩/٧.

ويرى الإمام شلتوت : وجبت في أسقاطه "الدية " إن نزل حيا ، وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتا.

ويتضح كثير من هذه الاختلافات في ضوء كشفيات طبية جديدة في الوهلة الأولى من حياة الجنين . فقد اختلف الأطباء المسلمون والفقهاء في مناقشتهم لموضوع بداية الحياة إلى ثلاثة فرق: [٣٧]

١-): فريق يرى أن الحياة من لحظة الإخصاب. وقد عرض الدكتور حسان حتحوت فيلما في مؤتمر "الإنجاب في ضوء الإسلام " يبين فيه حركة الجنين منذ البدايات الأولى للحمل، وقبل أن تشعر الأم بذلك ، مما يدل على أن الجنين كان حيا منذ لحظة الإخصاب.

٢-) : وفريق يذهب إلى الأخذ بالرأى الشرعي القائل إن الحياة تبدأ بعد نفخ الروح.

٣-) : وأما الفريق الثالث فهو يقول بأن الحياة تبدأ من لحظة " العلوق".

الراجح:

يمكننا القول بكراهية تحريمية إسقاط الجنين من غير ضرورة قبل نفخ الروح فيه ، و أما بعد نفخ الروح فحرام، حسبما رأه المذهب المالكية والغزالي. ولا سيما يدعم هذا الرأي كلام الدكتور حسان حتحوت أن الحياة تبدأ من لحظة الإخصاب . ومن باب الاحتياط المطلوب شرعا . وأما إذا كان للضرورة ، فـ "الضرورات تبيح المحذورات" و " الضرورات تقدر بقدرها"، فلا خلاف فيه. [٣٨]

١١ - الضرورات المبيحة للإجهاض:

١- وجود بعض الأمراض التي تهدد حياة المرأة أو الجنين.

٢- وجود عذر ، كانقطاع اللبن مع عدم استطاعة استئجار مرضع للطفل الرضيع.

حالات يجوز فيها الإجهاض بعد نفخ الروح:

---

٣٧ - الهندسة الوراثية والأخلاق تأليف : ناهدة البقصمي ـ طبع عالم المعرفة للكتب الكويت ص ١٤٧ يونيو ١٩٩٣. وأيضا : فتاوى للشيخ محمود شلتوت ، طبع دارالشروق ، ص ٣٢٢.

٣٨ - تحفة المحتاج لابن حجر ٢٤١/٨.

وإذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه بعد تحقق حياته هكذا ، يؤدي لا محالة إلى موت الأم ، فإن الشريعة ، بقواعدها العامة ، تبيح ارتكاب أخف الضررين ، فإن كان في بقائه موت الأم ، وكان لا منقذ لها سوى اسقاطه في تلك الحالة متعينا ، ولا يضحي بها في سبيل إنقاذه لأنها أصله ، وقد استقرت حياتها ولها حظ مستقل في الحياة ، ولها حقوق وعليها واجبات، وهي بعد هذا وذلك عماد الأسرة ، وليس من المعقول أن نضحي بها في سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته ، ولم يحصل على شيء من الحقوق والواجبات. [٣٩]

على من تجب الغرة:

الحنفية:

قالت الحنفية على أن العاقلة تضمن الغرة إذا أسقطت الأم عمدا جنينها ميتا بدواء أو فعل ، كأن ضربت هي بطنها ، بلا إذن زوجها . فإن أذن أو لم يتعمد لا غرة ، لعدم التعدي. [٤٠]

المالكية:

وجبت الدية مغلظة ، أي حالة معجلة في مال الجاني المتعمد. وتكون من النقدين : الذهب والفضة ، ولا تكون من الإبل ، ومن مال الجاني. [٤١]

هل تجب الكفارة؟

في حالة العمد : تجب الدية بالاتفاق ، وتجب الكفارة عند الشافعية والحنابلة. [٤٢] واستدلوا بقوله تعالى :﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [٤٣]

وتستحب الكفارة عند المالكية في قتل الجنين .

الراجح :

---

٣٩ ـ فتاوى للشيخ محمود شلتوت ، طبع دارالشروق ، ص ٣٢٢ .

٤٠ ـ الدر المختار ومناقشة رد المختار ، ٤١٨/٥ وما بعدها ، تبيين الحقائق ١٤٢/٦.

٤١ ـ الدر المختار و رد المحتار ، تبيين الحقائق..

٤٢ ـ المغني : ٨١٦/٧ ، الشرح الكبير : ٢٦٨/٤ ، كشاف القناع ٢١/٦.

٤٣ ـ سورة النساء: ٩٢.

وحيث أن ما نحن بصدده ، لا يتصور إلا عمدا ، فلذلك تجب الدية بالاتفاق ، وتجب الكفارة عند الشافعية والحنابلة . وذلك إذا حدث ذلك عن عمد.

حكم انفصال الجنين حيا ، ثم توفى بسبب التعدى عمدا :

وأما إذا انفصل الجنين حيا ثم مات بسبب عمدا ، فهل يجب القصاص من الضارب؟

الحنفية:

لايقتص من الضارب ، لأنه لايتصور أن تكون الجناية عمدا [٤٤] وإنما هي شبه عمد أو خطأ فتجب الدية كاملة. وبهذا قال الشافعية ـ في الأصح ـ والحنابلة. [٤٥]

المالكية:

الراجح هو وجوب القصاص إذا أدى الفعل في الغالب إلى الموت كالضرب على البطن أو الظهر. وتجب الدية لا الغرة ، لأن الجنين إذا استهل صار من جملة الأحياء. [٤٦]

المطلب التاسع

التعقيم:

العقم مصدر من : عقم يعقم (العقام):

والعقم لغة: هو العجز عن الإنجاب. [٤٧]

العقيم: الداء الذي لا يبرأ منه .[٤٨]

و في إصطلاح الطب:

---

٤٤ ـ قتل العمدعند الحنفية أن تكون الآلة قاطعة أو جارحة ، بحيث تبرز ذلك قصد الضارب.(أنظر: البدائع والصنائع ، ٣٢٦/٧ .

٤٥ ـ البدائع والصنائع ، ٣٢٦/٧ ، تبين الحقائق ١٤٠/٦ ، الدر المختار ٤١٧/٥ ، المغني ٨١١/٨ ، مغني المحتاج : ١٠٥/٤.

٤٦ ـ تحفة المحتاج لابن حجر ٢٤١/٨.

٤٧ ـ رحم معقومة : أي مسدودة لا تلد.

٤٨ ـ مختار الصحاح ص ٤٤٨.

العقيم من لايلد ولايولد له. وهذا يصيب الرجال والنساء على السواء. [٤٩]

وقد ورد لفظ العقم في القرآن الكريم:

قوله تعالى:﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وآناثا ويجعل من يشاء عقيما ، إنه عليم قدير ﴾ [٥٠]

أنواع العقم:

أولا - العقم عند المرأة:

ويعتبر الطب المرأة عقيما إذا كانت لاتستطيع الانجاب بسبب عدم وصول الحيوان المنوي إلى البويضة أو عدم اتصالها به أو عدم وصولها إلى التجويف الرحمي وانغراسها فيه.

ويقسم العقم في النساء إلى قسمين رئيسيين :

أولا : أن تكون الأعضاء التناسلية مركزا لمرض واضح مكتسب كالتعفن النفاسي بعد الولادة ، أو إصابة الأعضاء التناسلية بالسيلان أو الميكروبات القيحية ، أو الافرازات الحمضية المهبلية.

أو خلقي: أن تكون الأعضاء التناسلية فيها عيب خلقي كضيق المهبل مع ضمور الرحم أو انسداد المهبل أو ضيق العنق أو غياب الرحم أو انحراف حاد في وضع الرحم أو غياب البوقين أو شدة استطالتهما أو انسدادهما بورم ليفي أو تفلطحهما بكيس رباطي يعطل الحمل ، وضمور المبيضين أو غيابهما.

ثانيا : العقم الناشئ عن أسباب نفسية عقلية ناشئة عن تشنج العضلات المهبلية وغيرها عند التفكر بالجماع وهذا يعيق الجماع ، أو ناشئ عن تنافر تناسلي بين زوجين معينين ، فإذا افترقا وتزوجا كل بآخر حدث الحمل عند كل الطرفين . أو ناشئ عن الأمراض المضعفة أو المهلكة ، أو اختلال افراز الغدد التي لا قناة لها كالغدد الدرقية والنخامية ، أو من السمن المفرط ، أوكبر

---

٤٩ - راز جنسيت ص ١١، وأطفال الأنابيب ص ١٥.

٥٠ - الشورى: ٤٩.

السن كوصول المرأة إلى سن اليأس ، أو انـدلاق المني خـارج المهبـل ، وهـذا كلـه مـع سـلامة الأعضاء التناسلية في الظاهر.[٥١]

ثانيا - العقم عند الرجال:

ويعتبر الطب الرجل عقيما بثلاثة أسباب:

١- إذا خلا منيه من الحيوانات المخصبة.

٢- عدم وصول المني إلى العنق بسبب انفتاح القناة البولية أو وجود ناسور بولي أو ضيق مجرى أو غير ذلك.

٣- عدم مقدرة الزوج على الجماع كأن يكون عنينا .[٥٢]

حكم التعقيم:

يحرم بإتفاق الفقهاء استعمال ما يقطع الحبل من أصله ، لأنه كالوأد، فمكروه عند الشافعية .[٥٣] ويجوز تعقيمها لضرورة ملجئـة ، كانتقـال مرض خطيرة بالوراثـة إلـى الأولاد والأحفـاظ. عمـلا بالقواعد الشرعية : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وارتكاب أخف الضررين.

---

٥١ - أطفال الأنابيب ص ١٦ ومابعدها.

٥٢ - أحكام الجنين لمذكور - وسائل منع الحمل الحديثة ، للدكتور سيرو فاخوري ص ٢٠٥

٥٣ - تكلمنا في الموضوع في مبحث " العقم"، فليراجع.

الفصل الرابع

في

الأحكام

وفيه تمهيد و تسعة مطالب:

تمهيد: مفهوم الحكم

المطلب الأول: انواع الحكم الشرعي

المطلب الثاني: أقسام الحكم الشرعي الوضعي

المطلب الثالث: أركان الحكم الشرعي

المطلب الرابع: الأحكام والمصالح

المطلب الخامس: هل يجوز تنظيم النسل للفقر؟

المطلب السادس: اختلاف الأحكام باختلاف الوسائل:

المطلب السابع: تنظيم النسل بين المصلحة والمفسدة وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: مفهوم المصلحة

الفرع الثاني: معرفة المصالح والمفاسد

الفرع الثالث: بين المصلحة والمفسدة

المطلب الثامن: ثم هل الكثرة مصلحة أم مفسدة؟

المطلب التاسع: هل كثرة النفوس هي مشكلة بذاتها ؟

من واقع التاريخ:

المطلب العاشر: الترجيح بين المصالح

المطلب الحادي عشر : ما هو الأصل

المطلب الثاني عشر : المقازنة بين المصالح والمفاسد عند التعارض

تمهيد:

مفهوم الحكم:

عرف الأصوليون الحكم : بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع ".[١]

والخطاب في الأصل : هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل إلى الكلام المخاطب به ، وخطاب الله كلامه النفسي الأزلي المسمى في الأزل خطابا حقيقة .

المطلب الأول

أنواع الحكم الشرعي:

الحكم الشرعي نوعان : تكليفي ووضعي .

١ ـ التكليفي: وهو ما يقتضي طلب الفعل أو الترك أو التخيير بينهما.

والتكليفي ينقسم إلى خمسة أقسام :

الإيجاب والندب ، والتحريم والكراهة والإباحة ، وذلك لأن طلب الفعل إن كان جازما فهو الإيجاب ، وإن كان غير جازم فهو الندب ، وإن طلب الترك إن كان جازما فهو التحريم ، وإن كان غير جازم فهو الكراهة ، وإن خير المكلف بين الفعل والترك فهذه هي الإباحة وبذلك صارت الأقسام خمسة .[٢]

٢ ـ وضعي : وهو ما يقتضي جعل شيء سببا لآخر أو شرطا له أو مانعا منه.

---

١ ـ جمع الجوامع بشراحه وحواشيه ٦٥/١ وما بعدها ، وتنقيح الفصول للقرافي ٣١ ، وشرح نهاية السول في علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ للإمام جمال الدين عبدالرحيم الأسنوى المتوفى ٧٧٢، ص ٢٢/١ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٢ ـ أنظر تنقيح الفصول للقرافي ٣٣ وأصول الفقه لمحمد الخضري ٥٩.

المطلب الثاني

أقسام الحكم الشرعي الوضعي:

خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين قد يكون طلبا أو تخييرا وهو خطاب التكليف الذي تقدم.

وقد يكون جعلا للشيء سببا أو شرطا أو مانعا وهو خطاب الوضع وقد أدخل بعض العلماء في خطاب الوضع : الخطاب المتعلق بكون الشيء صحيحا أو فاسدا عزيمة أو رخصة.

المطلب الثالث

أركان الحكم الشرعي:

يقتضي الحكم محكوما به ، وهو الوصف الشرعي : من وجوب ، وحرمة وإباحة ..

ومحكوما عليه: وهو فعل المكلف أو ما يتعلق به ، وهذان هما ركنا للحكم الشرعي.

غير أن الحكم الشرعي يوجهه الشارع إلى المكلفين ، ليصلحوا بالقيام به وبناء أعمالهم عليه ـ أمر دنياهم وأخراهم ، فمن هو الشارع ؟ ومن هو المكلف ؟ هذان موضوعان يتصلان بالركنين اتصالا وثيقا ، ولهذا كان موضوع الحديث عند الكلام عن الحكم الشرعي أربعة أمور:

١ ـ الحاكم ، وهو المشرع الذي تصدر منه الأحكام

٢ ـ المحكوم به : وهو تلك الأوصاف الشرعية.

٣ ـ المحكوم عليه : وهو أفعال المكلف أوما يتصل بها.

٤ ـ المكلف : وهو من توجه إليه هذه الأحكام ، ويطالب بتنفيذها.

ويجدر بالذكر أنه لاتكليف شرعا إلا بما يطاق. وأن الشارع لم يقصد المشقة لذاتها في التكليف. ويدل على هذا المدعى آيات من القرآن :﴿ لايكف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [٣] و قوله

---

٣ ـ البقرة ٢٨٦.

تعالى:﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [٤] و قوله تعالى:﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [٥] وبدليل مشروعية الرخص كرخص الفطر والجمع وتناول المحرمات في اضطرار دفعا للضرر. ولايقصد بالمشقة المشقة التي تنتج من اتباع الهوى، فذلك مذموم، لقوله تعالى:﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ﴾ [٦]، وقوله تعالى:﴿إن يتبعون إلا الظن ، وما تهوي الأنفس ﴾ [٧]، و قوله تعالى:﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ [٨] وما يشبه ذلك . ومن المعلوم أن الشارع قد قصد بوضع الشريعة إخراج المكلف من اتباع هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبده اضطرارا.

المطلب الرابع

الأحكام والمصالح:

قد ذهب فريق من الأصوليين أن أحكام الله وضعت لمصالح العباد في العاجل أو الآجل معللة برعاية المصالح. وبهذا المذهب يرى الإمام الشاطبي. [٩]

فما من حكم شرعي إلا وهو يحقق مصلحة أساسها المحافظة على النفس أو العقل أو الدين أو النسل أو المال . وأن هذا يبدو من الشريعة في جملة مقاصدها ، ولايمكن أن يكون حكم شرعي إلا وهو متجه إلى ناحية من هذه النواحي. [١٠]

---

٤ ـ البقرة ١٨٥

٥ ـ الحج ٧٨.

٦ ـ الجاثية ٢٣

٧ ـ النجم ٢٣.

٨ ـ محمد ١٤.

٩ ـ الموافقات ٣/٥ (الموافقات في أصول الشريعة لأبي اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المتوفى سنة ٧٩٠ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان.

١٠ ـ الموافقات ٨/٢.

بعد هذا نأتي لنستعرض متى يجوز تنظيم النسل ومتى لايجوز:

المطلب الخامس

١- هل يجوز تنظيم النسل للفقر؟

لا يجوز البتة ، والدليل قوله تعالى:﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ﴾ [١١]

والولد رزق من الله كما في هذه الآية. [١٢] والولد سبب الرزق كما في الآية الثانية: ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ [١٣] ويقول الله عز و جل في آية أخرى : ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾. [١٤]

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إن المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقا ولدها بثديها ملطخا بدمائه فيقول :يا ربي هذه أمي وهذه قتلتني " [١٥] و التنظيم خشية الفقر دخل في هذا الإطار.

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم :" لا تقتلوا أولادكم سرا ، فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه ". [١٦]

كما أن تنظيم النسل يخالف نص الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يقول: "تناكحوا ، تناسلوا ، فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة " [١٧]

وأيضا يقول :"سوداء ولود خير من حسناء عقيم " [١٨]

ويقول : " وفي بضع أحدكم صدقة ..." [١٩]

---

١١ ـ الأنعام :١٤٠

١٢ ـ قصة البنت التي قتلها أبوها ، انظر : أحكام القرآن للقرطبي ٩٧/٧ ، وأيضا : الفخر الرازي ٢٠٩/١٣.

١٣ ـ الأسراء : ٣١.

١٤ ـ التكوير : ٨ـ ٩. أنظر أيضا :أحكام القرطبي ٢٢٣/١٩.

١٥ ـ الترمذي ٤٦١/٤.

١٦ ـ سنن أبي داود ١٠/٤.) زاد المعاد : ٤/ ٢٣ ، حجة الله البالغة ٥/١ ، الشوكاني ٢٢٣/٦.

١٧ ـ سبق تخريجه.

١٨ ـ سبق تخريجه

١٩ ـ مسلم ٤٣/٣-٤٤ باب الزكاة.

المطلب السادس

اختلاف الأحكام بإختلاف الوسائل:

وهنا يجدر بالذكر أن العزل ، أو ما في معناه لنفس الغرض والغاية ، هل يجوز ممارسته شرعا ؟ فمن يرى جواز العزل ، يراه من حيث الغاية من وراء استعماله ، لا الوسيلة فحسب . فالوسائل مادامت على نفس الطرار من كونها غير ضارة جسميا ، يكون حكم استعمالها نفس الحكم من الجواز أو عدم الجواز . فيقاس الفرع على الأصل في الحكم. ومن يرى عدم الجواز ، فالوسائل مهما كانت تكون استخدما مرا محرما شرعا .

فالإمام الغزالي يرى جواز العزل ، بسبب كثرة الحرج الناتج من كثرة الأولاد ـ لفترة محدودة . ويمكننا قياس استعمال الدواء والحبوبات على ذلك ، و ذلك شريطة أن لا يترتب على استعمالها أية أضرار جانبية ـ كما سنعرف أن إستعمالها سيسبب أمراضا. [٢٠]

قال الزركشي: يجوز استعمال الدواء لمنع الحمل في وقت دون وقت كالعزل ، ولا يجوز التداوي لمنع الحبل بالكلية. [٢١]

أما الشافعية والحنابلة : فقالوا بكراهية العزل واستدلوا بحديث مسلم روته عائشة رضى الله عنها بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سماه بـ " الوأد الخفي ". ومن ثم يقاس الأدوات الأخرى من باب أولى عليه ـ بعدم الجواز. [٢٢]

" وأما النساء اللواتي يتعاطين أدوات منع الحمل من أجل رشاقة الجسم ودقة الخصر ، وحسن القوام ، أو ليبقين زبائن مرغوبات في صالات الرقص ، وأماكن اللهو والاغراء ، فهو محرم في شريعة الإسلام جملة وتفصيلا ، ولا ترضى به الأخلاق الكريمة ولا الديانات الحنفية السمحاء". [٢٣]

---

٢٠ ـ أنظر مبحث وسائل تنظيم النسل من هذه الرسالة.

٢١ ـ

٢٢ ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ج٦/ص ٢٠٠.

المطلب السابع

تنظيم النسل بين المصلحة والمفسدة:

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول ـ مفهوم المصلحة: [٢٤]

المصلحة ضد المفسدة.

وفي اصطلاح الاصوليين: [٢٥]

يشرح الإمام الغزالي المصلحة بقوله :" وأما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة. ولسنا نعني ذلك ، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق ، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم ، للبقاء ، نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ دينهم ، ونفسهم ، وعقلهم ، ونسلهم ، ومالهم . فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ، ودفعة مصلحة ، وإذا أطلقنا المعنى المخيل أو المناسب في باب القياس أردنا به هذا الجنس ". [٢٦]

الفرع الثاني ـ معرفة المصالح والمفاسد:

يقول الإمام عزالدين بن عبدالسلام:

---

٢٣ ـ الطفل المثالي في الإسلام ، عبدالغني الخطيب ص ٥٠.

٢٤ ـ قاموس المحيط ١/ص٢٧٧

مختار الصحاح ٧٥ ، المصباح المنير ١٥٧/١.

٢٥ ـ الغزالي ـ المستصفى ٣٨٦/١ ، والموافقات ١٧٩/١.

٢٦ ـ المستصفى ٢٨٦/١.

" ومعظم مصالح الدنيا ومفاسدها معروف بالعقل ، وذلك معظم الشرائع ، إذ لايخفى على عاقل قبل ورود الشرع أن تحصيل المصالح المحضة ، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن ، وإن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن ، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن ، وأن تقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمود حسن ، وأن درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن.

ويجدر الذكر أن المصالح هي التي يراها الشرع مصلحة ، وكذلك المفاسد. وفي هذا يقول الإمام الغزالي:

المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى ، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية ، أو درء مفاسدها العادية ... فالشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم ، حتى يكونوا عبادا لله. وهذا المعنى إذا ثبت لايجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس ، وطلب منافعها العاجلة كيف كانت ، وقد قال ربنا سبحانه :﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ الآية. فالمصالح ظاهرا لاتكون عادة على حسب المنافع العاجلة ، بل وتحمل في طياته شيئا من الأضرار . يقول الإمام الغزالي:

"... فـ"المنافع الحاصلة للمكلف مشوبة بالمضار عادة ، كما أن المضار محفوفة ببعض المنافع ... " وذلك مثل الجهاد وقتل المرتد ... فإنهما يؤديا إلى إماتة النفس. [٢٧]

وتكون المصالح على خمسة أقسام: [٢٨]

---

٢٧ - الموافقات ص ١٧٩ وما بعدها.

٢٨ - المحافظة على الدين:

الدين لغة: الملك ، والقهر ، والسلطان ، والعز ، والذل ، والعبادة ، والطاعة وغير ذلك. (أنظر: القاموس المحيط ٢٢٥/٤ ، المصباح المنير ٣١٥) وعند علماء الشريعة: "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الصلاح في الحال ، والفلاح في المآل "

ويكون المحافظة على الدين من جانب الوجود :

١ - الإيمان بالله وباليوم الآخر. ٢ - والعبادات الإلزامية ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج .

ويكون المحافظة على الدين من جانب العدم: ١ - بالجهاد ٢ - قتل المرتدين. ٣ ـ محاربة الابتداع في الدين ، ومعاقبة المبتدعين والسحرة. ٤ - تحريم المعاصي ، ومعاقبة من يقترفونها بالحد أو بالتعزير.

المحافظة على النفس:

من طريق الوجود: يتضمن وضع الضمانات لوجود الإنسان ، واستمراره ، وبيان المصالح والمضار له في تحصيل مطالبه وبيان حالات الضيق والسعة ، والانتقال من العسر إلى اليسر بمقتضى ما وضع له من مبادئ وقواعد في الشريعة الإسلامية.

من جانب العدم : ويكون المحافظة على مصلحة النفس : تحريم الاعتداء على الأنفس ، والأطراف ، ومشروعية القصاص في الأنفس والأطراف ، أحكام القتل الخطأ وعلاقتها بالمحافظة على الأنفس.

٢- المحافظة على النفس:

المحافظة على النفس أصل شرعي كلي ، وعام مأخوذ بطريق الإستقراء من النصوص إستقراء يفيد القطع . والأدلة على ذلك تفوق الحصر فمن ذلك : ١- إن النفس نهي عن قتلها ، وجعل قتلها موجبا للقصاص. ومن كبار الذنوب المقرونة بالشرك ، وواجب على الخائف من الموت سد رمقه بكل حلال وحرام من الميتة والدم ولحم الخنزير وما إلى ذلك. وأبعد من ذلك أنه يجوز قتل الجماعة بالواحد. والدليل على ذلك القصة المشهورة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه وقوله المشهور :"لو تحالفوا عليه أهل صنعاء لقتلتهم به".

وقد ذهب مذهب الشافعي والمالكي إلى قتل الجماعية بالواحد للمصلحة . والشاطبي : إنه يجوز قتل الجماعة بالواحد، ولاسند فيه إلا المصلحة المرسلة.

ويكون المحافظة على النفس من جانبين : ١ - جانب الوجود. ٢ - جانب العدم

٣ - المحافظة على العقل:

يعرف الإمام الغزالي العقل بأنه : آلة الفهم ، وحامل الأمانة ومحل الخطاب والتكليف ، وملاك أمور الدين والدنيا ، وبأنه أشرف صفات الإنسان " (يراجع شفاء الغليل ١٠٣ ، وإحياء علوم الدين ١/١٣).

ويكون المحافظة عليه من جهة الوجود : بما يحافظ على النفس به من غذاء وكساء ، ومسكن من حيث أنه داخل في حقيقة النفس من جهة ، والعقل السليم في الجسم السليم. فالتعليم من وسائل المحافظة على العقل.

ويقول الإمام الغزالي إلى أن العلم أفضل الأمور ، وأن تعلمه طلبا للأفضل ، وأن تعليمه إفادة للأفضل ، ويوضح ذلك بأن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة ، وهي آلته الموصلة إلى الله لمن اتخذها آلة وممرا ، ولم يتخذها وطنا ومستقرا ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام . (أحياء علوم الدين ١/١٢).

ويكون المحافظة على العقل من جانب العدم: ١ - تحريم المسكرات ب - المعاقبة على تعاطيها.

٤ - المحافظة على النسل:

ويكون المحافظة على النسل من ناحية الوجود بالزواج والنكاح . وللزواج مقاصد أصلية ومقاصد فرعية.

فالمقصد الأصلي يتمثل في المحافظة على النسل وحفظه من الانقطاع ، وما عداه مما يقصده الإنسان من منافع الزواج يعتبر من المقاصد التبعية المكملة والمتممة للمقصود الأصلي.

جاء في إحياء العلوم الدين للإمام الغزالي: إن للزواج خمس فوائد: الولد ، وكسر الشهوة وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بشؤون الزوجات. وإن الولد هو الأصل المقصود وله وضع النكاح ، والمقصود بقاء النسل ، وأن لايخلو العالم عن جنس الإنس. وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحقة كالموكل بالفحل في إخراج البذر ، والأنثى في التمكن من الحرث تلطفا بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع ، كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى الشبكة. (احياء علوم الدين ٢/٢٢).

والتوصل إلى الولد بالزواج يكون قربة من أربعة أوجه:

الأول: موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

الثاني: طلب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته حيث قال:"تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" رواه عبدالرزاق والبيهقي.

والثالث: طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده.

والرابع: طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله. (الاحياء ٢/٢٢).

فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلات المعدة ، وجان على مقصود الفطرة ، والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف ، وأصوات ، يقرءه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية. (الاحياء ٢/٢٢)

وقد جعل الله من مقاصد هذه الرابطة ، ومقوماتها السكن والمودة ، والرحمة بقوله:﴿ لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ سورة البقرة :١٨٧ . والمودة : الجماع ، والرحمة : الولد ، وقيل المودة : عطف قلوب بعضهم على بعض ، وقيل المودة : المحبة ، والرحمة : الشفقة ، وقيل المودة ، حب الرجل امرأته ، والرحمة : شفقته عليها من أن يصيبها سوء . (القرطبي ١٤/١٧).

٢ ـ المحافظة على النسل بدفع المفاسد:

كل شرع حكيم إذا فتح بابا لجلب مصلحة ، لا بد له من أن يسد بقية الأبواب التي تعارض هذا الباب ، حتى يتم جلب المصلحة المقصود بالتشريع . ولذلك حرم الزنى تحريما مؤبدا وشرع له أشد الزواجر بالرجم أو الجلد مائة جلدة. وثبت عقوبة الجلد بنص القرآن ، قوله تعالى:﴿ والزانية والزاني فاجلدوهما مائة جلدة﴾ النور :٢ . وأما الرجم فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم : " خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر : جلد مائة ونفي سنة ، والثيب : جلد مائة والرجم " رواه الجماعة ، نيل الأوطار ٧/٩٢ . كما روى عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى عليه وسلم رجم ماعز بن مالك ولم يذكر جلدا". رواه أحمد ، نيل الأوطار ٧/٩٢.

٥ ـ المحافظة على المال:

الفرع الثالث - بين المصلحة والمفسدة:

نقف هنا أمام شتى المصالح التي يؤكد الإسلام على لزوم وجودها . فحفظ النفس ، وحفظ العقل وحفظ الدين من الضروريات والأصول التي لايمكن التنازل عنها بحال. وقد يخاطر هذه المصالح في حالات ويتعارض. فمبدء حفظ النفس يخالف أي محاولة لتحديده والوقوف في طريق نشوه ونموه. وإماطة أي أذى يصيب العقل من الواجبات . والقصور من القيام بتربية العقل مذموم و معاقب عليه . وكذلك حفظ الدين مصلحة أساسية ـ كما مر ـ فإذا تعارضت هذه المصالح، فماذا يقدم ، أو كيف يوفق بينهما ؟

وأمهد الجواب بتوضيح موجز عن تعارض كيفية تعارض هذه المصالح.

فالتعارض يقع إذا تطلب مبدء حفظ النفس التناسل دون انقطاع ، الأمر الذي قد يؤدي إلى تعطيل أو تحديد مبدء حفظ العقل ، وذلك إذا شق الإهتمام بذلك الجانب لعجز أو مرض أو حرج دنيوي أو تكليف ما لايطاق وما إلى ذلك. أو يؤدي إلى إهمال حفظ الدين ، كأن يرغم الناس للحصول على ضروريات العيش للإرتداد عن الدين مضطرين - والعياذ بالله.

ويكون التوافق بين هذه المصالح بأن يلاحظ كل زوايا الأمر ، فيهتم بجانب حفظ النسل ، والعقل ، والدين ، والمال ، وذلك إذا كان مستطاعا ومطاقا.

أقول : إن تعطيل أي مبدء لايجوز البتة ، فلا يجوز تعطيل التناسل (حفظ النسل) ، أو التربية العقلية (حفظ العقل) والدينية . والتعارض الظاهري يرفع بالتوفيق بين هذه الأصول. فلا يطبق أصل ديني على حساب أصل آخر. وذلك ممكن إذا نظر إلى الشريعة ككل ، بل ولايجوز النظر إلى الشريعة كأجزاء وبذلك يشير الإمام الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين" كما مر.

وأما الحالات الإفتراضية للضرورة المبيحة للمحرمات دفعا للضرر ، مثل المخمصة التي تجيز أكل لحم الميتة والخنزير والسرقة قدر الحاجة لسد الجوع القاتل ، أوالرخص في الدين ،

والشريعة الإسلامية لها مقاصد في الأموال ، وهذه المقاصد كثيرة ، أهمها : التداول ، والوضوح ، والعدل فيها ، والمحافظة عليها من الاعتداء. يقول عزوجل :﴿ ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ الإسراء : ٢٦ - ٢٧ ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ الإسراء ٢٩. ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ الفرقان:٦٧.

ويكون في طرق المحافظة على الأموال بدفع المظالم.﴿ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ رواه مسلم في باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، واحتقاره ، ودمه ، وعرضه ، وماله.

والتيمم بالصعيد الطيب بديلا عن الوضوء ، والقصر في الصلاة في السفر ولرفع الحرج عنهم. فهذه الأمور خارج نطاق بحثنا . وإننا بصدد البحث عن الحالات غير الإضطرارية. فـ"الضرورات تبيح المحذورات" "والضرورات تقدر بقدرها"

غير أن هذه الحالات ليست عادية تماما. فالحالات السائدة والانحطاط الكائن ليست إلا عن إهمال جوانب التربية العقلية والدينية (حفظ العقل والدين) . فالإعتدال بين هذه الأمور أيضا من الدين ، فالشروط المطلوبة للأمة الوسطى المشار إليها في آية :﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وفي آية ﴿وجعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ مراعاة كل هذه الجوانب ، دون إهمال أي جانب ، الأمر الذي يجر مفسدة.

ونستنتج من كل ذلك : أن الإهتمام بجانب حفظ العقل والدين واجب على المسلمين. ولكي نصل خط الاعتدال: نقول للذين يهملون جانب حفظ النفس ـ القاتلون بتحديد النسل : أن حفظ النفس من الدين.

ونقول للذين أهملوا جانب التربية : أن حفظ الدين والعقل أيضا من الدين.

ونختار الحل الوسط : نقول بالجمع بين كل هذه المصالح. وذلك عند وقوع الحرج بين هذه المصالح.

المطلب الثامن

ثم هل الكثرة مصلحة أم مفسدة؟

مما لايختلف عليه إثنان أن الكثرة تعني القوة والشوكة ، وأن هناك نصوصا عديدة تحث على ذلك ، منها قوله صلى الله عليه وسلم:" تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم "[٢٩] ومن

---

٢٩ ـ رواه أبوداود والنسائي عن معقل بن يسار ، صحيح الجامع الصغير ٢٩٠٤.

واقع التاريخ أن أية حضارة لاتستطيع الصمود إلا بكثرة شعبها. وهذا يصدق فيما رأينا من تحريض القوات العظمى على كثرة شعوبهم .

فهذا يدل على أن الكثرة مصلحة وأن القلة ضعف وهوان ومفسدة.

إلا أننا إذا نظرنا إلى الكيفية وجدناها أردئ ما يمكن في هذه الأمة .

يقول الأستاذ يوسف القرضاوي في كتابه " في فقه الأوليات ":

ومن الأولويات المهمة شرعا تقديم الكيف والنوع على الكم والحجم ، فليست العبرة في العدد ، ولا بالضخامة في الحجم ، إنما المدار على النوعية والكيفية. لقد ذم القرآن الكريم الأكثرية إذا كان أصحابها ممن لايعقلون أولا يعلمون أولايؤمنون أو لايشكرون : كما نطقت بذلك آيات وفيرة من كتاب الله :﴿بل أكثرهم لايعقلون﴾ [٣٠] ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ [٣١] ﴿ ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ [٣٢] ...

في حين مدح القرآن القلة المؤمنة العاملة الشاكرة ، كما في قوله تعالى :﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ [٣٣] ﴿ وقليل من عبادي الشكور﴾ [٣٤] ﴿ واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض ﴾ [٣٥] .

ولهذا ليس المهم أن يكثر عدد الناس ، ولكن المهم أن يكثر عدد المؤمنين الصالحين منهم .

يذكر كثيرون الحديث النبوي :" تناكحوا تناسلوا .." ولكن الرسول الكريم لن يباهي الأمم بالجهلة ولا بالفسقة ولا بالظالمين ، إنما يباهي باطيين العاملين النافعين .

وقد قال عليه الصلاة والسلام :" الناس كإبل مائة لاتجد فيه راحلة " [٣٦] دلالة على ندرة النوع الجيد في الناس ، كندرة الراحلة الصالحة للسفر والركوب والحمل في الإبل ، حتى إن المائة لايكاد فيها واحدة من هذا النوع...

---

٣٠ ـ العنكبوت : ٦٣

٣١ ـ الأعراف ١٨٧

٣٢ ـ هود : ١٧

٣٣ ـ ص: ٢٤

٣٤ ـ سبأ ١٣

٣٥ ـ الأنفال : ٢٦

٣٦ ـ متفق عليه عن ابن عمر : انظر اللؤلؤ والمرجان ١٦٥١

إننا مولعون بالكم وبالكثرة في كل شيء ، وإبراز الأرقام بالألوف والملايين ، ولايعنينا كثيرا ما وراء هذه الكثرة ، ولا ماذات تحمل هذه الأرقام. [٣٧]

فلما عرفنا أهمية جانب الكيفية ، بجانب مراعاة الكمية والتوازن بينهما ، نقول بالتنظيم الطبيعي ، وذلك حاصل بالآتي:

١ ـ مراعاة حقوق الطفل في الرضاعة) وذلك بإتمام مدة سنتين ، المطلوب بالآية :﴿ وحمله وفصاله في ثلاثين شهر ..﴾

٢ـ مراعاة حقوق الزوجة ، وذلك بأن يكون هناك تراخي بين فترات الحمل.

٣ ـ مراعاة جانب تربية الأولاد .

٤ ـ مراعاة مصالح الأمة. وكما أن مصالح الأمة في كثرة تعداد الأمة ، فإن مصالحها في علو مستواها دينيا ،وفكريا ، وثقافيا ، وحضاريا .

٥ ـ لايجوز استعمال الموانع المصطنعة الضارة .

المطلب التاسع

ثم هل كثرة النفوس هي مشكلة بذاتها ؟

يجدر هنا ذكر نقطة هامة جدا ، وهي إن من دواعي البحث العلمي ، تناول الظاهرة من شتى زواياها وتحليلها من كل احتمالات من الممكن تكون منشأ للظاهرة . وإذا وضعنا قضية تنظيم النسل في ضوء هذه القاعدة العلمية ، وجدنا أنها لم تلق الاهتمام الذي يجب أن يتلقاه ، بل أن الظاهر أنها قد دورست من زاوية واحدة ، من ناحية السلبيات فقط . وإذا سلمنا ـ بصدق ـ أن كثرة السكان يعني بروز مشاكل أكثر ، وبادرنا بإيجاد حل لها ، فإنه يجب دراسة كل زوايا بغية العلاج . وفي هذا المجال نرى أيضا تقصيرا بالغا.

---

٣٧ ـ في فقه الأولويات ، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة ، للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ، ص ٤١ ـ ٤٢ ، طبع مكتبة وهبة .

تقول الدكتورة نوال عمر - مدرسة الأعلام بكلية آداب الزقازيق - إن معظم الباحثين للمشكلة الاقتصادية في العالم الإسلامي تناولوها من ناحية واحدة هي تحديد النسل ... وفي ضوء دراستي الميدانية ومشاهداتي على الطبيعة والنتائج التي توصلت إليها في زياراتي لكل من لبنان وأوروبا وكندا وأمريكا اللاتينية وغرب إفريقيا ، أرى الحفاظ على الثروة البشرية واستخدامها الاستخدام الأمثل عن طريق تدريبها وتعليمها واستخدامها في إصلاح واستزراع الأرض وذلك بإحداث ثورز زراعية لضمان الانتاج منصب على العنصر البشري على عكس الحال في اقتصادنا ، فإهتمامنا هو التكوين المادي فقط. [٣٨]

---

٣٨ - قضايا دولية ، العدد ٣٠٠ ، سبتمبر ١٩٩٥.

من واقع التاريخ:

وهناك شواهد تاريخية تثبت أن كثرة السكان لم تكن يوما ما مشكلة في حد ذاتها .

١ - في الولايات المتحدة الأمريكية:

إيزنهاور يرفض تحديد النسل عام ١٩٥٩ . قال إيزنهاور أنه لم يفكر في تحديد النسل ما دام في البيت الأبيض ... أي ما دام هو رئيسا للدولة. [٣٩]

ثم يؤيد نيكسون هذا الرأي عام ١٩٧٢ . قال نيكسون :

" إن الإجهاض لا يتفق مع الدين ، ولا مع تقاليد الحضارة الغربية " ... وطالب بإعادة النظر في قوانين إباحة الإجهاض التي أخذت بها بعض الولايات. [٤٠]

فالولايات المتحدة تصر إستمرار نوعها وزيادة سكانها .. بأية وسيلة كانت.

٢ - في روسيا :

جائزه فخر الأمومة في روسيا:

للمحاولة للتوازن بين سكانها ... وسكان أعدائها : الصين ، الهند [٤١] إنها تحاول تكثير تعدادها. فعندها مزيد من النسل ، مزيد من القوى البشرية : الأيدي العاملة ـ الإنتاج.

أصدر مجلس السوفييت الأعلى - سابقا - في موسكو قرارا بإهداء ميدالية فخر الأمومة ، إلى الأمهات المنجبات كثيرا من الأطفال ...

وقد حصلت على اللقب أم واحدة أنجبت ٨ أبناء في مدينة موسكو ، هي)روزابينا تاليانا (وهي من الأمهات العائلات .

وحصلت على الجائزة الثانية : ثلاث أمهات ، من اللاتي أنجبن سبعة أطفال ، وحصلت على الجائزة الثالث : سبع أمهات ، أنجبت كل منهن ستة أبناء. [٤٢]

---

٣٩ - الوعي الإسلامي ، العدد ٢٤٦ ، ١٤٠٥ هـ .

٤٠ - أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة - حسن محمد يوسف ص ٨١ دار الاعتصام

٤١ - إن العلاقة بين الروس والهند علاقة حسنة وعلى المصالح وليس هناك أية عداوة بينهما. وما ورد في المتن هو رأي المصنف.

٤٢ - أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة - حسن محمد يوسف ص ٨٠ - ٨١ .

٣ - جائزة الأب المثالي في أسبانيا :

منح هذه الجائزة فلاح أسباني :(خوزي ماريونو ليدو) البالغ من العمر مائة وسبع من السنوات ، وذلك لأنه أنجب واحدا وعشرين طفلا وطفلة. [٤٣]

٤ - في اليونان:

مع أن اليونان محدودة المساحة والموارد ، فإن حكومتها لاتجد في ذلك أي مبرر للأخذ بفكرة تنظيم النسل ... لهجرة أبنائها إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وأستراليا.

ولأجل ذلك قررت الحكومة اليونانية أخيرا ، صرف مكافاة شهرية ثابتة لكل أبوين عن الطفل الثالث ، أو عن طفل ينجباته بعد الطفل الثالث ، تبلغ حوالي عشرة جنيهات .

وهذه الأمثلة تبرز بكل صراحة أن الكثرة لم تكن بذاتها مشكلة ، فإذن ما هي الحقيقة ؟

فالحقيقة أن المشكلة تكمن في تخلفنا ، تخلف يحمل في طياته كل المعاني ...

المطلب العاشر:

الترجيح بين المصالح:

ثم تعارض ظاهري بين شتى المصالح. فقد عرفنا مدى أهمية الحفاظة على النفس ، وفي الوقت نفسه المحافظة على العقول ، وكذلك على المال . فكأن التوجه إلى ناحية الحفاظة على النفس قد تؤدي إلى ضياع الكيفية - الحفاظة على العقول - وذلك لعدم استطاعة الشخص المكلف بمواجهة وتلبية هذا الجانب من التربية. فلذلك قد يتعارض هذه المصالح المطلوبة شرعا . وبه يستدل أصحاب القائلين بتنظيم النسل. ففي هذه الحالة ما هو الحل ؟

---

٤٣ - أهداف الأسرة في الإسلام ، ص ٨٣

ويرد على ذلك ، أنه لايوجد هناك تعارض لا من قريب ولا من بعيد بين المصالح. فقد اتفق الكل على وجوب المحافظة على هذه المصالح. ولكن لدى التحري يبدو ماهية الأمر بوضوح ، بل يتماشي كل هذه المصالح جنبا بجنب .

وفي ضوء ما قيل ، إذا قسنا مصالح والمفاسد في هذه القضية ، وجدنا أضرارها أكثر بكثير من صلاحها.

المطلب الحادي عشر

ما هو الأصل:

الأصل هي إكثار النسل ، ويدل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع والقياس والمعقول .الأصل بقاء ما كان على ما كان.

١ـ اكثار النفوس

٢ـ المحافظة على النفوس

٣ ـ فطرة الله التي فطر الناس عليها.

فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع مفسدة غالبا ، لأن إعتناء الشرع بالمنهيات أشد من إعتنائه بالمأثورات ومن ثم جاز ترك الواجب دفعا للمشقة ولم يسامح في الإقدام على المنهيات...

فإذا كانت المفسدة أكثر وأغلب على الأمر من المنفعة أو المصلحة التي فيه وجب منعه ، لغلبة مفسدته ، ولم تعتبر المنفعة القليلة الموجودة فيه , وهذا ما ذكره القرآن في قضية الخمر والميسر في إجابته عن السائلين عنهما: ﴿ يسئلونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [٤٤] وبالعكس إذا كانت المنفعة هي الأكبر والأغلب ، فيجاز الأمر ويشرع ، وتهدر المفسدة القليلة الموجودة به.

---

٤٤ ـ البقرة:٢١٩.

ومن القواعد المهمة هنا:

" الضرر يـزال". [٤٥] " المشـقة تجلـب التيسـير"[٤٦]. و " إذا تعـارض مفسـدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما"[٤٧].

ثم أيضا: "أن درء المفاسد مقدم على جلب المصلحة." و "يكمل هذه قاعدة أخرى مهمة ، وهي: "أن المفسدة الصغيرة تغتفر من أجل المصلحة الكبيرة." [٤٨]

و أيضا : "وتغتفر المفسدة العارضة من أجل المصلحة الدائمة." و أيضا : "ولاتترك مصلحة محققة من أجل مفسدة متوهمة."و "عند اجتماع الحقوق يبدأ بالأهم".

المطلب الثاني عشر

التنظيم الفرادي و حكمه عند العلماء المعاصرين:

إن الشارع لا يمنع من تنظيم النسل بأن يكون بين المولود وأخيه سنتان أو أكثر ، حفاظا على صحة الأم وصحة الأولاد وتوسعة على الأولاد أيضا .

أما التحديد فلا يجيزه الشرع . فالرزق مكفول من الله لكل حي فوق الأرض ، والأرض الموجودة لو استغلت لكفت.

ومهما يكن الجدل اللفظي بين الفقهاء ، فإنهم كلهم اتفقوا على أنه لايجوز إصدار قانون عام يطبق على الجميع ، وعلى وجه الإجبار ، بلا استثناء في الحالات.

وأن الحالات الفردية ، لدى الضرورة : كالمرض وبعض الحرجات الدنيوية ، وذلك تحاشيا من هذه الحرجات ، ولفترة محددة ، فذلك يجوز بالاتفاق . وعلى هذا المعنى اتفقت كلمتهم ، والعبرة بالمقاصد والمعاني ، لا بالألفاظ والمباني ، كما يقولها الفقهاء الكرام.

---

٤٥ ـ القواعد الفقهية ـ علي أحمد الندوي ـ ص ٢٥٣.

٤٦ ـ نفس المصدر ص ٢٥٦.

٤٧ ـ نفس المصدر ص ٢٧٦.

٤٨ نفس ٣٨٦.

وأما المستدلون بجواز تنظيم النسل فيستدلون بكلام الإمام الغزالي القائل أنه يجوز : إن خيف على المرأة أو صحتها ، فذلك لا يجوز جعلها قاعدة عامة لغاية تحديد نسل المسلمين. ويجب أن يذكر أنه هو الذي يقول في مكان آخرفي كتابه " إحياء العلوم " عن افساد النطفة إذا وضعت الرحم بأنه جناية فقال:" أول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة. [٤٩]

ثم ذكر حديثا صحيحا أجاب فيه النبي صلى الله عليه وسلم على سؤال عن العزل: فقال :" ذاك الوأد الخفي " وتلا قوله :﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾ رواه مسلم

ثانيا - يقول الدكتور علي مطاوع عميد كلية الطب الأسبق بجامعة الأزهر:

تنظيم النسل لايمنعه الدين لقوله تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [٥٠]

كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إرضاع الطفل إذا حملت أمه. لأن ذلك يؤثر على الرضيع تأثيرا سيئا مما يجعله ضعيف البنية. ولو اتبعنا هذا الهدى لوجدنا المسافة بين الحمل والآخر تستغرق ثلاث سنوات ، وهي مدة كافية لتنظيم النسل واعطاء الفرصة للأم لاستعادة صحتها ، وللوالد لتنظيم حياته الاقتصادية ، أما حين تحمل الأم بعد اربعين يوما فهي تخالف الطب والدين.

---

٤٩ - إحياء علوم الدين للغزالي.

٥٠ - سورة البقرة : ٢٣٣.

خاتمة و نتائج البحث

بعد استعراض تنظيم النسل بكل زواياه ونواياه الشكلية والمعنية، وذلك حسب مفهومه الاجتماعي والسياسي، ذلك الذي يعني التحديد المطلق بغض النظر عن نوايا فاعله ، نصل إلى النتائج الآتية:

الأولى:

١ - إن تنظيم النسل له جوانب أخرى، وهو ليس مجرد ظاهرة اجتماعية. وإن هذه القضية تمس أكثر من جانب : فهي قضية أسرية ، وقضية بيئية ، وقضية سياسية و قضية سكانية.

٢ - إن "التنظيم " والتحديد" في نفس المعنى. وإن التنظيم الانفرادي يجوز بالاتفاق إذا لم يحصل عنصر الاجبار، و لا يجوز تنظيم الجماعي إلا للضرورة و في حالات خاصة. و أن الأصل هو عدم التحديد.

الثانية

أن المصلحة تقتضي الإكثار لا الإقلال. وعلى صدق هذا شواهد كثيرة ذكرناها في رحاب البحث.

الثالثة: إنه يجب دراسة الجوانب الأخرى والبدائل: فأمامنا بديل لتنظيم النسل ، ألا و هو تنظيم المجتمع... التنظيم الذي لا مفر منه ، كما التنظيم في كل شيء فريضة و ضرورة. فالتنظيم في كل شيء ... في نظام الشمس والقمر والأفلاك وغيرها ...

يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ [١] فما بال الإنسان - وهو قد خلق في أحسن تقويم - أن لاينظم حياته و ذلك بتنظيم شتى جوانب حياته - فالتنظيم جزء من هذا النظام الكوني الذي لا مفر منه.

---

١ يس : ٣٨ - ٤٠.

وهنا يبادر بذهن القارئ السؤال الآتي : أليس هذه الاضطرابات التي لايمكن التغمض عنها، ولا مجال عن الإنكار عنها نتيجه هذه اللامبالات ــ ويقصد بها التناسل دون نظام و دون ترتيب ؟ فأين الخلل إذن ؟

بيد أن هذا التظيم يمكن وجوده في إطار تنظيم من نوع آخر ، وهو تنظيم المجتمع بكافته بما يشمل تنظيم النسل وتنقيحه كي يشمل كافة إطاراته. ويمكن تلخيصه في النقاط التالية:

أولا - تنظيم التفكير أو العقيدة الراسخة:

١ - أن الإنسان متشكل من عنصرين :

١ - عنصر الروح ٢ - وعنصر المادة

وهنا يجب الاعتناء والاهتمام بكلا العنصرين. فلايمكن إهمال أي منهما ، فإنه مكون من المادة ، فلا بد من قضاء حاجاته المادية من الغرائز التي يستحيل المعيشة دونها. ومن ثم يكون إحتكاك الإنسان بالمادة . فيبدأ مجاهدة الإنسان بالحصول على ذلك. وإن الإنسان يحترم هذا العنصر ، ويعترف به اعتراف الحاجة والضرورة والتحسينية. وبعبارة أخرى يؤمن برب المادة ، ويستخدم المادة. وبهذا يجتمع عنصر التوكل والعمل. فالإنسان هو الذي يباشر ويعمل حسب الطبيعة الفطرية وسنن الكون، والله سبحانه وتعالى هو الذي يرتب على إثر ذلك آثار ونتائج. فالإنسان هو الذي يزرع، والله سبحانه هو الذي ينبت ، وهو الذي ينزل الغيث من السماء، وهو الذي . والتحرك من الإنسان ، والبركة من الله سبحانه. وإذا روعي هذا المبدأ، مبدأ العقيدة الصحيحة والعمل المتقن، ينتج منه الحصيلة المطلوبة، ويزدهر أثرها في كافة جوانب الحياة الإنسانية.

تجنب التفكير المادي البحت:

إن هذا النوع من التفكير السلبي بضاعة مستوردة يجب أن ترد إلى أصحابه ... التفكير الذي تريد الغرب استيراده في البلاد الإسلامية تفكير شاذ .. غير ماش مع الفطرة .. التوهم القاتل: " إن الغنى يحصل على مزيد من الثروة ، أما الفقير فيحصل على الأولاد. [٢] فالاسلام يعتبر الأولاد ثروة ويترادف غالبا ما مع الثروة المادية . يقول الله عزوجل :﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم

---

٢ - السباق بين الانسان والطعام ، شراك جوي ، ترجمة الدكتور محمد الشحات ط دار الفكر العربي ص ١٥-١٩.

فتنة..﴾ [٣] ويقول: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ . فالإسلام يعتبر الأولاد ثروة ويترادف غالبا مع الثروة المادية .

وكذلك التفكير الديني الرهباني السلبي البحت . يقول الله عزوجل :﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ، فما رعوها حق رعايتها ﴾ [٤]

- تمس هذه القضية أكثر من مجال: فهي قضية عقيدة ، كما أنها قضية سياسية ، واجتماعية ، وفقهية. ونستنتج أن ربط التنمية بإنخفاض عدد السكان عملية أيدولوجية وليست اقتصادية ، وهذه العملية خاضعة لدراسات استراتيجية فبقاء "التوازن " بين الدول المتقدمة والدول النامية . وكلمة التوازن تعني المحافظة وتكريس الواقع الراهن ، أي غلبة الشمال على الجنوب اقتصاديا وتكنولوجيا وفكريا...

٢ - يجب الإيمان الواثق بوجود حلول لهذه الظواهر. وإن من أهم عوامل الهزيمة هو التشاؤم والاضمحلال والسلبية أمام تحديات الحياة ، وظواهر الحياة. فإذا تركبا عنصري الإيمان الجازم والعمل المتقن ، فإن الجبال ستكون ممهدة ومزهرة أمام الطموحات الإنساني.

٣ - مراعات ترتيب الفهم ثم المعالجة، أو تقديم العلم على العمل . فمن البديهيات أن فهم المرض نصف العلاج والمداواة ، وأن الترتيب المنطقي أن يبدأ الفهم ويعقبه المحاولة للمداواة. في حديث معاذ رضي الله عنه : " العلم إمام ، والعمل تابعه". [٥]

فمن الفهم يجب أن نبدأ. فإننا في عصر يؤسس كل شيء على علم . ولم يعد يقبل الإرتجال والغوغائية في أمر من أمور الحياة. فلا بد لأي عمل جاد من الدراسة قبل العزم عليه ، ولا بد من الاقتناع بجداوة قبل البدء فيه ، ولابد من التخطيط قبل التنفيذ، ولا بد من الاستعانة بالأرقام والاحصاءات قبل الإقدام على العمل. " إن الإحصاء والتخطيط والدراسة قبل العمل كلها من صميم الإسلام ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان أول من أمر بعمل إحصائي منظم لمن آمن به بعد هجرته إلى المدينة . ولقد ظهر أثر التخطيط في سيرته في صور ومواقف شتى. [٦]

---

٣ - الأنفال: ٢٨.

٤ - الحديد: ٢٧.

٥ اقتباسا بتصرف من كتاب "فقه الأولويات للأستاذ القرضاوي" ص ٨ وما بعدها..

٦ الدكتور يوسف القرضاوي ، "الرسول والعلم ، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت

ثانيا ـ التنظيم للتوازن:

١ : في الكيف والكم.

تطهير المجتمع من أمراض النفاق التي يعشش فيها كل مظاهر الضعف والخبث والانزواء في البيوت للمكيدة والمكر واشاعة الشائعات الضارة. قال تعالى:﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾[٧] بل من العلماء من يقول أن الكيف والنوع يقدم على الكم والحجم . فليست العبرة بالكثرة في العدد، ولا بالضخامة في الحجم : إنما المدار على النوعية والكيفية.

لقد ذم القرآن الكريم إذا ان أصحابها ممن لايعقلون أو لايعلمون أو لايؤمنون أو لايشكرون : كما نطقت بذلك آيات وفيرة من كتاب الله :﴿بل أكثر هم لايعقلون ﴾[٨] ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾[٩] ﴿ ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾[١٠] ﴿ ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾[١١] إن المسلمون انتصروا لما كانوا في بدر وهم قلة، ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾[١٢] ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره﴾.[١٣] على حين كاد المسلمون يخسرون المعركة في حنين، إذ نظروا إلى الكم لا الكيف وغرتهم الكثرة ، وأهملوا القوة الروحية ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين، إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين﴾[١٤]

---

٧ ـ المائدة: ٤١. نقلا من حفظ الصحة وسلامة البيئة : للأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلي ، الوعي الإسلامي العدد : ٢٧٩ نوفمبر ص ٢٦ ومابعدها .

٨ ـ العنكبوت

٩ ـ الأعراف ١٨٧

١٠ ـ هود : ١٧.

١١ ـ البقرة ٢٤٣.

١٢ ـ آل عمران ١٢٣ .

١٣ ـ الأنفال: ٢٦.

١٤ ـ التوبة ٢٥ ـ ٢٦.

٢ : من حيث الأولويات :

يقول ابن قيم الجوزية:

إن أفضل العبادة : العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته ، فأفضل العبادات في وقت الجهاد : الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد، من صلاة الليل، وصيام النهار ، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن. والأفضل في وقت حضور الضيف مثلا : القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل. والأفضل في أوقات السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار. والأفضل في وقت استشراد الطالب، وتعليم الجاهل : الإقبال على تعليمه، والاشتغال به. والأفضل في أوقات الآذان : ترك ما هو فيه من وردة، والاشتغال بإجابة المؤذن. والافضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن، أو المال : الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك. والافضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته ، وحضور جنازته وتشييعه. والأفضل في وقت نزول النوازل ، وأذاة الناس لك : أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم ، دون الهرب منهم ، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم، أفضل من الذي لايخالطهم ولا يؤذونه. [١٥]

في مؤتمر القاهرة، قال د. يحيى إسماعيل أمين عام جبهة علماء الأزهر: لما سئل متى سيتبنى الأزهر تنظيم مؤتمر عالمي أو على مستوى الدول الإسلامية لقضية المرأة ... ردا عمليا على الأفكار المغلوطة تنشرها مؤتمرات المرأة العالمية؟ أجاب قائلا : لما ذا نهتم بقضية المرأة ونهمل الشباب والرجال ؟

وطالب الوفد السوداني المشارك في مؤتمر المرأة في بكين بالاهتمام بمكافحة الملاريا وبذل جهود في هذا الجانب أكثر من الجهورد المبذولة في مكافحة الإيدز ، لأن النساء اللاتي تهددهن الملاريا أكثر عددا وحاجة للعلاج والمساندة وأنهن يجدن في العالم الثالث خدمات أقل رغم أن أعدادهن أكثر. [١٦]

---

١٥ ـ اقتباسات من : تهذيب مدارج السالكين ص ١٠٠ ـ ١٠٤ ، ابن قيم الجوزية ، المجلد الأول، نشر احسان ـ ايران.

١٦ ـ من مطروحات الوفد السوداني في مؤتمر بكين ـ عاصمة الصين ـ للنساء العالمي ـ سبتمبر ١٩٩٥. قضايا ودراسة .

ثم ينبغي فهم إن الواجبات المطلوبة فورا مقدمة على الواجبات التي تتحمل التاخير، كي لايفوت الفائت. وهكذا إنقاذ أرض اسلامي مقدم على عاتق مسلم على فريضة حج عام قد يمكنه أداؤه في وقت آخر. كما قال به الأستاذ الدكتور القرضاوي. [١٧]

٣ : من حيث توزيع الأعمال بين الأسرة:

أ ـ تنظيم الأسرة:

شكل الأسرة ميكانزما محددا ومتفاعلا، لكل فرد من أفراده دوره ، لبناء مجتمع صغير أسرى تسوده الرأفة والمحبة والحنان . فالرجل وهو قوام ، يلعب دور الحامي ويتحمل ما يشق تكلفه على الآخرين من أعضاء الأسرة وذلك بمقتضى الطبيعة والفطرة ، والمرأة وهي حنون ولطيفة تلعب دور ما يتمهد للولد طريقه إلى المجتمع وهو بحاجة في ذلك الدور من الحب الباثق ، كي يجعله لبنا صالحا ليجد طريقه في المجتمع ما يناسبه . وكل ذلك يكون حسب الفطرة ومعقول جدا . وعلى هذا الرجل هو المسؤول عن النفقة والأمور خارج البيت ، والمرأة مسؤولة لحسن إستعمالها وتنظيم أمور الداخلية.

وقد يهتم الإسلام بالانتظام إهتماما بالغا . فقد وزع كل الأعمال والنشاطات كي لايكون عرضة للعب والنقاش عند ذوى العقول الشاذة . وأرى أنه لم يبح تعدد الأزواج ، بجانب عديد من العوامل التي تبررها ، إلا واجتنابا من تغوص الرجال ذو ميال للشهوات إلى رذائل الأخلاق ، ومن باب سد الذرائع ، ومن باب أخف الضررين، ومن باب تنظيم الأسرة والمجتمع. ولدى الغور نرى أن الإسلام قيد أمر التعدد بقيود يكاد لايتواجد إلا عند فئة قليلة يستطيع استقباله ، وذلك كشروط العدل ، والمساواة، واستطاعة الإنفاق ... علاوة أن الإسلام ـ على صعيد آخر ـ يراعي جانب المرأة حيث أنها تكاد لاتلبي حاجة الرجل ، مما يؤدي ممارسة الجنس غير الشرعية.

ب ـ بمستوى الجماعة:

---

١٧ ـ فقه الأولويات ص ٤ وما بعدها.

إيجاد جو لاستخدام هذه العقول ، وتهيأة جو مناسب لخصوبة هذه الأدمغة. فبناء المدارس و المختبرات ليس إلا من مسئولية الجماعة ككل.

فإذن كثرة العدد ليست عامل من عوامل الضعف، وإنما عدم توظيف و تشغيل هذه الأيدي. ومن طاقاتها أو في حالة كون هذا العدد مريضا صحيا وجسميا ... وبسبب سوء التخطيط وضعف الإستفادة منه.

٤ ـ تنظيم عدد الأولاد:

ليس ثم ما يحدد الكم المحدد للأطفال في الأسرة ، وإنما يختلف حسب ظروف كل أسرة. واضعا في الاعتبار أن الكثرة هي الأصل وهي التي تأتي بالنفع مآلا.

ومما تدل على التجارب والمشاهدات العملية أن الأسرة الكبيرة أكثر نجاحا في الدنيا من الأسر الصغيرة. يقول الأستاذ كولين كلارك:

" إننا لا ننكر أن مشكلة التعليم أكثر إرهاقا وتكليفا بالنسبة للأسرة الكبيرة، ولكن من الخطأ القول بأن الزوجين عند ما يضيفان إلى أولادهما طفلا جديدا ، يضران بمصلحتهم أو يقللان من فرص الرقي في وجوههم . ولعل الآباء والأمهات في زمننا قد بدأوا يشعرون بأنفسهم بصدق الحقيقة التي توصل إليها الأستاذ بريسارد بعد أن عمل لها عدة تحقيقات عميقة . فقد عكف لمدة غير يسيرة على دراسة الأسباب في نمو وارتقاء الأسر الكبيرة لرجال التجارة وغيرها من الحرف الراقية : ما هي الأعمال التي قامت بها هذه الأسر لترقية حياتها الاقتصادية ، ثم وازن بينها وبين حياة الأفراد المنتمين إلى الأسر الصغيرة، وفتوصل بكل ذلك إلى النتيجة القائلة بأن أفراد الأسر الكبيرة وإن كانت مشكلة قلة المال تواجههم في بدء أمرهم ، ولكن هم الذين يحرزون نجاحا باهرا وتوفيقا أوسع في ميادين الحياة في آخر الأمر ، بالقياس إلى أفراد الأسر الصغيرة. [١٨]

٥ : من حيث تقسيم الوظائف:

فالإنسان في حين أنه فرد مستقل بشخصه، وله حقوق وعليه واجبات ، فإنه بالتالي عضو من المجتمع ، فيفرض عليه طبيعة الدين والمجتمع أن يكون لبنا نافعا في بناء المجتمع . فمسؤولياته

---

١٨ ـ حركة تحديد النسل ، للأستاذ أبو الأعلى المودودي ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

الشخصية تجاه نفسه وأسرته مسؤوليات فردية ، مفروض عليه بعينه، لايتحمل وزره أحد. ثم إنه مسئول استقامة الآخرين. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [١٩] ويقول صلى الله عليه وسلم : "كلكم راع وكلكم مسؤولون عن رعيته " ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا: " من رأى منكم منكرا فليغير بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ". [٢٠]

أما المسؤوليات الواضعة على عاتقه نتيجة كونه عضوا في المجتمع ، فهذا من واجباته الكفائية. وأنه يجب أن يساهم كل شخص في بناء المجتمع، بإعتبار أن تعمير الأرض من الواجبات الكفائية. وفهم ودرك هذه النقطة واجب على كل مسلم ومسلمة. وأن المسلم إذا أدرك أنه مسؤول أن يتخصص ويعمل في مجال ما فإنه هذه النقائص سوف تمحو. وعدم درك هذا المسؤولية الكفائية (الواجب الكفائي) هوعلة فقدان أصحاب التخصصات والمهارات لدى المسلمين.

وأن تعمير الأرض واجب عيني كل مسلم . يقول سبحانه وتعالى:﴿ وماكان المؤمنون لينفروا كافة ، ولو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾. [٢١]

ويكون التخلص من هذه الظاهرة : بمستوى الأفراد : أن يفهم الأفراد مسؤولياتهم الدينية والدنيوية، وأن التقصير يجلب الإثم في الدنيا والآخرة.

٦ : من حيث تقسيم الوظائف ومراعاة الأهلية:

وقد أشار الفقهاء - جزاهم الله عن الإسلام خيرا - إلى أنه يجب توزيع الأعمال ، ومساهمة كل الأفراد في إدارة المجتمع، وذلك بمقتضى وجوب تعمير الأرض - الأمر الذي ذكره القرآن الكريم ، والذي كلف الإنسان به . وقد وضع كثير من الفقهاء منهم الإمام الشاطبي رحمهم الله تعالى هذا النوع من الوظائف تحت فرض الكفاية . فالتقصير في أي جانب يؤدي إلى اختلال في

---

١٩ - آل عمران : ١٠٤.

٢٠ - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث رقم ١٧.

٢١ - التوبة ١٢٢.

التوازن. وقد يلاحظ هذا النقص بوفور في البلاد الإسلامية. ويمكننا نلخص الإضطراب في تقسيم الوظائف نتيجة جهل الأمة بهذه النقاط الآتية:

١ـ أن معرفة أن الاعتناء بهذه الأمور فرض الكفاية. وهذا الأمر يجب أن يبلغ الشعب وتفهيمهم به.

٢ ـ عدم توفير ظروف لممارسة واجباتهم ، لضغوط سياسية أواجتماعية أو اقتصادية.

٣ـ عدم توفير الظرف المناسبة ، وذلك نتيجة:

أ ـ عدم جو مناسب للتربية ... فقدان المدارس والتعليم والثقافة ...

ب ـ هروب الأدمغة إلى الغرب ... عدم حصول المكان المناسب للعمل وبالتالي عدم الاهتمام بالمجتمع بهم.

ج ـ الاختلال الأسري ، نتيجة تآلي المشاغل ، ودخول المرأة ..

هـ ـ سيطرة معدومي أو ناقصي الأهلية على كراسي المناصب ـ ضياع الأمانة. إن المسؤولية الاجتماعية أمانة ، يجب أن يشغله أهله ، ولاتكون عرضة للضياع. يقول الله سبحانه وتعالى:﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبينأن يحملنها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا﴾[٢٢].

يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله تعالي:

" إن العمل البنائي محتاج إلى نبه أو إرادة وإلى طريقة أو نموذج يؤدي عليه العمل ونحن في مجتمعاتنا قد توجد لدينا الإرادة ولا يوجد العمل وقد يكون ذلك لغش أو خور في العزائم ، وقد يوجد العمل في صورة حائرة زائفة تجعله عارا على صاحبه وخسارا عليه . والدليل على ذلك ما يبنى من مصانع وسرعان ما يبدو أنها لا ضرورة لها وما يقام من مشاريع سرعان ما تتعرض للخراب أو الإهمال، إذ نحن نحتاج إلى أن نتعرف على ما نحتاج إليه وقد عرف غيرنا ما يحتاج إليه بل وما نحتاج إليه فانطلق يدرس مجتمعاتنا ونفسياتنا ويرسل بخبراته إلى بلادنا ويسمي انتاجه بأسماء بلادنا فهذه تنفع لكذا وتلك تنفع لكذا والنتيجة إغراق أسواقنا بمنتجاتهم وفتح صنبور المال الإسلامي ليتدفق إلى بلادهم ثم يرتد سلاحا وسياسة معادية إلى نحورنا. [٢٣]

---

٢٢ ـ الأحزاب : ٧٢.

٢٣ ـ اقتباسا من كتاب للمفكر الإسلامي مالك بن نبي

٧ - التنظيم للتوازن في المجتمع البيئي.

وثم إضطراب في تركيب المجتمع من حيث الازدحام والتكثف والتلوث وما يترتب عليها من عدم التجانس والمؤانسة بين أفراده ويليه الفقر والمرض والجهل والوساخة الجسمية ... إن هذه الإضطرابات وما يواجه ويعانيه المجتمع من عدم تناسق وتناسب ليست نتائج لكثرة السكان، وإنما نتيجة لتسلسل ودوران وتلازم هذه الظواهر بعضها ببعض. فالفقر والمرض والإضطراب السكاني تتلازم بعضها بعضا. وذلك بالتفصيل الآتي:

أ - إن الفقر يأتي بإضطراب سكاني ، وذلك بفعل عديد من العمليات النزوحية ذات صفة فوضوية من الريف إلى المدن وبالعكس. فالريفي عندما يواجه صعوبة في معيشته ، وذلك أمر مستمر في البلاد النامية ، لعدم توافر الخدمات الصحية والاجتماعية والاقتصادية ، فضلا عن تضييق مجالات العمل بفضل المكينات والآليات ، يضطر إلى النزوح إلى المدن. وحيث أن المدن لم تبني ولم تهيئ بعد لاستقبال واستيعاب هذه الكمية من البشر ، فتكون النتيجة إزدحاما غير مرغوب فيه.

ب - وإذا رأينا أهل المدن أيضا يعتبر نفس العملية النزوحية أمرا ميسورا وطريقا للهروب " من الفقر المؤكد إلى الغناء غير المؤكد " وهذا النزوح الإضطراري كفيل لحلول إضطرابات سكانية. وتكون النتيجة تكيثف سكاني مخيف ومناظر رهيبة في المدن، والتي يعبر عنها كاتب مصري :

" ... آه من المناظر المؤذية التي أذيعت على الناس، حواري تحولت إلى برك ، وأطفال كالفئران ، وأطعمة مكشوفة وعليها مالذ وطاب من اسرار الذباب ، وفلاح في الغيط مغروز في الطين وثوبه مجرد هراديب ويستخدم شرشرة كان يستخدمها الفلاح المصري القديم (عنخ منح رنخ) الذي كان يعمل باليومية في عزبة المرحوم فرعون , ونسوان كأعواد الحطب بتغسيل ملابس على شاطئ النهر وبالدعك على الحجر الذي يدعك أكثر بياضا ، وسوق خضار في خرابة يعرض خضراوات لو رآها واحد فرنساوي أو ألماني لحجز لنفسه مكانا علىأول صاروخ إلى كوكب القمر !

وللفقر علاقة مباشرة بهذا الإضطراب السكاني. فالإضطراب السكاني يعني الاختلال في تركيب أنساج المجتمع، الاختلال في توزيع الخدمات ، في ملاحظة أمور السكان الصحية والاجتماعية. وذلك بدوره يستلزم عدم توفر الوظائف. ومن ثم يكون الفقر أحد إنتاجات إضطرابات السكاني وانتشار الأمراض، مما يدعي الإهتمام البالغ والبحث عن حلول ذلك.

تنظيم المجتمع من حيث توزيع السكاني:

أ ـ توزيع السكن الداخلي:

دراسة التوزيع السكاني داخل الدول. دراسة الاختلال السكاني على مستوى القوميات والأقاليم وتشجيع انتقال الأفراد من هذه الأقاليم بصفة دائمة ، أو على الأقل بناء على دراسات فعلية مبنية على الحاجة التعليمية.

وذلك في حين فتح باب الهجرات بين الدول المسلمة ، خاضعا لشروط تراها تلك الدولة المستقبلة للمهاجرين ، كبديل لضغوط السكاني التي اعتبرت مبررا تنظيم النسل . وقد يشاهد تلك التفاوت الديموغرافي في كثير من البلدان الإسلامية ، واقترح أن هذا النوع من الهجرة له دور هام ومؤثر في حل هذه الظاهرة .

وقد حث الإسلام على الهجرة وإيثار الكرامة وسعة الرزق على الذل وضيق الحياة بين الأهل والعشيرة.

ثالثا ـ التنظيم للتفاهم

أ ـ بين أفراد المجتمع:

ثم نوع آخر من الإضطراب في التفاهم بمستوى الأفراد. فمن البديهيات المسلمة وجود إختلافات ونظريات وآراء مختلفة ومتعارضة، الناتجة من المصالح المتضاربة والأفكار المعارضة. فوجود هذه الظواهر لاتخلص ولا مفر منها. بيد أن التناسق والتقارب بينها من فضائل الأمور الاجتماعية ويجب بالتالي أن يكون هذه التعارضات في لفافة محددة وفي إطار محدد. فكلما تطور المجتمع كلما تطورت أساليب التفاهم والاتصال ، وبذلك يتطور التفاهم وتذوب هذه الظواهر واحدة تلو الأخرى. وهذا الأمر من متطلبات الدين القائل بخلق شتى الشعوب والقبائل للتعارف .. وبالتالي بالاعتراف بشتى الطبقات. وهذه الطبقات أوجدت طبيعيا حسب قدرات الأشخاص والأفراد وحسب جهد كل شخص أو فئة أو مجتمع ما.

وإلى مدى بعيد يتعلق تطور البلد بالتفاهم ، فهو لعل أبرز مقوم لاجتناب الحروب.

غير أن التفاهم غير موجود بدرجة مطلوبة في البلاد الإسلامية ، سوى بمستوى الأفراد فيما بينهم، أو بين الأفراد وأولو أمرهم ، ومن ثم تبرز ظاهرة سوء التفاهم فيما بينهم ، ويؤدي غالبا إلى حروب وصراعات، و يكون مصدرا للتمزق و دمارا للاقتصاد.

وهذا بدوره مصدر تعقد ظاهرة سوء التفاهمات الموجودة بين المجتمع هذا وذاك. فإذا نمثل ـ في ضوء ما قيل ـ عديدا من القضايا الداخلية بين الدول الإسلامية والخارجية ، وجدنا وجود هذه الظاهرة مسيطرة على هذه الشعوب.

والذي يزيد الطين بلة ، هو أن الحلول المطروحة غالبا ما في هذه الظواهر ، إما مقتبسة أو تكون تقليدية. فإذا كان يتعامل مع مشكلة ما بأسلوب محدد في بلد ما وفي زمن ما ، ليس معنى ذلك تبناه كقاعدة عامة يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان . ويصدق في هذا الكلام أساليب سياسية واقتصادية اقتبسناها من الغرب ، غير واضعين في الاعتبار أنه تختلف ظروف الشرق والغرب في عديد من النواحي.

فتنظيم المجتمع من هذه الناحية يعني دراسة التفاهم الكامل والمعقول الشامل كافة أنحاء المجتمع ، وكافة الشعب.

وعلى كل ، يجب التفاهم في ضوء القرآن والسنة ، مستضيئا بآيات القرآن الحنيف والقواعد الشرعية الإسلامية.

ب ـ بين الشعوب الإسلامية:

فالنظم السياسية السائدة في العالم الإسلامي هي التي مزقتها. فما من دولة إلا في تناحر من جيرانها المسلمة و قد ورثت أتباع هذه الدول الحقد من رؤساهم ضد جيران زورا و ظلما ودون أي مبرر. مع أن بقاء العالم الإسلامي منوط ببقاء كل الأمة. فوحدة الأمة الإسلامية لا شك أنها تعني وجود أقوى كتلة بشرية كما. و بسط العالم شرقا و غربا وشمالا و جنوبا بثروات الطبيعية التي وهبتها الله سبحانه وتعالى لهذه البلاد و أهلها كفيل بحل ما تواجهه الأمة الإسلامية من نقائص مادية و معنوية. وكل هذا ممكن في ضوء التفاهم بين الدول والشعوب الإسلامية.

رابعا ـ التنظيم للتكافل الاجتماعي:

و هنا يجب الاعتناء بالزكاة كي تحل مشكلة الفقراء والمساكين من المسلمين وغيرهم في ظل الدولة الإسلامية و ذلك:

أ ـ بتقسيم الثروة كي لا تكون دولة بين الأغنياء .

ب ـ كما فرض الإسلام على جماعة المسلمين الإسهام في إيجاد فرص العمل وذلك فرض كفاية عليهم، وانطلاقا من أحاديث التكافل والتراحم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ، مثل المؤمنين

في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه مسلم وأحمد.

- وقد خصص الإسلام جزءا من أموال الزكاة لتوفير وتمليك أدوات الانتاج , وقد روى عن الإمام أحمد :" أنه أجاز أن يأخذ الفقير تمام كفايته دائم لمتجره أو آلة صنعته ". [٢٤]

فالإسلام يحارب البطالة والمسألة بتوفير أدوات العمل والانتاج لمن يحتاجها . ويعده أيضا برأس المال اللازم وهي أمور لا نجدها في أكثر الدول تقدما في مجال الضمان الاجتماعي. والاسلام يدعو إلى الإنتاج والاستثمار ومحاربة تحويل رأس المال المنتج إلى سلعة استهلاكية. وقد ركز الإسلام عناصر الانتاج في الأرض والعمل ورأس المال. فالأرض عنصر منتج يضيف إلى الإنتاج مقابلا وعائدا ماديا نظير إسهامه في العملية الانتاجية، والأرض كلها لله ولو نظرنا إلى الأرض الصالحة للزراعة بدون استصلاح في العالم الإسلامي لوجدنا ملايين من الأفدنة لاتحتاج سوى أيدي العاملة التي يحاولون أن يتروها بدعوتهم الخبيثة لتنظيم الأسرة.

أمثلة على التكافل الاجتماعي:

قد قرأنا ما حدث في عهد عمر رضي الله عنه نتيجة التكافل الإجتماعي. فقد وصل الأمر بدرجة أنهم كانوا يبحثون عمن يستلم الزكاة ، ولم يكن موجودا . فهكذا بركات الله سبحانه وتعالى ، ثم بركات من السماء والأرض.

والواقع التاريخي أكبر شاهد على ما نقوله في تكافل المجتمع المسلم ، وفي تعاطفه وتراحمه وتعاونه:

قال محمد بن اسحق :" كان أناس بالمدينة يعيشون ولايدرون من أين يعيشون ، ومن يعطيهم . فلما مات زين العابدين بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب)أي الكيس (إلى بيوت الأرامل والمساكين."

---

٢٤ ـ مسند الإمام أحمد

٢ـ وكان الليث بن سعد ذا غلة سنوية تزيد على سبعين ألف دينار يتصدق بها كلها حتى قالوا إنه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة دارا بيعت بالمزاد ، فذهب وكيله بتسلمها فوجد أيتاما وأطفالا صغارا ، سألوه بالله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك أرسل إليهم أن الدار لكم ، ومعها ما يصلحكم كل يوم."

٣ـ وكان عبدالله بن المبارك الإمام الكبير المحدث كثير الصدقات تبلغ صدقاته في السنة أكثر من مائة ألف دينار ، خرج مرة إلى الحج مع أصحابه ، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر ، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه ، وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائرة الميت ، فلما سألها لم فعلت ذلك ، أخبرته أنها وأخاها فقيران لايعلمهما أحد ، ولايجدان شيئا ،فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله: كم معك من النفقة ؟ قال: ألف دينار ، فقال له: عد منها عشرين دينارا تكفينا إلى "مرو" وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع فلم يحج. [٢٥]

خامسا ـ التنظيم للتخطيط للمستقبل:

إننا في عصر الاكتشاف والاختراع واللاسلكي والكهرباء ، وهذه الوسائل ليست غايات بذاتها:يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، و سخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها، إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ [٢٦] ـ تخطيط دقيق ودراسة واعية حول الأيدي الخارجية الإستعمارية في البلاد.

إيجاد بديل للبنوك النقد الدولي والصندوق الدولي كي تتخلص الدول الإسلامية من شر القروض مخرب البيوت.

---

٢٥ ـ التكافل الإجتماعي في الإسلام ص عبدالله ناصح علوان .

٢٦ ـ ابراهيم : ٣٢ ـ ٣٤.

المراجع والمصادر

ماعدا: أسماء القرآن الكريم وكتب الأحاديث الواردة في هذا البحث، المصادر والمراجع كلها حسب الترتيب الحروف الأبجدية:

- القرآن الكريم.

- صحيح البخاري:

صحيح البخاري طبع دار الجيل - بيروت.

- صحيح مسلم:

مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- جامع الترمذي:

لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، طبع استانبول - تركيا

- سنن أبي داود:

للامام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني

- سنن ابن ماجه:

للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، طبع دار إحياء التراث العربي.

ا

- الأمة:

سلسلة كتب " الأمة" سلسلة فصلية، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشوءون الدينية في دولة قطر.

- أحكام القرآن للجصاص:

أحكام القرآن لحجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ، الناشر: دار المصحف : شركة مكتبة و مطبعة عبدالرحمن محمد بالقاهرة.

- أحكام القرآن للقرطبي

أحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الطبعة الثالثة من مطبعة دار الكتب المصرية دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

- إحياء علوم الدين:

إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد محمد الغزالي، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- اخلاقيات التلقيح:

اخلاقيات التلقيح الصناعي ، أستاذ الدكتور عبدالبار، الطبعة الأولى .

- الإسلام في النظرية:

الإسلام في النظرية والتطبيق - تأليف مريم جميلة ، ترجمة س. حمد.

- الإسلام والجنس

الإسلام والجنس ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة.

- الاسلام والطب:

الاسلام والطب الحديث ، سعيد رضا عبيدات - المكتبة العلمية - لاهور.

- أطفال الأنابيب:

أطفال الأنابيب ، نظرة إسلامية ، ص 43، د. احمد عبدالرحمن عيسى، ط مطابع الأهرام بكورنيش النيل.

- الإنصاف:

الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، دار إحياء التراث العربي ط: 1 بيروت.

- أهداف الأسرة:

أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة - حسين محمد يوسف ، طبع دار الاعتصام .

- الأهرام (صحيفةيومية) الصادرة من مصر.

- أين الخلل:

أين الخلل" للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ، دار الصحوة للنشر - القاهرة ط الأولى 1985.

ب

- بجيرمي:

بجيرمي على الخطيب ، سليمان السويقي الشافعي، طبع دار المعرفة، بيروت.

- البدائع والصنائع:

لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ، مطبعة الجمالية بالقاهرة 1328 هـ ، طبعة أخرى: بمطبعة الإمام بالقاهرة.

- بداية المجتهد و نهاية المقتصد:

لحمد بن محمد بن رشد الحفيد القرطبي، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعيد ، مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة 1325 هـ.

ت

- تبيين الحقائق:

تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، 214/6، المطبعة : الأميرية بالقاهرة.

تحفة الأحوذي:

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، طبع دار الفكر ـ القاهرة.

- التخلف:

التخلف ، لمحمود شاكر ـ المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى 1988.

- التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية بين الإصالة والمعاصرة ، دكتور اسحق أحمد فرحان ، طبع دار الفرقان .

- تربية الأطفال:

تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة ، محمد حامد الناصر وخولة عبدالقادر درويش ، مكتبة السوادي للتوزيع .

- تربية الأولاد في الإسلام:

تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة .

التربية البيئية:

البيئة : مظاهر عالمية ـ منشورات التقدم ، موسكو 1975. (نقلا من التربية البيئية ـ أحمد الخطاب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية ـ إيسيسكو.

- التعريفات:

التعريفات للجرجاني ، انتشارات ناصر خسرو ـ تهران ـ إيران ، والمعجم الوسيط ، طبع المكتبة الإسلامية استانبول ـ تركيا.

- التغيير الاجتماعي:

التغيير الإجتماعي والمجتمع المتحضر تأليف حسن علي خفاجي .

- التفسير الكبير:

تفسير فخر الدين الرازي ، للإمام محمدالرازي فخرالدين بن العلامة ضياء الدين ، دار الفكر : بيروت.

- التفكير الاجتماعي:

التفكير الإجتماعي للدكتور زيدان عبدالباقي .

- تفسير ابن كثير:

أنظر تفسير لأبي الفداء الحافظ ابن كثيرالدمشقي، المتوفى 774 الجزء الثالث : ص 274، ط مكتبة امدادية بشاور - باكستان.

تقديم الفكر الإسلامي:

محمد الحسني ، تقديم الفكر الإسلامي الكبير - أبو الحسن الندوي - الطبعة الأولى ص 25-26.

- التكافل الاجتماعي:

التكافل الاجتماعي في الإسلام، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة.

- تمهيد في علم الاجتماع:

تمهيد في علم الإجتماع للدكتور عبدالكريم يافي.

- تنظيم الأسرة :

تنظيم الأسرة للأستاذ أبي زهرة ، طبع الدار الفكر.

- تنظيم النسل:

تنظيم النسل في الشريعة الإسلامية ، رسالة ماجستير لزين زبير

- تنظيم خانواده:

- تنظيم خانواده در ايران (بالفارسية) طبع تهران، إيران.

- تنمية المجتمعات المتخلفة:

تنمية الجتمعات المتخلفة - ريموند فروست - ترجمة أحمد قاسم جودة.

- تهذيب مدارج السالكين:

تهذيب مدارج السالكين ، لمؤلفه ابن قيم الجوزية ، المجلد الأول، نشر احسان - ايران.

ج

- الجامع الصغير:

الجامع الصغير للإمام محمدبن الحسن الشيباني، طبع إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ كراتشي.

ـ الجمهورية:

الجمهورية لأفلاطون، طبع دار الكتب الإسلامية ـ تهران ـ إيران.

ح

ـ حاشية الدسوقي:

حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفة الدسوقي المالكي ، مطبعة مصطفى الحبي بالقاهرة.

ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار:

الشهير بحاشية ابن عابدين للشيخ محمد أمين ابن عابدين الحنفي، مطبعة مصطفى الحلبي ط :2

ـ حجة الله البالغة:

للإمام الشيخ أحمد شاه ولي الله الدهلوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط 1.

ـ حركة تحديد النسل:

حركة تحديد النسل ـ أبو الأعلى المودودي طبع مؤسسة الرسالة.

ـ الحرمان والتخلف:

الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ـ الدكتور نبيل صحي الطويل.

ـ الحلال والحرام:

الحلال والحرام " للدكتور يوسف القرضاوي ، طبع دار البيضاء.

ـ الحوادث:

مجلة الحوادث العدد: 1273.

خ

ـ الخدمة الاجتماعية:

الخدمة الاجتماعية تأليف دكتور حسن علي خفاجي ، ص 31 ـ32 ـ الطبعة الثانية 1980.[0]

د

ـ دراسة في البناء الحضاري:

دراسة في البناء الحضاري للدكتور محمود محمد سفر ، الطبعة الأولى ـ صادر عن سلسلة كتب " الأمة"

ـ الدستور (جريدة يومية)

ر

- راز جنسيت:

راز جنسيت (بالفارسية) طبع منظمة (IPPF) التابع لـ (B.B.C).

- رد المحتار:

رد المحتار على الدر المختار الشهير بحاشية ابن عابدين للشيخ محمد أمين بن عابدين، مطبعة مصطفى الحلبي.

ز

- زاد المعاد في هدي خير العباد:

لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية.

الزركشي:

الزركشي لبدرالدين محمد عبدالله .

- زيادة ثروة الشعوب:

زيادة ثروة الشعوب تأليف آلبرت باخ.

س

- السباق بين الانسان:

السباق بين الإنسان والطعام ، تأليف شارك جوي، ترجمة محمد الشحات، طبع دار الفكر العربي.

- سبل السلام:

سبل السلام شرح بلوغ المرام لمحمد بن اسماعيل الصنعاني، طبع دار الحديث ـ القاهرة.

- السياسة:

السياسة (المجلة) الصادرة من الكويت.

ش

- شرح الزرقاني على مختصر خليل:

الزرقاني شرح موطا الامام مالك ، طبع مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

- شرح فتح القدير:

شرح فتح القدير للإمام كمال الدين محمد بن عبدالواحد دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان.

- الشرح الكبير

للشيخ شمس الدين أبى الفرج عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى - دار الفكر.

- شرح نهاية السول:

شرح نهاية السول في علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة 685 للإمام جمال الدين عبدالرحيم الأسنوى المتوفى 772، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

ض

- ضبط النسل:

ضبط النسل وتنظيم الأسرة ، كاترين فالابريج ، ترجمة يوسف كامل ، الطبعة الثانية ١٩٧٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ط

- الطب النبوي:

الطب النبوي ، تأليف الحافظ أبي عبيد الله محمد بن أحمد الذهبي (674 - 748 هـ) ط مكتبة التربية ، قدم له و خرج آياته الشيخ قاسم السماعي الرفاعي.

- الطفل المثالي:

الطفل المثالي في الإسلام ، عبدالغنى الخطيب.

ع

- العقم في الإسلام:

العقم في الاسلام للدكتور عبدالعزيز الخياط.

- علم السكان:

علم السكان تأليف دنيس . هـ. رونج - ترجمة الدكتور محمد صبحي عبدالحكيم

غ

- الغارة على الأسرة المسلمة:

الغارة على الأسرة المسلمة، عبدالقادر أحمد عبدالقادر.

ف

- **فتاوى :**

فتاوى ، للإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمود، طبع دار الشروق.

- **فقه الأولويات:**

فقه الأولويات ، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة ، للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، طبع مكتبة وهبة .

- **فقه الزكاة:**

فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي طبع مؤسسة الرسالة.

- **فقه السنة:**

فقه السنة، للسيد سابق، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة السابعة.

- **الفقه على المذاهب الخمسة:**

الفقه على المذاهب الخمسة : الجعفري - الحنفي ، المالكي - الشافعي - الحنبلي - لمحمد جواد مغنية ، الطبعة السابعة .

- **في ظلال القرآن:**

للسيد قطب، نشر دار الشروق.

- **الفيصل (مجلة):**

مجلة الفيصل. العدد 208 اغسطس - سبتمبر 1995

ق

- **القاموس الاقتصادي:**

القاموس الاقتصادي : عربي - فرنسي - انغليزي - ألماني ، تأليف د. محمد بشير عليه طبعة المؤسسة العربية.

- **القاموس المحيط:**

قاموس المحيط ، باب الميم ، فصل النون، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، طبع مؤسسة الرسالة 1987.

- **القانون في الطب:**

القانون في الطب، للعلامة الشيخ أبو علي الحسين بن علي بن سينا المشهور بابن سينا البلخي، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- **القبس:**

القبس (جريدة) الصادرة من الكويت .

- قرارات المجمع الفقهي:

قرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة 1402 هـ ودورته السابعة 1404 هـ ودورته الثامنة 1405 هـ مكة المكرمة

- قضايا دولية (مجلة):

مجلة قضايا دولية مجلة الصادرة من إسلام آباد الأعداد 299 ، 300

- القواعد الفقهية:

القواعد الفقهية لعلي احمد الندوي ، ص 270 طبع دار القلم بدمشق الطبعة الثانية 1991.

- القوانين الفقهية:

القوانين الفقهية لابن جزي - أبوالقاسم محمد بن أحمد الكلبي ، دار الفكر بيروت .

ك

- كشاف القناع عن الإقناع:

لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي الحنبلي ، مكتبة النصر الحديثة بالرياض

ل

- اللؤلؤ والمرجان:

اللؤلؤ والمرجان، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي،دار إحياء التراث العربي.

م

- ماذا خسرالعالم:

ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للسيد أبي الحسن الندوي، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- المجتمع (مجلة): العدد: 1169.

- مجلة فيصل:

- محاضرات:

محاضرات في عقد الزواج وأثاره ، للأستاذ محمد أبوزهرة - طبع ونشر دار الفكر العربي.

- المحلى:

المحلى لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة 456، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .

- مختار الصحاح:

مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، طبع دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة.

- كتاب المستصفى من علم الأصول:

للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ط : 1 المطبعة الأميرية - بيولاق.

- المسلمون:

المسلمون الأعداد 570 ، 562

- المسلمون في تاريخ الحضارة:

المسلمون في تاريخ الحضارة ص 90 - 91 ، تأليف سنتوردكب ، ترجمة الدكتور محمد فتحي عثمان - الدار السعودية للنشر.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي :

للعلامة أحمد بن محمد بنعلي المقري الفيومي ، ط: 6 المطبعة الأميرية بالقاهرة.

- المعجم الوسيط:

المعجم الوسيط، طبع القاهرة.

- المغني:

المغني لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي نشر مكتبة الجمهورية العربية ، بمصر، و مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج:

لمحمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، و طبعة أخرى بالمطبعة الميمنة بالقاهرة.

- مقدمة ابن خلدون:

مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الرابعة ، طبع استقلال - إيران

- المنتقى:

المنتقى من منهاج الاعتدال لابن تيمية - دار الكتب العربية بيروت.

- منتهى الارادات في جمع المقنع مع التنقيح:

لمحمد بن أحمد الفتوحي المشهور بابن النجار - طبع عالم الكتب - القاهرة.

- منظمة الصحية العالمية:

أ - التقرير السادس عن الحالة الصحية في العالم ، الجزء الأول ، منظمة الصحة العالمية 1980 صفحة 34.

2 - و ثمن الصحة و تكاليف المرض للدكتور ونسلر ، منشورات منظمة الصحة

3 - الماء والصحة العامة (نقلا كل هذه المعلومات من مجلة (الأمة) ...)

4 - المؤتمر المنعقد حول البيئة المحيطية - المحيط الهادئ - Ratotonga - من 8 إلى 11 مارس 1982).

- الموارد الاقتصادية:

الموارد الاقتصادية للدكتورة سهير محمد احمد ابراهيم طبع كلية التجارة فرع الأزهر.

- الموافقات:

الموافقات في أصول الشريعة لأبي اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المتوفى سنة 790 دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان.

- الموطا:

لمالك بن انس - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

ن

- الندرة النسبية والمشكلة الاقتصادية:

الندرة النسبية والمشكلة الاقتصادية للدكتور ابراهيم محمد عبدالرحيم (مجلة الوعي الإسلامي العدد 290 صفر 1409).

- ندوة الانجاب:

ندوة الانجاب في ضوء الإسلام، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبيعية، شعبان 24/1403 مايو 1983 الكويت.

- نهاية المحتاج شرح المنهاج:

لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي الشهير بالشافعي الصغير، المطبعة البهية المصرية.

- نيل الأوطار:

نيل الأوطار شرح منقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار للإمام المجتهد العلامة الرباني محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج 66/6 المكتبة التوفيقية.

و

- وسائل منع الحمل:

وسائل منع الحمل الجديثة للدكتور سبيرو فاخوري ، الطبعة الأولى سنة 1972 مطباع الأوفست - بيروت.

- الوعي الإسلامي:

مجلة الوعي الإسلامي الأعداد 290، 334، 274، 279، 246،

هـ

- الهندسة الوراثية والأخلاق:

الهندسة الوراثية والأخلاق تأليف : ناهدة البقصمي - طبع عالم المعرفة للكتب الكويت ، يونيو **1993**.

المراجع باللغة الإنكليزية

A

- Arab News Sep 10 . 1986.

B

- The Back ward Socieety , by Raymond Frost, translated by: Ahmad Qasem Joudeh.

C

- Class Fertility trend in Western Nations,
- Current status of human in vitro ferbilzation. sterility and fertilty prodeedings of X1 world congress of Fertility and steility June 1983

D

- Dojn Dewy , Human Nature and Conduct, New York
- Dukiey Kirk, demographic trend in Europe, Annals of the American Academy of Political and Social Science (March 1949) pp 45-55 translated by Dr.M.S.A Hakeem.

E

- Encyclopedia Britanica.
- The Economist 1994
- Encyclopedia International

F

- Family Planing in the legacy of Islam, Prof Abdul Rahim Omran

Fertility in Asia, John Stockle & Anruth Jain. 1986

K

Kingsley Davis ,Human Society, New York

O

- The Origin of Tlltarianis, Hunnah Arenda,New York 1951.

P

- Population Oxford Clanendon Press, 1936
- Population and Development C. Warn and P. Wilby .

R

- Review , the population Council New York June 1994

S

- Social Psycholgical Factors Affecting Fertility, New York; Milbank Memorial Fund., P.K. Whelpton and Clyde Kiser
- The Sunday Times.
- Sociology . by Broom & Selznick

V

- Valcav Smil Writing in Population & Development

الفصل الأول في إزدياد السكان و تنظيمه 1
التمهيد: 1
المطلب الأول:: في مصادر الدراسة السكانية: 4
المطلب الثاني في : الانتقال الديموغرافي في العصر الحديث: 5
المطلب الثالث: إزدياد السكان في آسيا وأفريقيا في القرن العشرين: 8
المطلب الرابع في : عدد السكان حسبما يتوقعه الإحصائيون في المستقبل: 9
المبحث الأول في ماهية تنظيم النسل 11
المطلب الأول: مفهوم تنظيم النسل وتحديد النسل: 12
المطلب الثاني ـ المرحله الثانية: 16
المطلب الثالث 15
المطلب الرابع: 17
المطلب الخامس 17

المبحث الثاني ـ خلفية تاريخية عن تنظيم النسل 18
المطلب الأول ـ تنظيم النسل في مفهومه المعاصر 18
المطلب الثاني ـ مالتوس وآراؤه: 19
المطلب الثالث: مقومات الحركة 22
المطلب الرابع : أخطاء نظرية مالتوس 25
المطلب الخامس ـ التنظيم في البلاد الإسلامية 26
المطلب السادس : تحديد النسل في البلاد العربية: 27

الفصل الثاني أسباب إزدياد السكان 29
المبحث الأول ـ الإخصاب 30
المطلب الأول ـ الخصوبة: 31

المطلب الثاني ـ اختلاف الإخصاب والأعمار: 31
الفرع الأول ـ إزدياد الأعمار: 32
الفرع الثاني ـ الأعمار في القرن الحاضر: 33
المطلب الثالث ـ أساس الإخصاب 33
الفرع الأول: الزواج: 34
الفرع الثاني ـ العلاقات الجنسية غير المشروعة: 45
المطلب الرابع ـ في التناسل بالوسائل العلمية الحديثة: 49
الفرع الأول: التلقيح الصناعي 49
حكم الحمل من التلقيح : 54
التبني: 55
حكم ولد التلقيح الصناعي غير المشروع في الميراث: 57
هل يعتبر التلقيح الصناعي زنا ؟ 58

الفرع الثاني ـ الرحم الموجر 59
حكم الرحم المؤجر: 59
الفرع الثالث أطفال الأنابيب 61
حكم أطفال الأنابيب : 61

المبحث الثاني في انخفاض الوفيـــات 63
تمهيد: انخفاض الوفيات 64
المطلب الأول: 65
المطلب الثاني : 70
المطلب الثالث: 71
المطلب الرابع : 72
المطلب الخامس: 73

بعض الإنجازات الأخرى:..... 73
الفرع الأول - زرع الأعضاء..... 73
تبديل الدم..... 76

الفصل الثالث..... 85
في..... 85
دوافع تنظيم النسل و وسائله..... 85
المبحث الأول..... 86
التنظيم خشية الفقر والاملاق..... 86
تمهيد:..... 86
جغرافية التخلف في البلاد الإسلامية..... 87
الأمة في ضوء معايير التقدم المادي:..... 88
المطلب الأول..... 92
الفقر..... 92
المطلب الثاني..... 93
مفهوم الفقر:..... 94
المطلب الثاني..... 95
أقسام الفقر..... 95
الفرع الأول في الفقر الفردي وفيه خمسة مسائل:..... 95
المسألة الأولى - أمراض اجتماعية:..... 95
المسألة الثانية - الفقر يؤدي إلى انحراف الأولاد:..... 96
الفرع الثاني - تلازم الفقر والمرض وفيه مسائل ثلاث:..... 97
إنعكاسات الفقر السلبية:..... 97
المسئلة الأولى - سوء التغذية: (Malnutrition)..... 97
المسئلة الثانية - إنعكاسات سوء التغذية:..... 98

الفرع الثالث ـ ضعف التجهيز الصحي: 99
الفرع الرابع ـ الأمية: 101
الفرع الخامس ـ كثرة الوفيات: 102

المبحث الثاني 116
في 116
البيئة والتنظيم 116
المطلب الأول ـالمطلب الأول 116
مفهوم البيئة : 116
المطلب الثاني 117
حاجيات الإنسان 117
أولا ـ الحاجيات الفيزيولوجية. 117
1 ـ التنفس : 117
2 ـ الماء: 117
3ـ الغذاء: 117
ثانيا ـ الحاجيات الإجتماعية: 118
المطلب الثالث 118
الفرع الأول ـ متى تعتبر البيئة ملوثا : 118
الفرع الثالث ـ التلوث في البلدان النامية ـ الإسلامية ـ
: 120
الفرع الرابع ـ ندرة الغابات والأراضي الزراعية و
تلوث الفضاء: 123
الفرع الخامس ـ التجارب النووية: 124
المطلب الرابع ـ نظرة إسلامية إلى البيئة 125

الفرع الأول 125
توجيهات الإسلام حول البيئة: 125
الفرع الثاني 127
عناية الإسلام بالصحة: 127
الفرع الثالث 127
والتوجه إلى الطعام واللباس والطيبات من الأطعمة: 127
الفرع الرابع 128
غرس الأشجار: 128
الفرع الخامس 128
عدم إيذاء الحيوانات الأهلية: 128
المطلب الخامس 129
هل البيئة يمكن أن يكون سببا لتنظيم النسل ؟ 129

المبحث الثالث 131
في 131
دور الدولة في تحديد النسل 131
تمهيد: 132
المطلب الأول: 134
أمثلة لدعايات لتنظيم النسل في مصر 134
المطلب الثاني 135
في الهند: 135
المطلب الثالث 136
والأمم المتحدة 136

المبحث الرابع 138
التنظيم للتربية 138

تمهيد: 138
المطلب الأول - مفهوم التربية: 139
أولا - التربية عندالطفولية: 140
مراعاة الإعتدال: 140
التربية الاجتماعية: 142
الحالات الإفتراضية: 143
إنعكاسات فقدان التربية: 143

المبحث الخامس في وسائل تنظيم النسل 146
تمهيد: 147
المطلب الأول 147
العزل Coitus: 147
العزل عند الشافعية: 149
أضرار العزل: 149
المطلب الثاني 149
حبوب منع الحمل: 149
أضرار هذه الحبوب : 150
المطلب الثالث 151
موانع الحمل الكيماوية: 151
المطلب الرابع 152
لولب : 152
أضرار اللولب: 153
المطلب الخامس 154
الكبوت : Condom: 154
ومن حسناته : 154
ومن مساوئه: 154

المطلب السادس 155
فترة الأمان 155
المطلب السابع 156
التحقين: 156
المطلب الثامن 156
الإجهاض: 156
1 - مفهوم الإجهاض: (Abortion) 156
2 - نشأة فكرة الإجهاض : 157
3 - محاولة لتقنين الإجهاض : 157
4 - دعوة إلى الإجهاض في البلاد الإسلامية: 158
5 - فشل الخطة : 159
6 - أضرار الإجهاض : 160
7 - فقه الأجهاض في الإسلام 160
8 - حكم الاجهاض: 160
9 - الإجهاض وأد خفي: 161
10 - مذاهب الفقهاء حول الإجهاض: 161
الحنفية: 161
المالكية : 161
والشافعية: 162
أما الحنابلة : 162
حكم إسقاط الجنين بعد أربعة أشهر: 162
الراجح: 163
11 - الضرورات المبيحة للإجهاض: 163
حالات يجوز فيها الإجهاض بعد نفخ الروح: 163
على من تجب الغرة: 164
الحنفية: 164

المالكية: 164
هل تجب الكفارة؟ 164
حكم انفصال الجنين حيا ، ثم توفى بسبب التعدى عمدا
: 165
الحنفية: 165
المالكية: 165
المطلب التاسع 165
التعقيم: 165
ثانيا - العقم عند الرجال: 167

الفصل الرابع في الأحكام 168
تمهيد: 168
مفهوم الحكم: 168
المطلب الأول 168
انواع الحكم الشرعي: 168
المطلب الثاني 169
أقسام الحكم الشرعي الوضعي: 169
المطلب الثالث 169
أركان الحكم الشرعي: 169
المطلب الرابع 170
الأحكام والمصالح: 170
المطلب الخامس 171
1- هل يجوز تنظيم النسل للفقر؟ 171
المطلب السادس: 172
اختلاف الأحكام باختلاف الوسائل: 172
المطلب السابع 173

تنظيم النسل بين المصلحة والمفسدة: 173
الفرع الثاني - معرفة المصالح والمفاسد: 174
الفرع الثالث - بين المصلحة والمفسدة: 177
المطلب الثامن 179
ثم هل الكثرة مصلحة أم مفسدة؟ 179
ثم هل كثرة النفوس هي مشكلة بذاتها ؟ 181
من واقع التاريخ: 182
المطلب العاشر: 183
الترجيح بين المصالح: 183
المطلب الحادي عشر 184
ما هي الأصل: 184
المطلب الثاني عشر 185
التنظيم الفرادي و حكمه عند العلماء المعاصرين: 185
خاتمه و نتائج البحث 188
المراجع والمصادر 202

الفصل الأول في إزدياد النسل و تنظيمه

ويشتمل على تمهيد و مبحثين:

أما التمهيد: ففي ديموغرافية السكان و فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ففي مصادر الدراسة السكانية

المطلب الثاني: الإنتقال الديموغرافي في العصر الحديث

المطلب الثالث : إزدياد السكان في آسيا وأفريقيا في القرن العشرين:

المطلب الرابع: عدد السكان حسبما يتوقعه الإحصائيون في المستقبل:

المبحث الأول في ماهية تنظيم النسل

و هو يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول في مراحل تنظيم النسل و فيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : المرحلة الأولى:

المطلب الثاني : المرحلة الثانية:

المطلب الثالث : المرحلة الثالثة:

المطلب الرابع : المرحلة الرابعة:

المبحث الثاني : خلفية تاريخية عن تنظيم النسل

وهو يشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: تنظيم النسل في مفهومه المعاصر

المطلب الثاني : مالتوس وآراؤه:

المطلب الثالث: مقومات الحركة

المطلب الرابع : أخطاء نظرية مالتوس :

المطلب الخامس: من واقع التاريخ

المطلب السادس : التنظيم في البلاد الإسلامية

المطلب السابع : تحديد النسل في البلاد العربية

الفصل الثاني فيه مقومات إزدياد السكان

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: في الإخصاب و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول ـ الخصوبة:

المطلب الثاني ـ اختلاف الإخصاب والأعمار و فيه فرعين:

الفرع الأول: إزدياد الأعمار:

الفرع الثاني: الأعمار في القرن الحاضر:

المطلب الثالث: في أساس الإخصاب ـ العلاقات الجنسية وفيها فرعين:

الفرع الأول: في الزواج وفيه ثماني مسائل:

المسئلة الأولى : مفهوم الزواج في الفقه

المسئلة الثانية: أركان الزواج

المسئلة الثالثة: شروط انعقاد الزواج

المسئلة الرابعة : شروط العاقدين

المسئلة الخامسة : أقسام الزواج

المسئلة السادسة : أهمية الزواج

المسئلة السابعة : فلسفة الزواج في الإسلام

المسئلة الثامنة : حكم الزواج:

الفرع الثاني : في العلاقات الجنسية غير المشروعة وفيها خمس مسائل:

المسئلة الأولى : الغرب الحر

المسئلة الثانية: شيوع الدعارة بين كافة الطبقات:

المسئلة الثالثة : الخيانات الزوجية:

المسئلة الثالثة: في المدارس والمكاتب:

المسئلة الرابعة : مع المحرمات:

المسئلة الخامسة : اغتصاب النساء في الحروب:

المبحث الثاني : انخفاض الوفيات وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : الطبابة الحديثة

المطلب الثاني : التقنيات الطبية المعاصرة

المطلب الثالث: التخطيط الطبقي الحاسوبي

المطلب الرابع: بعض الإنجازات الأخرى وفيه فرعين:

الفرع الأول: زرع الأعضاء وفيه مسئلتين:

المسألة الأولى: تعريفه:

المسألة الثانية: أقسامه

الفرع الثاني: تبديل الدم وفيه مسئلتين:

المسألة الأولى: مفهومه

المسألة الثانية: حكمه

المبحث الثالث في الهجرة وفيه اربع مطالب:

المطلب الأول: مفهومها

المطلب الثاني: أشكال الهجرة

المطلب الثالث : الهجرة

المطلب الرابع : عبر العصور وفيه فرعين:

الفرع الأول: الهجرة الدولية في القرن العشرين

الفرع الثاني: الهجرة الداخلية

الفصل الثالث في دوافع تنظيم النسل

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: جغرافية التخلف في البلاد الإسلامية

المبحث الأول : التنظيم خشية الفقر والإملاق وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الفقر

المطلب الثاني أقسام الفقر و فيه خمسة فروع:

الفرع الأول: الفقر الفردي وفيه خمسة مسائل:

المسألة الأولى: أمراض اجتماعية:

المسألة الثانية: الفقر يؤدي إلى انحراف الأولاد

المسألة الثالثة: انتشار المفاسد الاجتماعية:

المسألة الثالثة: التساؤل:

المسألة الرابعة : انتشار ظاهرة الرشوة:

المسألة الخامسة: أمراض اجتماعية أخرى:

الفرع الثاني: تلازم الفقر والمرض وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: إنعكاسات الفقر السلبية

المسألة الثانية: سوء التغذية (Malnutrition) :

المسألة الثالثة: إنعكاساته سوء التغذية:

الفرع الثالث : ضعف التجهيز الصحي:

الفرع الرابع: الأمية:

وسعة نطاق الأمية

الفرع الخامس: كثرة الوفيات:

المطلب الثالث: أسباب الفقر:

السبب الأول - التكاسل وتعطيل الطاقات

السبب الثاني - عدم وجود التكافل في بلاد المسلمين

السبب الثالث - الفقر نتيجة عدم التوزيع العادل للغذاء

السبب الرابع - دور دول الشمال

السبب الخامس - الفقر الناتج عن سوء السياسة

السبب السادس - النظم الفاسدة

المبحث الثاني في البيئة و التنظيم و فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: في مفهوم البيئة

المطلب الثاني: في حاجيات الإنسان وفيه فرعان:

الفرع الأول: في الحاجيات الفيزيولوجية :

1ـ التنفس:

2ـ الماء:

3ـ الغذاء:

الفرع الثاني: الحاجيات الإجتماعية:

المطلب الثالث : تلوث البيئة وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: متى تعتبر البيئة ملوثا:

الفرع الثاني: أسباب الاهتمام بتلوث البيئة:

الفرع الثالث: التلوث في البلدان النامية ـ الإسلامية

الفرع الرابع: ندرة الغابات والأراضي الزراعية و تلوث الفضاء

الفرع الخامس: التجارب النووية

المطلب الرابع: نظرية إسلامية إلى البيئة وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: توجيهات في الإسلام حول البيئة

الفرع الثاني: عناية الإسلام بالصحة

الفرع الثالث: والتوجه إلى الطعام واللباس والطيبات من الأطعمة:

الفرع الرابع: غرس الأشجار:

الفرع الخامس: عدم إيذاء الحيوانات الأهلية:

المبحث الثالث: دور الدولة في تحديد النسل وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أمثلة لدعايات لتنظيم النسل في مصر

المطلب الثاني: في الهند

المطلب الثالث: الأمم المتحدة

المطلب الرابع: تنظيم النسل و الحقوق الجنسية

المبحث الرابع في التنظيم للتربية وفيه و مطلب:

تمهيد:

المطلب الأول ـ مفهوم التربية: و فيه فروع:

الفرع الأول: التربية عندالطفولية:

الفرع الثاني: مراعاة الإعتدال:

الفرع الثالث: التربية الاجتماعية:

الفرع الرابع: الحالات الإفتراضية:

الفرع الخامس: إنعكاسات فقدان التربية:

الفصل الرابع في الأحكام

وفيه تمهيد و تسع مطالب:

تمهيد: مفهوم الحكم

المطلب الأول: انواع الحكم الشرعي

المطلب الثاني: أقسام الحكم الشرعي الوضعي

المطلب الثالث: أركان الحكم الشرعي

المطلب الرابع: الأحكام والمصالح وفيه فرعين:

الفرع الأول : هل يجوز تنظيم النسل للفقر؟

الفرع الثاني: اختلاف الأحكام بإختلاف الوسائل:

المطلب الخامس: تنظيم النسل بين المصلحة والمفسدة وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: مفهوم المصلحة

الفرع الثاني: معرفة المصالح والمفاسد

الفرع الثالث: بين المصلحة والمفسدة

المطلب السادس: ثم هل الكثرة مصلحة أم مفسدة؟

من واقع التاريخ:

المطلب السابع: الترجيح بين المصالح

المطلب الثامن: ما هي الأصل

المطلب التاسع: المقازنة بين المصالح والمفاسد عند التعارض